المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا
فرع النحو

الظواهر التركيبية في ديوان المفضليات

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النحو

اعداد
الطالبة فاطمة حسن عبد الرحيم شحاده فضه

اشراف
الدكتور أحمد عبد العزيز كشك

المجلد الاول

١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر

شكـــر وتقديـــر

من العرفان بالجميل أن أسجل شكرى وتقديرى لأستـاذى الجليل الدكتور أحمد عبد العزيز كشك الذى تفضل بالاشراف علـى هذه الرسالة ، فقد كان معي في كل مرحلة من مراحلها ،وقـد أفـدت فوائد جمة من علمه الغزير وآرائه السديدة ،ولولا إرشاداته وتوجيهاته المخلصة ما خرج هذا البحث بهذه الصورة .

كما لا أنسى أن اتقدم بشكرى وتقديرى الجزيلين لجميـع العاملين في جامعة أم القرى وعلى رأسهم معالي الدكتور راشـد الراجح ،مدير الجامعة ، وسعادةعميد كلية اللغة العربية وسعادة وكيل كلية اللغة العربية ،وسعادة الأستاذ الدكتور رئيس قسـم الدراسات العليا العربية ، على تفانيهم في خدمة العلم وطلابه .

كما أتقدم بجزيل الشكرالى الأستاذين اللذين سيتفضـلان بمناقشة هذه الرسالة على ما سوف يبذلانه من جهد في تقويم هـذا البحث وأرجوالله أن ينفعني بتوجيهاتهما السديدة ، وأن يكتـب لهما الأجر والثواب .

كما أتقدم بشكرى وتقديرى الى سعادة الدكتور الشريف عبد اللـه الحسيني البركاتي ، الذى تفضل بمتابعة الاشراف على هذه الرسالـة ولم يبخل عليّ بتوجيهاته التي كان لها الأثر الكبير في اتمام هذا البحث.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل وهوحسبنا ونعم الوكيل ،،،

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. الذي أنطقنا بأفصح لسان ..
وعلمنا ما لم نكن نعلم من حسن البيان .. وصلى الله وسلم على سيد
الأنام .. سيدنا محمد وعلى صحبه الكرام .. وبعد :

فلقد طرقتُ أبواب البحث باباً باباً .. فوجدت للشعر موارِدَ كثيرة
مناهلها .. حلوة مطالبها .. سائغة مشاربها .. يخوض غماره النحاة
والدارسون .. قدامى ومحدثون .. لتأكيد حكم .. وتسديد رأي ..
وإثبات قاعدة ونقض أخرى .. وإذا بالمفضليات درة من أجود الدرر ..
فيها ما لا يتوافر في غيرها من مجاميع الشعر الكُثُر .. وقد تناولها بعض
الدارسين بغير ما اعتزمه من منهج .. حيث لم يكن للنحو في دراساتهم
طريق ولا مولج .. فعمدت إليها لمّا وجدت مبررات البحث فيها قد
اتسقت .. وأسبابه قد اجتمعت .. فعقدت العزم على أن تكون
المفضليات مدار بحثي في محاولة لدراسة الظواهر التركيبية من خلال
هذا المصدر الأدبي ، الذي نطمئن إلى إعطاء الحكم اللغوي من خلاله .

وكان اختياري المفضليات راجعاً لأسباب متصلة بالقصائد وأصحابها
من جهة ، وبالمنهج المتبع في جمعها من جهة أخرى ، وبالمفضل من جهة
ثالثة .

أمّا القصائد الواردة في المفضليات فكاملة على خلاف بعض
المجاميع الشعرية الأخرى ، التي كانت تأتي بجزء من القصيدة ، وهذا
يتيح لنا فهم البيت متصلاً بسياقه ، وييسر معرفة دلالته ، إذ نحتاج في
كثير من الأحيان للبيت السابق أو اللاحق لتحديد معنى أو إبراز
قاعدة .

أما أصحاب هذه القصائد فأشعر الناس وأبلغهم ، أمثال مُتَمِم ابن نُوَيرَة ، والشَنفَرى الأزدي ، والحارث بن حِلِزة ، وعَبَدة بن الطبيب ، وسَوَيد بن أبي كاهل ، وغيرهم من فحول الشعراء .

أما المفضل الضبي فسأحاول أن أتعرفه نفاءا[1] واختيارا .

وهو أبو العباس المُفَضَّل بن محمد بن يَعلَى بن عامر بن سالم ابن الرَّمال من بني ثعلبة بن السيد بن ضبة . ويقال ابن أبي الضبي . ويُكنى أبا عبد الرحمن[2] من أكابر علماء الكوفة ، كان ثبتا صدوقا في روايته ، نحويا ، لغويا ، عالما بالأخبار والشعر ، يدل على ذلك أمره مع حماد الرَّاوية ، وهو معروف حُكِي في كتب التراجم . وشهد للمفضل من أهل عصره ، فقد خرج حسين الخادم بعد أن جمع الرشيد بين المُفَضَّل وحَمَّاد ، وسألهما عن بيت زهير :

* دعْ ذا وعدّ القول في هِرم *

وقال : يا معشرَ من حضر من أهل العلم إنَّ أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماد الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل

---

(١) للمفضل الضبي تراجم مفصلة ومختصرة في الكتب الآتية : الفهرست لابن النديم / تاريخ بغداد للخطيب / الأنساب للسمعاني / نزهة الألباء لابن الأنبارى / تاريخ الاسلام للذهبي (مخطوط) ميزان الاعتدال للذهبي / إنباه الرواة للقفطي (مخطوط) / معجم الأدباء لياقوت / طبقات القُرّاء لابن الجزرى / لسان الميزان لابن حجر / بغية الوعاة للسيوطي / ذكرها محققا المفضليات .

(٢) الفهرست لابن النديم . دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٠٢ .

روايته، لزيادته في أشعار الناس ما ليس فيها ، فمن أراد أنْ يسمع شعرًا جيدًا مُحدثًا فليسمع من حمّاد ،ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المُفَضّل .(١)

من هذه الحادثة يمكن الحكم على رواية المفضل بأنّها رواية صحيحة، لا يدخلها الشك ولا الريبة ،وقد أُعلن هذا الحكم على الملأ . وهذا يعطي الاطمئنان بأنّ اختياره مجال توثيق لا مجال للوضع والإنتحال فيه .

والمُفَضّل مذكور ضمن القُرّاء(٢) . ومما يروى عن أبي زيد الأنصارى أنّه قال : سمعت المُفَضّل يقول : كنت أرى عاصما أقرأ عليه ،وإذا لم آته أتاني في بيتي(٣) وكان المفضل يكتب المصاحف ويقفهـا في المساجد ، تكفيرا لما كتبه بيده من أهاجي الناس(٤) وهذا بلا شك يكسبه علما ويزيده معرفة بالأساليب الرفيعة ،والاستعمالات البليغة، فيكون ذا نظرة ثابتة فيها .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى . ط/ الأخيرة . مطبعة دار المأمون ١٩ : ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) انظر غاية النهاية في طبقات القُرّاء لابن الجزرى ط/ الثانية . بيروت ٢ : ٣٠٧ / البحر المحيط لأبي حيان . مطبعة النصر الحديثة الرياض ٣ : ٤٣ / تاريخ بغداد للبغدادى دار الكتاب العربي . بيروت ١٣ : ١٢١ .

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ : ٣٠٧ .

(٤) بغية الوعاة للسيوطي ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم . ط/ الثانية دار الفكر ٢ : ٢٩٧ .

وقد عدّه الأزهري في الطبقة الأولى من العلماء وهو ممن اعتمد عليهم في جمعه لكتابه تهذيب اللغة ، وعنه يقول : " ومن هذه الطبقة المُفَضَّل بن محمد الضبي الكوفي . وكان الغالب عليه رواية الشعر وحفظ الغريب "[1] .

وقد أخذ عنه أبو زيد القراءة والحديث[2] والشعر يدل على ذلك قول أبي سعيد السُكرى : هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس ابن ثابت ، مما سمعه من المُفَضَّل بن محمد الضبي ، ومن العرب .

وقال أبوحاتم : (قال لي أبو زيد : وما كان فيه من شعر القصيد ، فهو سماعي من المُفَضَّل بن محمد الضبي الكوفي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب .)

(قال : وأخبرني أبو العباس محمد التوزى أن أبا زيد قال : ما كان فيه من رجز فهو سماعي من المفضل ، وما كان فيه من قصيد أو لغات ، فهو سماعي من العرب)[3] .

وسواءً كان الرجز أو الشعر هو الذي سُمع منه فإنّه يُسلم إلى نتيجة واحدة ، وهي الثقة بما يُسمع منه ، وها هو أبو زيد الأنصاري وهو عالم بصري وقد أخذ عن المفضل على الرغم من انتمائه للمدرسة الكوفية[4] .

---

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري . ت / عبد السلام هارون ١٠ .
(٢) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ط/ الأولى ١٢ .
(٣) النوادر في اللغة ٦ ، ١ .
(٤) النوادر في اللغة ١٤١ ، ١٤٢ .

وقال أبو حاتم : (كان أوثق من بالكوفة من رواة الشعراء المُفَضَّل الضبي)[١].

وممن شهد له من المحدثين الدكتور محمد هدارة[٢] والدكتور ناصر الدين الأسد[٣] ووثق بجمعه للمفضليات الدكتور حسن باجودة[٤] والدكتور علي علاَّم[٥] والدكتور فخر الدين قباوة[٦] وغيرهم[٧].

فإنْ كان الدارسون من قبلي قد بحثوا عن مطلبهم في المفضليات لأسباب أوضحوها وأبانوا عنها فإنّي عمدت إليها لأسباب أوجزها فيما يلي :

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ت/ محمد أحمد جاد المولى وآخرون . دار الفكر ٢ : ٤٠٦.

(٢) انظر المفضليات وثيقة لغوية وأدبية، د / علي عبد الواحد علام ط/ الأولى ٧.

(٣) انظر مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد ، ط/ السادسة ، دار المعارف ٢٦٨ ، ٤٧٧ / ديوان قيس بن الخطيم ت د/ ناصر الدين الأسد ١٢.

(٤) انظر ديوان أبي قيس صفي بن الأسلت ت/د . حسن باجودة مكتبة دار النشر ١١.

(٥) انظر المفضليات وثيقة لغوية وأدبية ١٢.

(٦) انظر منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للدكتور فخر الدين قباوة . المكتبة العربية بحلب ٣١٥ ، ٣١٦.

(٧) انظر قراءة في الأدب القديم للدكتور محمد أبو موسى ط/ الأولى ١٣ ، ١٤ / العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ط/ الثانية دار المعارف ١٧٦/ شواهد الشعر في كتاب سيبويه لخالد جمعة ط/ الأولى ٢١٨.

١ - إنَّ الاختيار يُعد اختيارًا ناضجاً واعياً ، فقد حفظ صاحبه آلاف القصائد من العرب ، وقد عرف النحو واللغة ، واعتاد كتابة القرآن الكريم ، فطبيعي أن يتوافر في هذه القصائد قمة النضج الأسلوبي والأدبي ، فقد توافر فيها جانب السلامة النحوية والجمال الأدبي . وصحة نسبتها إلى قائليها .

٢ - فرض الدارسون مدة محددة للاستشهاد ، وقد جاءت المُفَضَّليات مُغطية هذه الفترة ، ولم تقف عند عصر محدد من عصور الإستشهاد بل شملت قصائدها العصر الجاهلي والإسلامي ، ومن هنا أصبح ممكنا لنا استخلاص ظواهر لا حرج في تأكيد أو استنباط حكم من خلالها .

٣ - إنَّ مكث الدارس مع المفضليات مستخلصا لظواهرها التركيبية النحوية فيه تعامل مع الجانب الاستعمالي الذي لجأ إليه النحاة قبل لاستخلاص أحكامهم النحوية ، فوقوف الدارس أمام المفضليات وقوف أمام لغة كانت سبيلاً للتقعيد اللغوى عند النحاة واللغويين .

٤ - تمثل أبيات المفضليات شريحة تصلح أساساً للدرس اللغوى والاستقراء ، حيث وصلت أبياتها إلى سبعة وعشرين وسبعمائة وألفي بيت ، موزعة على مائة وثلاثين قصيدة ، لستة وستين من الشعراء .

٥ - حفلت قصائد المفضليات بعدد من الأبيات التي تعد من قبيل الشواهد النحوية ، وهي شواهد ليست منقطعة من سياقها فهي جزء من عمل متكامل . وقد استشهد سيبويه بواحد وعشرين بيتا من المفضليات (١) وجمع حنّا جميل حداد تسعة وستين بيتا من

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه ت/ عبد السلام هارون ١ : ١٦٣ ، ٢١٤ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٣٣٧ ، ٤١٣ / ٢ : ٢٠٠ ، ٢٤٣ ، ٣٣٧ / ٣ : ١٩ ، ٢٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٩٥ ، ١٧٨ ، ٣٢٧ ، ٣٤١ ، ٣٩٧ ، ٥٠٦ / ٤ : ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٤٧١ .

المُفضليات هي من قبيل الشواهد النحوية (١) هذا مع احتمال سقوط بعض أبيات الشواهد في جمعه . (٢)

----

(١) انظر معجم شواهد النحو الشعرية لحنّا جميل حداد ط/الأولى دار العلوم للطباعة والنشر . الشاهد ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٨٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٥ ، ٥٦٩ ، ٦٦٨ ، ٧٦٢ ، ٨٦٧ ، ٩٨٤ ، ٩٨٨ ، ١٣٠١ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٣٩ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠٥ ، ١٦١١ ، ١٦٢٢ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٦٦٠ ، ١٦٩٧ ، ١٦٩٦ ، ١٦٩٨ ، ١٧٠١ ، ١٧٠٣ ، ١٨١٤ ، ٢٥٠٠ ، ٢٥٠٣ ، ٢٥٠٨ ، ٢٥١٠ ، ٢٥٨٦ ، ٢٧٢٦ ، ٢٩٧٤ ، ٢٩٩٤ ، ٣٠٢٦ ، ٣٠٥٢ ، ٣٠٧٥ ، ٣١٦١ ، ٣٢٠٢ ، ولم يذكر ضمنها ما تقدم من شواهد سيبويه .

(٢) لم يرد عنده الشاهد ٧٠٦ من شواهد مغني اللبيب لابن هشام ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي وهو من المفضلية ٣ ١١ : ٩ ، ولا الشاهد (٣٤) من شواهد المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ت/ محمد كامل بركات دار المدني للطباعة والنشر وهو من المفضلية ١٧ : ٨ وسقط من شواهد شرح التسهيل لابن مالك بيت عَبَدة بن الطبيب :

المرءُ ساعٍ لأمرٍ لَيْسَ يُدرِكُه ....

وهو من المفضلية ٢٦ : ٥٦ ، وبيت سُوَيْد بن أبي كاهَل :

ومسامِيحَ بما ضُنَّ به ...

وهو من المفضلية ٤٠ : ٣٧ ، وبيت عبدالله بن سلمة :

على ما أنّها هزئت وقالت ...

وهو من المفضلية ١٨ : ٥ ، وبيت الأسْوَد بن يَعْفُر : ===

ولا تقل قيمتها اللغوية عن قيمتها النحوية فقد حفظت المفضليات مجموعة كبيرة من الكلمات التي لم تحفظها المعاجم ،فلولا وجودها فيها لضاعت واندثرت [(١)] ، كما كانت المفضليات موردا لأصحاب المعاجم ، مستشهدين بأبياتها على ما جمعوا من معاني ،فقد ورد في لسان العرب لابن منظور ما يزيد عن أربعمائة بيت من المفضليات .

=== وَلَقَد أَرُوحُ على التِّجارِ مُرَجَّلاً ...

وهو من المفضلية ٤٤: ٢١ ، وبيت أبي ذؤيب الهذلي :

فالعينُ بعدهم كأنَّ حداقَها ...

وهو من المفضلية ١٢٦: ١٠ ،وبيت مُتَمِم بن نُوَيْرَة :

وغيرني ما غال سعداً ومالِكاً ...

وهو من المفضلية ٦٧: ٣٣ وبيتي المُرَقِّش الأكبر :

وإذا ما سمعتِ من نحوِ أرضٍ ...

فاعلمي غيرَ علمِ شكٍ ...

وهما من المفضلية ١٢٩: ٧،٨ ، وبيت الجُمَيح الأسدي :

حاشا أبي ثوبان إنَّ به...

وهو من المفضلية ١٠٩: ٤ .

انظر شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ت/عدنان خلف قُلَيِّل : ١: ٢٤ ، ٣٤٤ ، ٨٢ ، ١٢٢ ، ١٤٣ ، ٢٧٧/ ٢: ٥٤٠ ، ٩٦٤ .

(١) قام بإحصائها محققا الديوان .

ولم يقتصر الاستشهاد بأبيات المُفَضَلِيات على النحاة واللغويين بل الناظر في كتب معاني القرآن وتفسيره وإعرابه يجدها تزخر بأبيات المفضليات.(١)

المُفَضَلِيات وكتب الإختيارات الأخرى :

لم تعرف كتب الاختيارات قبل ما اختاره المُفَضَّل الضَبِّيّ ، ولم يرد عن العرب مجموعة شعرية منتقاة من بين أشعار عدة سوى المعلقات التي اختلِف في عدتها بين السبع والعشر وهي لشعراء جاهليين ، فكانت المفضليات الأسبقيات في هذا المجال وقد احتفظت بدور الريادة على الرغم مما جاء بعدها . وقد فتحت بابا واسعا في الحياة الأدبية حيث نهج نهج المفضل مجموعة من الرواة ، إلاَّ أَنَّ المفضليات بقيت متفوقة عليها من حيث الأهمية . ومما جاء بعدها الأصمعيات وتحتوي على اثنتين وتسعين قصيدة لواحد وسبعين شاعرا وهي فرع من اختيار المُفَضَّل وأقل قيمة منه . وقد أشار الدكتور فخر الدين قباوة إلى تفوق المفضليات عليها.(٢)

ومن الاختيارات أيضا كتب الحماسة ، كحماسة أبي تمام ، والبحترى ، والخالديين ، وابن الشجرى ، والأعلم الشنتمرى ، وقد اطلعت على ما اختاره

---

(١) أنظر على سبيل المثال : البحر المحيط لأبي حيان / معاني القرآن للفرّاء / إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه / إعراب القرآن للنحاس .

(٢) أنظر منهج التبريزى في شروحه ٣٢٢ .

أبو تمام ، وهـــو أجود ما اختير من المُقَطَّعَات على ما ذكر التبريزى [(١)]
ومع جودتها إلَاّ أنّ المُفَضِليات تعلو عليها بتمام القصائد .

ومن كتب الاختيارات أيضا ما جمعه أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب القُرشي وأسماه جمهرة أشعار العرب وتحتوى على ست وأربعين قصيدة . وقد جاء في مقدمتها مقارنة بين المفضليات والأصمعيات والجمهرة، يتضح منها علو المفضليات وارتفاع مكانتها [(٢)] .

ونوع آخر من المجاميع الشعرية وهو ما يُعنى بشعر قبيلة معينـــة كما في : أشعار الهذليين ، ومثل هذا الجمع إنّ أمكن التقعيد اللغوى أو النحوى من خلاله فمن المحتمل أنْ تكون الظاهرة من قبيل اللهجات أو اللغات التي تخص تلك القبيلة .

شروح المفضليات :

للمفضلية شروح خمسة [(٣)] وهي :

١ - شرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشّار الأنبارى ، ٣٠٥هـ.

٢ - شرح أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوى المعروف بابن النّحاس ، ٣٣٨ هـ.

٣ - شرح أبي علي أحمد محمد المرزوقي ، ٤٢١ هـ.

---

(١) انظر شرح ديوان الحماسة لأبي تمام لأبي بكر التبريزى ١ : ٣ .

(٢) انظر جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ت / محمد على الهاشمي ٣٩ وما يليها .

(٣) ذكرها محققا الديوان .

٤ - شرح أبي زكريا يحى بن علي بن الخطيب التبريزى (٤٢١-٥٠٢) .

٥ - شرح أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الميداني، ٥١٨ .

هذا ولم يتح لي الاطلاع إلاّ على شرح الأنبارى والخطيب التبريزى ، وهي النُسختان المعتمد عليهما في تفسير ما جاء من بعض الأبيات في الرسالة ، أمّا في إحصاء أبيات الظواهر ونسبتها إلى قصائدها وأبياتها فالاعتماد فيه على المَفَضِليات بتحقيق الشيخين عبد السلام هارون وأحمد شاكر ، وحين يذكر بيت لم يرد عندهما فهو مما ذكره الخطيب التبريزى .

والرسالة من حيث الفصول مُقَسَّمَةٍ إلى فصول سبعة :

الفصل الأول : ظاهرة القسم في ديوان المفضليات .

الفصل الثاني : ظاهرة النِّداء في ديوان المفضليات .

الفصل الثالث : ظاهرة التَعَجُب في ديوان المفضليات .

الفصل الرابع : ظاهرة الاستفهام في ديوان المفضليات .

الفصل الخامس : ظاهرة الجزاء في ديوان المفضليات .

الفصل السادس : ظاهرة النفي في ديوان المفضليات .

الفصل السابع : وهو فصل يتناول عدة مباحث تخص مواطن : الأخبار والحال والوصف .

ومما لا بد من الإشارة إليه أنّ هذه الرسالة قد تولى الإشراف عليها أستاذي الفاضل الدكتور أحمد عبد العزيز كشك إلاّ أنّ إرادة اللَّه شاءت أنّ يغادر قبل أن تأتي هذه الرسالة أُكُلها وتجنى ثمرتها ، ثم تابع الإشراف مشكورا أستاذي الفاضل الدكتور عبدالله بن علي الحسيني البركاتي فأعدتُ على يديه كتابة الفصول الثلاثة الأولى من الرسالة حتى جاءت على هذه الصورة .

وقبل الخوض في فصول هذه الرسالة أعرض لمحة عن مقصود كل من الظاهرة والتركيب ، أمّا الظاهرة فهي الشيء المتكرر المألوف ، الذي يعتاده الناس ولا يستنكرونه ،أو يرون فيه شذوذا أو خروجا عن المألوف .

وفي البحث عن معنى الظاهرة عند الدارسين نجد أنّها بهذا المفهوم لم ترد في المعاجم العربية ،وإنّ كان فيها معنى المداومة والإعتياد (١) وعَرفت الظاهرة بأنها :

(واقعة أو حادثة تمكن ملاحظتها داخليا أو خارجيا ، في مقابل مفهوم أي شيء من ذاته كما يبدو للعقل المحض في الفلسفة الكانطية) . (٢)

وقد وردت لفظة (ظاهرة) عند بعض الدارسين دون تَعَرّض لتعريفها ، فقد أسمى الدكتور عبد الرحمن إسماعيل دراسة له ب " ظاهرة التنوين في العربية " وأسمى الدكتور طاهر سليمان حمودة دراسة له ب " ظاهرة الحذف في الدرس اللغوى " ،ودراسة الظواهر في المُفَضليات شملت كل استعمال أو تركيب يندرج تحت فصول الرسالة ،حتى ولو كان مجيئُه مُقتَصِراً على مرة واحدة فقط .

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ،دار صادر بيروت ٤ : ٥٢٨ مادة (ظهر) / القاموس المحيط للفيروزآبادى ،المؤسسة العربية للطباعة والنشر ٢ : ٨٤ (ظهر) / محيط المحيط لبطرس البستاني مطابع مؤسسة جواد ١٩٨٣م (ظهر) .

(٢) المعجم الأدبي لجبور عبد النور ،ط / الثانية دار العلم للملايين ١٦٧ .

أمّا التركيب فهو أقرب ما يكون لعملية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ،فالدراسة هنا لا تتناول المفردات وإنّما تتناول مجموعة مكتملة تكون جملة لها حدودها وأحكامها وقضاياها ،وجاء في تعريف التركيب أنّه : (تأليف بين عناصر متفرقة لإعادة جمعها)(١) وقد أسمى الدكتور مالك المطلبي كتابا له بـ " التركيب اللغوى للشعر العراقي المعاصر " كما أسمى الدكتور لطفي عبد البديع كتابا له بـ : " التركيب اللغوى للأدب " ولم يعرضا لمعنى التركيب .

أمّا الدكتور طاهر سليمان حمودة فقد جعل معنى التركيب مساويا للبنية العميقة للجملة وهي تُعطِي المعنى المعقود لها . كما جعل البنية السطحية للجملة تمثل جانبا واحدا من جوانب التركيب ، وعرّف النظام التركيبي بأنّه مجموعة الأسس التي تربط معاني الجمل بأشكالها التي تقع في التعبير . ثم ذكر أنّ علم التركيب وظيفة من وظائف النحو ،وهي دراسة العلاقات بين الشكل والمعنى .(٢)

---

(١) المعجم الأدبي ٦٥ .

(٢) انظر ظاهرة الحذف في الدرس اللغوى للدكتور طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

الفصل الأول

ظاهرة القسم في ديوان المفضليات

أولا : تعريف المقسم

قَالَ ابنُ مَنظُور: " والقَسَمُ ،اليَمِين ، والجَمعُ أَقسَامٌ ،وقَاسَمَه حَلف لَه ،وتَقاسَمَ القَومُ تحالَفوا ،وفي التَنزِيل ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ ﴾(١) وفِي الحَدِيثِ (نَحنُ نَازِلون بِخَيفِ بَنِي كنانة حَيثُ تَقَاسَمُوا عَلى الكُفرِ)(٢) "(٣)

وقِيل " واليَمِينَ : الحِلفُ والقَسَمُ ،أُنثَى ،والجَمعُ أَيمُن وأَيمَانٌ "(٤) ، وَقِيلَ فِي تَعرِيفِهِ " يُقَال أَقسَمَ يُقسِمُ إِقسَاماً وقَسَامَةً إِذا حَلَف ، والقَسَم مُحَرَّكَةٌ اليَمِين بِاللهِ ،وَقَد أَقسَمَ إِقسَاماً هَذا هُو المَصدَرُ الحَقِيقِي ،وأَمّا القَسَم فإِنّه اسمٌ أُقِيمَ مُقام المَصدرِ ،وكَذلِك القَسَامَةُ اسم مِن الإِقسَامِ وضِع مَوضِعَ المَصدَرِ .

وقَال ابنُ الاثِير فِي تَعرِيفِ القَسَامَةِ : " القَسَامَةُ اليَمِين كالقَسَمِ وَحَقِيقَتُها أَنْ يُقسِمَ مِن أَولِيَاءِ الدَّمِ خَمسُونَ نَفَراً عَلى استِحقَاقِهِم دَمَ صَاحِبِهِم إِذا وَجَدوه قَتِيلاً بَينَ قَومٍ وَلَم يُعرَف قَاتِلُهُ ،فإِنْ لَم يَكُونُوا خَمسِين أَقسَمَ المَوجُودونَ خَمسِينَ يَمِيناً وَلا يَكُونُ فِيهِم صَبِيٌ وَلا امرَأَةٌ وَلا عَبدٌ وَلا مَجنُونٌ . "(٥)

---

(١) سورة النمل آية ٤٩ .

(٢) الفائق في غريب الحديث والاثر للزمخشرى .ط الثانية ١ :٤٠٣، والنهاية في غريب الحديث والاثر لمجد الدين بن الاثير ت.د / محمود محمد الطناحي ،دار الفكر ٤ :٦٢ .

(٣) لسان العرب لابن منظور . دار صادر ١٢ :٤٨١ مادة " قسم ".

(٤) لسان العرب ١٣ :٤٦٢ مادة (يمن).

(٥) تاج العروس للزبيدى ٩ :٢٥، ٢٦ / منشورات دار مكتبة الحياة / بيروت لبنان .

وَقَالَ ابنُ سِيْدَه " اعْلَمْ أَنَّ القَسَمَ هُوَ يَمِيْنٌ يُقْسِمُ بِهَا الحَالِفُ ".(١)

وَقَالَ ابنُ يَعِيْش " وَأَصْلُهُ مِنَ القَسَامَةِ ، وَهِيَ الأَيْمَانُ ، قِيلَ لَهَا ذَلِكَ لِأَنَّهَا تُقَسَّمُ عَلَى الأَوْلِيَاءِ فِي الدَمِ ".(٢)

وَقَالَ ابنُ عَقِيْل " وَكَانُوا عِنْدَ التَحَالُفِ يَضْرِبُ كُلٌّ بِيَمِيْنِهِ عَلَى يَمِيْنِ صَاحِبِهِ تَأْكِيداً لِلْعَقْدِ حَتَّى يَنْتَهِيَ الحِلْفُ ، فَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لِلحلفِ يَمِيْنٌ (٣)

" وَمَعْنَى اليَمِيْنِ فِي الشَرْعِ : تَحْقِيقُ الأَمْرِ أَوْ تَوْكِيدُهُ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ .

أَوْ هُوَ عَقْدٌ يُقَوِّي بِهَا الحَالِفُ عَزْمَهُ عَلَى الفِعْلِ أَوْ التَرْكِ ، واليَمِيْنُ والحِلْفُ والإِيْلَاءُ والقَسَمُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ".(٤)

---

(١) المخصص لأبي الحسن بن سيده ، دار الفكر ٤ : ١١٠.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، ٩ : ٩٠ .

(٣) المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ، ط/ الأولى ، ت.د/ محمد كامل بركات ٢ : ٣٠٢.

(٤) فقه السنة للسيد سابق ، ط/ الثالثة ٣ : ١٠٨.

ثانياً : الغرض من القسم وأثره في الكلام .

قال سيبويه : " اعلم أن القسم توكيد لكلامك "(١) .

وقال المبرد : " واعلم أن القسم قد يؤكد بما يصدق الخبر قبل ذكر المقسم عليه ثم يذكر ما يقع عليه القسم "(٢).

وقال ابن يعيش : " واعلم أن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات "(٣).

وقال الزركشي : " وفائدته تحقق الجواب عند السامع وتأكده ليزول عنه التردد فيه "(٤).

مما تقدم نجد أن الغرض من القسم هو توكيد الكلام وتحققه، والتأكيد في القسم خلاف التأكيد في المفردات ، فكما هو معروف في توكيد المفرد يقال مثلاً (جاء الجيش كله) ،ولا يصح أن يتقدم المؤكد على المؤكد ،فلا يقال (جاء كله الجيش) .

----

(١) كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . ت عبد السلام هارون ،عالم الكتب ،بيروت ١٤٠٣هـ .

(٢) المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ،ت الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ٢ : ٣٣٧ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٩ : ٩٠ .

(٤) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ط/ الثانية ٢ : ٣٧٤ وانظر اللمع لابن جني ط/ الثانية ت/ حامد مؤمن ٢٤١ / المخصص ٤ : ١١٠ / تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ت .د/ محمد كامل بركات ١٥٢ / الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ط/ الرابعة ٢ : ١٦٩.

وفي هذا الباب يتقدم المؤكد ، كما في قوله تعالى * تالله لأكيدن أصنامكم * (١) فالتأكيد بالقسم مقدم على الجواب المؤكد ، أما اللام والنون اللاحقتان فزيادة في التوكيد .

ووجدت نقلاً عزي إلى ابن جني مخالفاً لما تقدم ، وذلك ما نقله عنه البغدادي من قوله (القسم جملة إنشائية يؤكدها جملة أخرى) (٢) ، فيصبح القسم هو المؤكد ، والجواب هو المؤكد على هذا القول .

والذي أراه أن في هذا القول بعداً عن الصواب لأمرين :

الأول : مخالفة الإجماع ، إذ أجمع النحاة على أن جملة القسم سيقت لتؤكد ما تلاها من جملة الجواب ، وهو المحلوف عليه .

الثاني : أن جملة القسم ليس فيها ما يحتاج إلى توكيد ، وفي المقابل تكون جملة الجواب مفتقرة إليه فيما لو قيل (والله لأقولن الحق) .

وللقسم أثر في الكلام بعده حيث تلزم جوابه أمور :

فإن كان جملة اسمية مثبتة صدر بلام مفتوحة ، أو " إن " مثقلة أو مخففة ، فيقال (والله لزيد قائم) وقال تعالى * ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) (٣) ، ويقال (والله إن زيداً قائم) وقال تعالى * لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون * (٤) وشاهد

---

(١) سورة الأنبياء آية ٥٧ .

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى ط/ بولاق ٤ : ٢١٠ .

(٣) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٤) سورة الحجر آية ٧٢ .

دُخولِ اللّامِ عَلى الجُملةِ الاسْمِيةِ فِي المُفضليّاتِ قَولُ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرة :(١)

صَرَمَتْ زُنَيْبَةُ حَبْلَ مَنْ لا يَقْطَــعُ

حَبْلَ الخَلِيْلِ وللأَمانَةِ تَفْجَــعُ

قالَ أَبُوبَكْرٍ " وَهي عِنْدِي لامُ اليَمِينِ ".(٢)

وقال المُرقّش الأكبر :(٣)

هَـلّا سَأَلْتِ بِنا فَوارِسَ وائِــلٍ

فَلَنَحْنُ أَسْرَعُها إِلى أَعْدائِهــا

قالَ التَبْرِيزِيّ " الفَاءُ للاسْتِئْنافِ ، واللامُ جَوابُ يَمِيْنٍ مُضْمَرة ".(٤) ،

وَشاهِدُ ما صُدِّرَ فِيهِ الجَوابُ بإِنَّ قَولُ الحَارِثِ بنِ ظالِم :(٥)

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لأُحِبُّ كَعْبــاً

وَسامَةَ إِخْوَتِي حُبِّي الشَّرابــا

وإِنْ كانَ شَرْطاً امْتِناعِياً صُدِّرَ بـ " لَوْ " أَوْ " لَوْلا " وَشاهِدُهُ مِــن

المُفَضلِيّات قَولُ ذِي الإِصْبَعِ العَدْوانِيّ :(٦)

وَاللّهِ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّي مُصاحَبَتِــي

لَقُلْتُ إِذْ كَرِهَتْ قُرْبِي لَها : بِيْنِي

----

(١) المفضلية ٩ البيت ١.

(٢) ديوان المفضليات شرح القاسم بن محمد بن الأنبارى ٦٣.

(٣) المفضلية ٥١ البيت ١٠.

(٤) شرح المفضليات للتبريزى ت / علي محمد البجاوى ٢ : ٨٥٧.

(٥) المفضلية ٨٩ البيت ٢.

(٦) المفضلية ٣١ [٢] : ٣٦.

وَقول عَلقَمة بن عَبَدة : (١)

فَوَاللهِ لَوْلاَ فَارِسُ الجَوْنِ مِنهُم
لَآبُوا خَزَايَا والإِيَابُ حَبِيبُ

وَإِن كَانَ مَنفِياً صُدِّرَ بِـ " مَا " أَوْ " لاَ " أَوْ " إِن " وَقَد تُصَدَّرُ بِـ " لَنْ " أَوْ " لَمْ " وَشَاهِدُ مَا نُفِيَ بِـ " مَا " فِي المُفَضَّلِيَات قَوْل رَاشِدِ بنِ شِهَاب : (٢)

أَرِقتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنَيَّ خَدْعَةٌ (٣)
وَوَاللهِ مَا دَهْرِي بِعِشْقٍ وَلاَ سَقَم

وَخَلَت المُفَضَّلِيَات مِن النَفي بِسَائِرِ الأَدَوَاتِ .

وإِذَا كَانَ طَلَبِياً صُدِّرَ بِفِعْلِ الطَّلَبِ أَوْ بِأَدَاتِهِ أَوْ بِـ " إِلاَّ " أَو " لَمَّا " بِمَعنَاهَا ، وَشَاهِدُ مَا صُدِّرَ بِأَدَاةِ الطَّلَبِ فِي المُفَضَّلِيَاتِ قَول المُرَقِّش الأَصْغَر : (٤)

فَعَمْرَكَ اللهَ هَلْ تَدرِي إِذَا مَا لُمْتَ فِي حُسْنِهَا فِيمَ تَلُوم ؟

وَإِن كَانَ مُثبَتاً مُضَارِعاً مُستَقبَلاً غَيرَ مُقتَرِنٍ بِحَرفِ تَنفِيسٍ وَلَم يَتَقَدَّمْ مَعمُولُهُ لَزِمَتهُ اللاَمُ وَنُونُ التَوكِيدِ غَالِباً ، وَشَاهِدُهُ فِي المُفَضَّلِيَاتِ قَولُ تَأَبَّطَ شَرًّا(٥)

. . . .

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنَّ مِن نَدَم
إِذَا تَذَكَّرتِ يَوماً بَعضَ أَخلاَقِي

---

(١) المفضلية ١١٩ البيت ٢٨ .

(٢) المفضلية ٨٦ : ١ .

(٣) كأنه أقام المصدر مُقام الفاعل كما أُقيم مُقام نائب الفاعل في قوله تعالى * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * أو لعلها على تقدير (ذو خدعه) سورة الحاقة آية ١٣ .

(٤) المفضلية ٥٧ البيت ١٦ ومثله قول يزيد بن الخذاق المفضلية ٧٩ البيت ٧ ، وعامِر بن الطُفَيل المفضلية ١٠٧ الأبيات ١ ، ٣ ، ٥ وسترد في مبحث آت فيما بعد .

(٥) المفضلية ١ : ٢٦

فَإنْ كَانَ مَاضِياً مُثْبَتاً دُونَ اسْتِطَالَةٍ لَزِمَتْهُ اللامُ مَقْرُونَةً بـ " قَدْ " وَشَاهِدُهُ فِي المُفَضَّلِيَّاتِ قَوْلُ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَة : (١)

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ
وَلاَ جَزِعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

لَقَدْ كَفَّنَ المِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ
فَتًى غَيْرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

أَوْ (رُبَّمَا) أَوْ (بِمَا) مُرَادِفَتِهَا ، هَذَا عِنْدَ التَّصَرُّفِ . فَإِنْ كَانَ جَامِداً فَاللامُ مِنْ غَيْرِ (قَدْ) وَشَاهِدُهُ فِي المُفَضَّلِيَّاتِ قَوْلُ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَة : (٢)

لَعَمْرِي لَنِعْمَ المَرْءُ يَطْرُقُ ضَيْفُهُ
إِذَا بَانَ مِنْ كُلِّ التَّمَامِ هَزِيعُ

وَخُلاَصَةُ القَوْلِ أَنَّ القَسَمَ عِنْدَمَا يَدْخُلُ عَلَى الكَلاَمِ لاَ بُدَّ أَنْ يَسْتَتْبِعَ ذَلِكَ أُمُورٌ كَتَوْكِيدِ المُضَارِعِ المُثْبَتِ بِاللامِ وَالنُّونِ ، وَالمَاضِي بـ " لَقَدْ " وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقَدَّمَ . (٣)

---

(١) المفضلية ٦٧ البيت ١ ، ٢ .

(٢) المفضلية ٦٨ البيت ١٤ .

(٣) انظر تسهيل الفوائد لابن مالك ١٥٢ ، ١٥٣ / المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣١٣-٣٢٤ / المقتضب ٢ : ٣٣٣-٣٣٦ / البسيط في شرح الجمل لابن أبي الربيع ت: د/ عياد الثبيتي ٢ : ٩١٤ - ٩١٩ / شفاء العليل في إيضاح التسهيل لأبي عبدالله محمد السلسيلي ت: د/ الشريف عبدالله علي الحسيني البركاتي ٢ : ٦٨٩ - ٦٩٦ .

نوعا القَسَم

القَسَمُ عَلى نَوْعَيْنِ :

الأَوَّلُ : قَسَمٌ يُؤَكَّدُ بِهِ الكَلامُ ، وَسُمِّيَ قَسَمَ الإِخْبارِ.
وَهو كَما في (وَاللهِ لأَضْرِبَنَّ زَيْداً) والغَرَضُ مِنْهُ التَوكيدُ.(١)

الثاني : قَسَمٌ يُسْتَعْطَفُ بِهِ ، وَهو قَسَمُ السُؤالِ.
وَمِثالُه أَنْ تَقولَ (بِرَبِّكَ هَلْ قُلْتَ كَذا).

قالَ سِيبَوَيْه : (وَسَأَلْتُ الخَليلَ عَنْ قَوْلِهِم : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إلاَّ فَعَلْتَ وَلَمّا فَعَلْتَ ، لِمَ جازَ في هَذا المَوْضِعِ ، وإِنَّما أَقْسَمْتُ ها هُنا كَقَوْلِكَ : وَاللهِ ؟ فَقالَ : وَجْهُ الكَلامِ لَتَفْعَلَنَّ ها هُنا ، وَلَكِنَّهُم إِنَّما أَجازُوا هَذا لأَنَّهُم شَبَّهُوهُ بِنَشَدْتُكَ اللهَ ، إِذْ كانَ فيهِ مَعْنى الطَلَبِ).(٢)

وَقَسَّمَهُ ابنُ مالِك مِنْ حَيْثُ الأَلْفاظ ، فَهو عِنْدَه صَريحٌ ، وَغَيْرُ صَريحٍ ، وَجَعَلَهُ عَلى نَوْعَيْنِ : خَبَراً كَعَلِمْتُ وَوَثِقْتُ ، وَطَلَباً كَنَشَدْتُكَ وَعَمَرْتُكَ.
والجوابُ الطَلَبِيّ مُقْسَمٌ عَلَيهِ عِنْدَهُ.(٣)

وَقالَ أَبُو عَلِي الشَلَوْبِيْن (القَسَمُ جُمْلَةٌ يُؤَكَّدُ بِها جُمْلَةٌ أُخْرى كِلْتاهُما خَبَرِيَّةُ المَعْنى ما لَمْ يَصْحَبْ القَسَمَ سُؤالٌ).(٤)

---

(١) انظر ما تقدم في " الغرض من القسم " . ص ٢٢ فما بعدها .
(٢) الكتاب ٣ : ١٠٦ .
(٣) أنظر تسهيل الفوائد ١٥٠ ، ١٥٢ .
(٤) التوطئة لأبي علي الشلوبين ت / يوسف المطوع ٢٣٦ .

وَأَخرَجَ ابنُ عُصفُور النَوعَ الثَانِي مِن القَسَمِ فهو يَقُول : (فَإِن جَاءَ مَا صُورَتهُ كَصُورَةِ القَسَمِ وَهو غَيرُ مُحتَمِلٍ لِلصِّدقِ والكَذِبِ حُمِلَ عَلَى أَنَّهُ لَيسَ بقسم، نحو قول الشاعر :

بِاللّهِ رَبِّكَ إِن دَخَلتَ فَقُل لَــهُ

هَذا ابنُ هَرمَةَ وَاقِفاً بِالبَــابِ

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَحسُن هُنَا أَن يُقَالَ صَدَقَ وَلَا كَذَب . وقَولُ الآخر :

بِدِينِـكَ هَل ضَمَمتَ إِلَيكَ لَيلَــى

وَهَل قَبَّلتَ قَبلَ الصُبحِ فَاهَــا

لَا يَحسُنُ أَيضًا أَن يُقَالَ صَدَقَ وَلَا كَذَب ،فَلَا يُمكِنُ أَن يَكُون قَسَمــاً لِأَنَّ القَسَمَ لَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا حَيثُ يُتَصَوَّرُ الصِدقُ والحِنثُ ،والصدق والحِنثُ لَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا فِيمَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ الصِدقُ والكَذِبُ) .(١)

وَقَالَ الرَّضِيُّ : (اعلَمْ أَنَّ القَسَمَ عَلَى ضَربَينِ : أَمَّا قَسَــمُ السُؤَالِ وهو : نَشَدتُكَ اللَهَ ،وَعَمرتُكَ اللَّهَ ،وَعَمرَكَ اللّه ،وبِاللّهِ لَتَفعَلَنَّ، وَقَد يُستَعمَلُ لَعَمرِكَ فِي قَسَمِ السُؤَالِ ،فَجَوَابُ قَسَمِ السُؤَالِ أَمرٌ أَو نَهيٌ أَو استِفهَامٌ ،كَقَولِهِ :

* بِدِينكَ هَل ضَمَمتَ إِلَيكَ لَيلَى *

وَيُجَابُ بِإِلَّا وَلَمَّا أَيضاً نحو : نَشَدتُكَ اللّهَ إِلَّا فَعَلت ، . . . ، وَقَولُهُ :

* قَعِيدَك أَن لَا تُسمِعِينِي مَلَامَةً *

---

(١) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ت . د/ صاحب أبو جناح ١ : ٥٢١، ٥٢٢ .

" أنْ " فيهِ زائِدة ، ورُبّما قيلَ في قسمِ الطَّلبِ أيضاً : باللهِ لَتفعلَنّ ولنفعلَنّ فيكونُ خبراً بمعنى الأمرِ)[١] ولَمْ يُصَرِّحْ بالنـوعِ الثّاني من أنواعِ القَسَمِ .

وقالَ ابنُ أبي الرّبيعِ (اعلمْ أنّ جوابَ القَسَمِ لا يكونُ إلاّ خبـراً ، لأنّه يُؤكّدُ بجملةِ القَسَمِ)[٢] .

وقالَ ابنُ هِشامٍ فيما يُشترطُ فيهِ أنْ يكونَ جملةً خبريّةً ، وما يُشترطُ فيهِ أنْ يكونَ جُملةً إنشائيّةً (فالأوّلُ كثيرٌ كالصِّلةِ ... أوْ جواباً للقسَمِ غيرِ الاستعطافي ، ومن الثّاني جوابُ القسَمِ الاستعطافي كقَولِه :

بربِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إليكَ لَيلـى
قُبَيلَ الصُّبحِ أوْ قَبّلتَ فاهـا ؟[٣]

وقوله :

بعَيْشِكِ يا سَلمى ارحَمي ذا صَبابةٍ
أبى غيرَ ما يُرضِيكِ في السِّرِّ والجَهـرِ)[٣]

وقالَ في معنى (باللهِ هَلْ قامَ زَيدٌ) " أي أسألُكَ باللهِ مُستحلِفاً "[٤].

وقالَ البغداديُّ في البَيْتِ المُتَقدّمِ :

* بدِينِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إليكَ لَيلى *

(اعلمْ أنّ جوابَ قسَمِ السّؤالِ يكونُ استِفهاماً ، فإنّ قولَهُ (هَلْ ضَمَمْتَ)الخ جوابُ القَسَمِ الّذي هو بدِينِكَ . وهو قسَمُ سؤالٍ ، ويُقالُ لَهُ القسَـــمُ

---

(١) شرح الكافية في النحو للرضي ، دار الكتب العلمية ٢ : ٣٣٨ .
(٢) البسيط في شرح جمل الزجاجي ٢ : ٩١٣ .
(٣) مغني اللبيب لابن هشام ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ٢ : ٥٨٤ .
(٤) مغني اللبيب ١ : ١٠٦

الاسْتِعْطَافِي يَسْتَعْطِفُ بِهِ المُخَاطَبُ)[1] وَنَقَل مَا تَقَدَّم مِنْ كَلَامِ ابنِ عُصْفُور وَعَلَّق عَلَيهِ بِقَولِه (وَقَولُهُ إنّ مِثْلَ هَذَا اسْتِعْطَاف وَلَيْس بِقَسَمٍ هُو الظَّاهِرُ وَلَا شَكّ أَنّ كَوْنَهُ قَسَماً غَيرُ مَذُوق)[1].

---

(١) خزانة الأدب ٤: ٢١٠ ، ٢١١ ط/ بولاق .

جُمْلَةُ القَسَمِ بَيْنَ الخَبَرِ والإِنْشَاءِ

اختَلَفَ النُحاةُ في جُمْلَةِ القَسَمِ أَ هي خَبَرِيَّةٌ أَمْ إِنْشَائِيةٌ . فَذَهَبَ إلى الأولِ ابنُ جِنّي (١) وأبو عَلِي الشَلَوبِين ما لَمْ يَصحبِ القَسَمَ سُؤالٌ (٢) ، وابنُ عُصْفُور (٣) وابنُ أَبِي الرَّبيعِ (٤) ، وإلى الثَاني ذَهَبَ ثَعْلَبُ (٥) ، وابنُ جِنّي فِيمَا عَزَاهُ إِليهِ البَغْدَادِي (٦) ، والصَيْمَري (٧) وابنُ يَعيْش (٨) ، وابنُ الحَاجِب (٩) ، وابنُ هِشَام (١٠) ، والزَرْكَشِي (١١) والسَيُوطِي فِي نَقْلِه عَنِ القَرَافِي الإِجماعَ عَلَى أَنَّه إِنشَاءٌ (١٢) والشيخُ مُحَمَّد بن أَحْمَد المَعْرُوف بابنِ النَجّار (١٣) .

واحْتَجَ ابنُ عُصْفُور لِمَنْ جَعَلَ جُمْلَةَ القَسَمِ خَبَرِيَّةً بِقَوْلِهِ (وَقَوْلُنَا : كِلْتَاهُمَا خَبَرِيَّةٌ ، يَعْنِي أَنَّ جُمْلَةَ القَسَمِ والجَوابِ إِذا اجْتَمَعَا كَانَ مِنْهُمَا كَلَامٌ مُحْتَمِلٌ لِلصِدقِ وَالكَذِبِ نحو : واللّهِ لَيَقُومَنَّ زَيْدٌ ، أَلا تَرى أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هذا الكَلامُ صَادِقاً وأَنْ يَكُونَ كَاذِباً ، فإِنْ جَاءَ مَا صُورَتُهُ كَصُورَةِ القَسَمِ وَهو غَيرُ مُحْتَمِلٍ لِلصِدقِ والكَذِبِ حُمِلَ عَلَى أَنَّه لَيْسَ بِقَسَمٍ ". (١٤)

---

(١) اللُّمع ٢٤١ .
(٢) التوطئة ٢٣٦ .
(٣) شرح جمل الزجاجي ١ : ٥٢١ .
(٤) البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩١٣ .
(٥) مغني اللبيب ٢ : ٤٠٥ .
(٦) خزانة الأدب ٤ : ٢١٠ ، ٢١١ ط/ بولاق شرح الجمل ١ : ٥٢٢ .
(٧) التبصرة والتذكرة للصيمرى ط/ الأولى ١ : ٤٥٠ ، ٤٥١ .
(٨) شرح المفصل ٩ : ٩١ .
(٩) الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ت د/ موسى بناني ٢ : ٣٢٢ .
(١٠) مغني اللبيب ٢ : ٤٠٠ ، ٤٠٦ .
(١١) البرهان في علوم القرآن ٢ : ٣٧٤ .
(١٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٣٧٤ .
(١٣) شرح الكوكب المنير لابن النّجار ت . د/ محمد الزّحيلي ، د/ نزيه حمّاد ٢ : ٣٠٠ ، ٣٠١ .
(١٤) شرح الجمل ١ : ٥٢١ .

قَالَ ابنُ يَعِيش في تَعلِيلِه : (وَعَقدُ الخَبَرِ خِلَافُ عَقدِ القَسَم ، لأنكَ إذا قُلتَ : أَحلِفُ بِاللهِ عَلى سَبِيلِ الخَبَرِ كَانَ بِمَنزِلَةِ العدةِ كأنكَ سَتَحلِف ، وكذلك إذا قُلتَ : حَلَفتُ فإنكَ إنما أخبرتَ أنكَ قَدْ أقسمت فيما مَضَى ، وهو بمنزلةِ النداء إذا قُلت (يا زيدُ) فأنت مُنادٍ غيرُ مُخبِر، ولو قلت : أُنادِي ونويت النداء لَمْ يَكُن النداءُ مخبراً ، فكذلك إذا قُلتَ أحلِفُ باللهِ أو أُقسِمُ ونويتَ القسمَ كُنتَ مُقسِماً ولَمْ تكُنْ مُخبِراً ، إلّا أنها وإنْ كَانَتْ جُمْلَةً بلفظِ الخَبَرِ - والجملةُ عبارةٌ عن كلامٍ مُستَقِلٍ - فإنَّ هـذه الجملةَ لا تَستَقِلُ بنفسها حتى تُتبع بما يُقسَمُ عَلَيهِ).(١)

وَنَقلُ ابنُ هشامٍ في تعليلِ قولِ ثَعلَب (فقيل في تَعلِيلِه : لأنَّ نحو " لأَفعَلَنَّ " لامحلَ لَهُ ، فإذا بُني عَلَى مُبتَدأ فَقِيل " زيدٌ ليَفعَلَنَّ " صَارَ لَهُ مَوضِع ، وليس بشيءٍ ، لأنَّه إنما مَنَع وقوعَ الخبرِ جملةً قسمية لا جملةً هي جواب القسم ، ومرادُه أنَّ القسمَ وجوابَه لا يكونان خبراً ، إذ لا تنفكُ إحداهما عن الأخرى ، وجُملتا القسمِ والجوابِ يُمكِنُ أنْ يكون لهما محلٌ من الإعرابِ كقولِك (قَالَ زيدٌ أُقسم لأفعَلَنَّ) . وإنما المانعُ عنده إمّا كون جملةُ القسمِ لا ضميرَ فيها فَلَا تكونُ خبـراً ، لأنَّ الجملتين هما هنا ليستا كجُملتي الشرطِ والجزاءِ ، لأنَّ الجملةَ الثانيةَ ليست معمولةً لشيءٍ من الجملةِ الأولى ، ولهذا مَنَع بعضُهم وقوعَها صلةً ، وإمّا كون الجملةُ - أعني جملةَ القسمِ - إنشائيةً والجملةُ الواقعةُ خبراً لا بدَ من احتمالِها للصدقِ والكذبِ ، ولهذا مَنَع قومٌ مِن الكوفيين - منهم ابن الأنبارى - أنْ يُقال " زيدٌ اضرِبْ - وزيدٌ هل جاءَكَ ".

---

(١) شرح المفصل ٩ : ٩٠ ، ٩١ .

ثم قال ابنُ هشام (وبعد فعندي أنّ كلاً مِنْ التعليليين مُلغي :

أمّا الأول فلأنّ الجملتين مرتبطتان ارتباطاً صادقا به كالجملةِ الواحدةِ ، وإنْ لم يكُنْ بينهما عملٌ ، وزعم ابنُ عصفور أنّ السماعَ قد جاءَ بوصلِ الموصولِ بالجملةِ القسميةِ وجوابِها ، ...

وأمّا الثاني فلأنّ الخبرَ الذي شرطه احتمال الصدقِ والكذبِ الخبر الذي هو قسيم الإنشاءِ لا خبرَ المبتدأ ، للاتفاق على أنّ أصلَه الإفراد ، واحتمال الصدق والكذب إنّما هو من صفات الكلام ". (١)

ولتبين حقيقة جملة القسمِ أخبريةٌ هي أم إنشائيةٌ أُشير إلى حدّ الخبرِ والإنشاءِ وفي ذلك قال ابنُ هشام (ينقسمُ الكلامُ إلى ثلاثةِ أنواعٍ : خبرٌ وطلبٌ وإنشاءٌ . وضابط ذلك إنّما أنّه يحتملُ التصديقَ والتكذيب أو لا ، فإنْ احتملها فهو الخبرُ نحو : قام زيدٌ ، وما قام زيدٌ ، وإنْ لم يحتملها فإمّا أن يتأخرَ وجودُ معناه عن وجودِ لفظه أو يقترنا ، فإنْ تأخر عنه فهو الطلب ، نحو : - اضربْ - ولا تضربْ - وهل جاءكَ زيدٌ - وإنْ اقترنا فهو الإنشاءُ ، كقولِك لعبدِك - أنت حرٌ - وقولك لمن أوجَبَ لك النكاحَ - قبلتُ النكاحَ .. " (٢)

---

(١) مغني اللبيب ٢ : ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٢) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام ٣٨٥ (هـ وانظر شرح الكوكب المنير ٢ : ٣٠٦ .

والذي أراه في جملةِ القسمِ أنها إنشائيةٌ غيرُ طلبية ،وإنْ كانت بلفظِ الخبرِ ،وهي في ذلك كقولك " بعتُك الثوبَ " وقولهم في الدُعاء: " غفَر اللّهُ لك " اللفظُ خبرُ والمعنى إنشاء ، أمّا جُملةُ الجوابِ فخبريةٌ مُوءكَدَةٌ بها ، وهذا من الخصوصيات التي انفردَ بها القسمُ إذ لا يُوءكَدُ الخبرُ إلاّ بمثلِه ولا الإنشاءُ إلاّ بمثلِه إلاّ في هذا الباب فإنّ الانشاءَ يوءكِدُ الخبرَ . أمّا إنْ جاءَ الجوابُ جملةٌ إنشائيةٌ فإنّ القسَمَ مَعَهُ ليس على حقيقتِهِ .

وبجعل الأولى إنشائية والثانية خبرية قال ابنُ هشام.(١)

---

(١) مغني اللبيب ٢ : ٤٠٦ .

ألفاظ القسم

لا يكون القسمُ إلاّ باسمِ اللّهِ عزّ وجل أو صفةٍ من صفاتِه ، وكانت العربُ في الجاهليةِ تُقسِم بأشياءَ كثيرةٍ كانت تُعظِّمُها ، ومن أقسامِهم في المفضليات قول المُخَبَّل السَّعدِي :(١)

إنّي وَجَدّك ما تَخلدُني
مائةٌ يَطيرُ عفاؤُ هَا أُدُمُ

واعترضَ قولُه " وجَدّك " بين اسم إنّ وخبرها .

إلاّ أنّ مثلَ هذه الأقسامِ غيرُ جائزةٍ شرعاً ، حيثُ أنكرَها عليهم الإسلامُ ولم يُقرّهم إلاّ على الحلفِ باللّهِ ، وجعلَ ما سواه مُحرّماً . وَقَد أقسمَ اللّهُ عزّ وجل بنفسِه من ذلك قوله تعالى * قُلْ بَلَى وَرَبِي لَتُبْعَثُنَّ *(٢) وقوله * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ *(٣) .

وأقسَم بعَمْرِ رسولِه صَلّى اللّهُ عليهِ وَسَلّم في قولِه عزّ وجل :
* لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ *(٤) وأقسم بكثيرٍ من مخلوقاتِه كالتينِ والزيتونِ والطورِ والذارياتِ والعادياتِ والنجمِ والليلِ والضُحى والقمرِ وغيرِ ذلك . ولِلّهِ عزّ وجلَ أنْ يُقسِمَ بما شاءَ من مخلوقاتِه .

---

(١) المفضلية ٢١ البيت ٣٧ .
(٢) سورة التغابن آية ٧ .
(٣) سورة المعارج آية ٤٠ .
(٤) سورة الحجر آية ٧٢ .

وللقسم ألفاظٌ عديدةٌ منها ما هو للقسم ، ومنها ما يجرى مَجْرَاهُ ضمن أفعالِ القسمِ ، أُقسَمَ ، وآلى ، وائتلى ، وحلَف ، وهذه الأربعة ذكرها ابنُ سِيْدَه [١] ، وشاهدُ استعمالِ أُقْسِمُ في المفضليات قول الحارث بن ظالم [٢]:

فأُقْسِمُ لَوْلَا مَنْ تَعَرَّضَ دُونَهُ
لَخَالَطَهُ صَافِي الحَدِيدَةِ صَارِمُ

واستُعْمِل المصدرُ منه ، وشاهِدُه قول الحَادِرَة [٣]:

وَلَدَيَّ أَشْعَثُ بَاسِطٌ لِيَمِينِهِ
قَسَماً لَقَدْ أَنْضَجْتَ لَمْ يَتَوَرَّعِ

واستُعمل الفعل " آلى " وشاهدُه قول جَابِر بن حُنَيٍّ [٤]:

فَيَوْمَ الكُلَابِ قَدْ أَزَالَتْ رِمَاحُنَا
شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى أَلِيَّةَ مُقْسِمِ

واستُعمل اسمُ الفاعلِ من " حَلَف " وليس فيه قسمٌ وشاهدُه قول الكَلْحَبَة العُرَنِي [٥]:

كُمَيْتٌ غَيْرُ مُحْلِفَةٍ وَلَكِنْ
كَلَوْنِ الصِّرْفِ عُلَّ بِهِ الأَدِيمُ

---

(١) المخصص ٤: ١١٤.
(٢) المفضلية ٨٨ البيت ٢ .
(٣) المفضلية ٨ البيت ٢١.
(٤) المفضلية ٤٢ البيت ٣.
(٥) المفضلية ٣ البيت ٥.

جاء في معنى "مُحْلِفة" أي لا يشكُّ فيها شاكٌ ، ولا يختلف فيها اثنانُ ، فيحلفُ أحدهما أنها كُميت ، ويحلف الآخرُ أنها ليست بكُميت.(١)

أمّا الألفاظُ التي تجري مَجْرى القسمِ فكثيرةٌ ، قال سيبويه : (واعلم أنّ من الأفعالِ أشياءَ فيها معنى اليمينِ ، يجري الفعلُ بعدَها مَجْراها بعد قولِك واللّهِ ، وذلك قولُك : أُقسم لأفعلَنّ ، وأشهدُ لأفعلَنّ ، وأقسمْتُ باللّهِ عَلَيك لَتَفْعلَنّ ".(٢) وقال " تقولُ أشهدُ إنّه لمُنطَلِقٌ ، فأشهدُ فيه بمنزلةِ قوله : واللّهِ إنّهُ لذاهبٌ ".(٢) ، وقال " وهذه كلمةُ تكلّم بها العرب حال اليمينِ وليس كلّ العرب تتكلّمُ بها تقول : لهنك لرجلٌ صِدْقٌ ، فهي إنّ لكنهم أبدلوا الهاء مكان الألف ".(٢) ، ومما ذكره فيما جرى مَجْرى القسمِ : " نشدتُك اللّهَ " و" استحلفه ليفعلُنّ " و" حلف ليَفْعلَنّ " ، والميثاقَ(٢) ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾(٣) و" لَعَمْرُ اللّه " و" ايمُ اللّه " و" ايمُن الكعبةِ " عند بعضِ العربِ و" عليّ عَهدُ اللّه " ، و" يعلمُ اللّهَ " و" عِلم اللّه ".(٤)

---

(١) شرح المفضليات ١ : ٩٦.

(٢) الكتاب ٣ : ١٠٤ / ٣ ؛ ١٤٦ / ٣ ، ٣ : ١٥٠ / انظر ٣ : ١٠٦.

(٣) سورة البقرة آية ٨٣.

(٤) الكتاب ٣ : ٥٠٢ - ٥٠٤.

وذكر الزجاجُ فيما استعمل القسمِ في التنزيلِ "الميثاق" ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُم لَا تَسْفِكُون دِمَاءَكُم ﴾ (١) ، و "علم" ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لِمَن اشْتَرَاهُ ﴾ (٢) ، و "كتب" ومنه قوله تعالى ﴿ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُم ﴾ (٣) و "لَعَمْرك" ومنه قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُم لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون ﴾ (٤) ، و "ظن" ومنه قوله تعالى ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٥).

ومما جرى مَجْرى القسم "كلا لأَنْطَلِقَنَّ" فيما ذكره ابن الأنبارى ، قال "فإنما أقسموا بها لأنهم أجروها مُجْرَى حق ، والحقُ معظمٌ في النفوسِ". (٦)

وذكر ابنُ عقيل "عاهدتُ" و "واثقت" و "قعدك اللّه" ، وقعيدك" و "يقينا" و "الحق" (٧) وحكى عن ثعلب "قضاء الله". (٨)

----

(١) سورة البقرة آية ٦٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٠٢.

(٣) سورة الانعام آية ١٢ .

(٤) سورة الحجر آية ٧٢.

(٥) سورة السجدة آية ٤٨.
انظر إعراب القرآن المنسوب للزجاج ت/ إبراهيم الأبيارى ٣ : ٩٥٨ - ٩٦٥.

(٦) الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنبارى ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ١ : ٤٠٠ .

(٧) المساعد ٢ : ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(٨) انظر شفاء العليل ٢ : ٦٨٥.

وذكر ابن سِيدَه "جيرآتيك" و"عوض لا آتيك" و"أجدَك وأجَدّك" و"عزمتُ عليك" و"لاجرم" و"بِعزّي وبِعزّك" في نوادر القسم. (١)

بالنظر إلى هذه الألفاظِ الجارية مَجْرى القسم نرى أنّها إمّا جملة فعلية، أو جملة اسمية، كما نجد أنّ بعضَها متفق على إجرائه مُجْرى القسم، والبعض الآخر يشترط فيه النية.

قال القُرْطبي "واختلفوا في وحقّ اللّه وعظمة اللّه وقدرة اللّه وعلمِ الله ولعمر اللّه وايم اللّه، فقال مالك: كلُّها أيمانٌ تجب فيها الكفّارةُ. وقال الشافعي في وحقّ الله وجلال الله وعظمة الله وقدرة الله يمينٌ إنْ نوي بها اليمين، وإنْ لم يرد فليست بيمينٍ، لأنّه يحمل وحقّ الله واجب وقدرته ماضيه.

أمّا أمانةُ الله فليست بيمين، ولعمر الله وأيم الله إنْ لم يرد بها اليمين فليست بيمين... وكذلك عهدُ الله وميثاقه وأمانته ليست بيمين. وقال بعض أصحابه هي يمين.. وعلم الله لم يكن يمينا في قول أبي حنيفة وخالفه صاحبه أبو يوسف فقال يكون يمينا". (٢)

والذي أراه أن الأفعالَ «حلف، وأقسم، وآلى» للقسمِ وما سواها يجرى مَجْرَاها ونجد للنحاة والمفسرين حديثا في "شهد" نرى أنّه لابدّ من الاشارةِ إليه في هذا الموضع. قال سيبويه "ويجوزُ في الشعر أشهدُ أنّ زيداً ذاهبٌ، يشبهها بقوله واللّهِ إنّه لذاهبٌ، لأنّ معناها معنى اليمين". (٣)

---

(١) المخصص ٤: ١١٦-١١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط/ الثانية ٦: ٢٠٧.

(٣) الكتاب ٣: ١٥٠

وقال المُبَرِّد " كما أنك تقول : علم اللّه لأفعَلَنّ ، ف " علم " فعل ماض ، واللّهُ - عزّ وجل - فاعله ، فإعرابُه كإعرابِ رزقَ الله ، إلاّ أنك إذا قلتَ عَلِم الله - فقد استشهدت ، فلذلك صار فيه معنى القسم ".(١)

وقال القُرطُبِي في قوله تعالى ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾(٢) أى : يمينُنا أحقُ من يمينيهما فصحَّ أنّ الشهادةَ قد تكونُ بمعنى اليمين ".(٣)

وقال : أبو حيان " أي فيقسم الآخران القائمان مقام شهادة التحريف أنّ ما أخبرا به حقّ ، ...

وقال ابنُ عباس : ليميننا أحق من يمينيهما ، ومن قال الشهادة في أولِ القصةِ ليست بيمينٍ قال هنا الشهادة يمين ، وسُمِيت شهادةُ لأنّها يثبتُ بها الحكم كما يثبتُ بالشهادةِ ".(٤)

وقال في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾(٥)
" قالوا : يشهد يجرى مَجْرى اليمين ، لذلك تلقى بما يتلقى به القسم ".(٦)

وفي اللسان : وقولهم " أشهد بكذا أى أحلف ".

---

(١) المقتضب ٢ : ٣٢٥ .
(٢) سورة المائدة آية ١٠٧ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٦ : ٣٥٦ ، ٣٦٠ .
(٤) البحر المحيط لأبي حيان مكتبة النصر ٤:٤٦ ، ٤٧ .
(٥) سورة المنافقين آية ١ .
(٦) البحر المحيط ٨ : ٢٧١ .

وقوله تعالى * فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ * (١)
معناها اليمين هنا ". (٢)

وقد تتبعت الفعل " شهد " في القرآن الكريم وقد كسرت (٣)
بعده همزة (إنّ) وفتحت (٤) وهي حين الفتح يُقدر معها حرف
الجرِ وتكون متعلقة بالفعل أمّا عند الكسر فهي محتملة لكونها جوابـــا
للقسم ،قال ابن مالك في ألفيته :

فاكسِر في الابتدا ، وفي بَدْءِ صلة
وحيث "إنّ" ليمين مُكمِلـــة (٥)

وذكرتها في هذا الموضع إذ جعلها بعضهم أصلا للقسم (٦)
وليست كذلك بل هي جارية مجرى اليمين شأنها في ذلك شأن
غيرها من الأفعال التي ليست نصاً في اليمين إلاّ أنّها تُجاب بجوابه.

----

(١) سورة النور آية ٦.
(٢) لسان العرب ٢ : ٢٣٩ مادة (شهد).
(٣) سورة التوبة آية١٠٧ / سورة يوسف آية٢٦ / سورة المنافقون آية ١ / سورةالحشر آية ١١ .
(٤) سورة آل عمران آية ٨٦ ، ١٨ / سورة الأعراف ١٧٢ ، ٣٧/ سورة الأنعام ١٣٠ ، ١٩.
(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط/ الثانية ١: ٢ - ٣.
(٦) هو الأستاذ كاظم فتح الراوي في أساليب القسم في اللغـــة العربية ٣١ ، ٣٢./ ٩٧ ١٣هـ

حروفُ القسم والتعويضُ منهـــا

للقسمِ حروفٌ وهي :

الباء ، وهي الأصْل لأنَّها تُلصق فعل القسم بالمقسم به ، قال تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ (١) ومنه قـــــول الشاعر :

﴿ أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُوحَفْصٍ عُمَرْ ﴾ (٢)

وتدخل على كل مقسم به مضمراً كان أو مظهراً ، فيُقال " به لأفعَلَنَّ " و " باللَّهِ لأضرِبَنَّ زيداً " ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ (٣) ولا يُستعمل في الطلبِ غيرُها ، ويجوز حذفها . (٤)

الواو ، وهي أكثر في الاستعمال من الباء (٥) وبدلاً منها ، وأبدلت منها لأمرين " أحدهما : أن معنى الباء قريب من معنى الواو ، لأنَّ الواو للجمع والباء للإلصاق ، والإلصاق جمع في المعنى الآخر أنَّها من حروف مقدم الغم ". (٦)

----

(١) سورة الأنعام آية ١٠٩ .

(٢) أنظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٢١٩ .

(٣) سورة المعارج آية ٤٠ .

(٤) أنظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ، ط/ دار المعرفة ٢ : ٣٨ /

(٥) أنظر الكتاب ٣ : ٤٩٦ / الأصول في النحو لابن السرَّاج ، ط/ الأولى بيروت ١ : ٤٣٠ .

(٦) شرح الجمل ١ : ٥٢٥ .

وهي أقل درجة من الباء ، فلا يظهر الفعل معها ، فلا يقال : " أقسم والله " ولا يُجر بها إلاّ المظهر.(١)

وخالف السُهَيلي في كون الواو بدلاً من الباء ،وهي عنده عاطفة كواو رب ،ولو كانت بدلاً منها لما اختلفا في الحركة ،كما لم تختلف حركة الهمزة المبدله من الواو في اشاح وأشاح.(٢)

وخالف ابن كَيْسَان في ظهور الفعل معها فأجازه ،إذ لا يمتنع عنده أن يقال " أقسم والله لا فْعَلَنَّ "(٣) . ورده أبوحيان بقوله : " ولم يُحفظ ذلك ،فإن جاء فمؤول على أنَّ حلفت كلام تام ثم أتى بعده بالقسم ".(٤)

التاء ، ولا تدخل إلاّ على لفظ الجلالة " الله " والفعلُ معها مضمرٌ ، من ذلك قوله تعالى ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾(٥) و ﴿ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾(٧) وهي بدل من الواو كما أُبدلت منها في " تراث " إذ أصلها ورات و" أتقى " إذ أصلها " أوقى " وقد تأتي وفيها معنى التعجب.(٨)

---

(١) انظر البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩٢٥.

(٢) انظر همع الهوامع ٢ : ٣٩.

البسيط في شرح الجمل ٢: ٩٢٥ .

(٣) شرح الجمل ١: ٥٢٠.

(٤) همع الهوامع ٢ : ٣٩.

(٥) سورة يوسف آية ٩١.

(٦) سورة الأنبياء آية ٧٥ .

(٧) انظر الأصول ١: ٤٣٠.

" وحكى الأخفش دخولها على الرب ، حكى من كلامهم : تَرَبِّ الكعبةِ لأفعلنّ كذا ".(١)

وذكر الرضيّ والسيوطيّ أنّ ما سُمِع من قولهم " تالرحمن " و " ترَبِّ الكعبةِ " و " تربي " أنها شاذة .(٢)

مما تقدم نرى أنّ الأصلَ في حروف القسم هو الباء ،فكان لها من الشمول في الاستعمال ما لا يوجد في غيرها ، فجرّت الظاهر والمضمر ، ويُحذف الفعل معها ويُذكر ،ولا تشاركها في قسم السؤال سائرُ الأدوات ، واقتصرت الواو والتاء على جرّ الظاهرِ وامتنع معها ذكر الفعل ، ثم زادت " الواو " على التاء حيث تجر الواو كل مُقْسم به ،وتقتصر التاءُ على جرّ اسم الله تعالى . قال ابنُ مالِك :

بالظاهرِ اخْصُصْ : مُنْذُ ،مذ ،وحتّى
والكافَ ،والواو ،ورُبّ ،والتّـا
واخصص بمُذْ ومُنذُ وقتاً ،وبـرُبّ
مُنْكراً ،والتاء لله ، ورَبّ (٣)

اللام ،وهي للقسم مصحوباً بالتعجب ،ولا يظهر الفعل معها ، وتختص باسم الله تعالى ،قال أميةُ بن أبي عائِذ الهُذَليّ :

---

(١) شرح الجمل ١ : ٥٢١ .
(٢) انظر شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٤ / همع الهوامع ٢ : ٣٩ / الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣٩٧ .
(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ١٠ .

لله يَبقى على الأيّامِ ذو حَيَدٍ
بمُشمَخِرٍّ به الظَّيّانُ والآسُ (١)

مِن : مكسورة الميم أو مضمومتها .

قال سيبويه : " واعلم أنّ من العرب من يقول : مِنْ ربّي لأفعلنّ ذلك ، ومُن رَبّي إنّك لأشِرٌ ، يجعلها في هذا الموضع بمنزلة الواو والباء في قوله : واللهِ لأفعلنّ ولا يدخلونها في غير رَبّي ". (٢)

وهي حرف جر عندَه (٢) وبه قال الرُّمانيُّ (٣) وقد تُستعمل " مَن ومِن " بفتحتين وكسرتين . وذكر الرَّضيُّ أنّ الضم لدلالة تغير معناها وخروجها من بابها ، ومذهب الكوفيين أنّ المضمومة الميم مقصورة من " أيمن " والمكسورتها من يمين (٤) وبعض الكوفيين على أنّ " أيمن " جمع " يمين " وهمزته قطع (٥) وعليه ابن كَيْسان وابن دَرَسْتَوَيْه وأجازه السيرافي (٦) والزجاج (٧).

والبصريون على أنه اسم مفرد مشتق من " اليمن " وهمزته وصل . (٨)

---

(١) أنظر الكتاب ٣ : ٤٩٧ / المقتضب ٢ : ٣٢٤ .

(٢) الكتاب ٣ : ٤٩٩ / أنظر ٣ : ٤٩٦ ، ٤٩٩ .

(٣) معاني الحروف لأبي الحسن الرماني ت . د / عبد الفتاح اسماعيل شلبي ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) انظر شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٥) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٤٠٤-٤٠٩ .

(٦) شرح المفصل ٨ : ٣٦ .

(٧) أنظر المخصص ٤ : ١١٢ .

(٨) أنظر الإنصاف ١ : ٤٠٤-٤٠٩

وذكر ابن الأنباري أن فيه لغاتٍ كثيرةً تنيف على عشر لغات "أَيْمُنُ اللَّه" و "إِيْمُنُ اللَّه" و "أَيْمُ اللَّه" و "إِيْمُ اللَّه" و "أَمُ اللَّه" و "مُ اللَّه" و "مَ اللَّه" و "مِ اللَّه" و "لَيْمُنُ اللَّه" و "مُنُ اللَّه" "مُنْ رَبِّي" و "مِنْ رَبِّي" (١) وذكر السيوطي عشرين لغة فيها ونسب بعضها (٢) وابنُ عُصْفُور على أنّ "مُن" ليست من بقية أيمن، وأبطله لأمرين :

أحدهما : أنها لا تضاف إلاّ إلى الله فيُقال : أيمُن اللَّه، ومُن لا تدخل إلاّ على الرب .

الآخر : أن أيمناً مُعرب، والاسم المعرب إذا نقص منه شيء بقي ما بقي منه مُعْرَبا، فلو كانت من بقية أيُمن لكانت مُعربةً، فبناؤها على السكون دليل على أنها حرف". (٣)

الميم، مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة. (٤)

قال سيبويه : "واعلم أن بعض العرب يقول : مُ اللَّه لأفْعَلَنَّ، يريد أيْمُ اللَّه". (٥) ولعل الزمخشري لم يقف على قول سيبويه المتقدم إذ يقول "تقول مِ اللَّه و مُ اللَّه كما تقول تاللَّهِ، ومن الناس من يزعم أنها من أيْمن". (٦) وإليه ذهب ابن عصفور. (٧)

---

(١) الإنصاف ١ : ٤٠٩ .

(٢) أنظر همع الهوامع ٢ : ٣٩، ٤٠/ انظر لسان العرب ١٣ : ٤٦٣ مادة (يمن) .

(٣) شرح الجمل ١ : ٥٢٤ .

(٤) أنظر تسهيل الفوائد ١٥١ .

(٥) الكتاب ٤ : ٢٢٩ .

(٦) المفصل في علم العربية للزمخشري، ط/الثانية ٤٤٦ .

(٧) شرح الجمل ١ : ٥٢٤ .

قال ابنُ يعيش : " ومنهم من يبقي الميم وحدها فيقول : مُ اللّه ، ومنهم من يكسر الميم لأنها لما صارت على حرف واحد شبهها بالباء فكسرها ، لأنها قسم يعمل في الجر فأجراها مُجْرَاها ، وقد ذهب قوم إلى أن الميم في " مُ الله " بدل من الواو ، وقالوا : لأنها من مخرجها وهو الشفة وقد أبدلت منها في فم ".(١)

ورَدّ ابنُ مالك كونها بدلا من الواو ، وأن أصلها " من ".(٢)

وقال السيوطيّ : " والأصح أن " م " ليست بدلا عن الواو ولا أصلها من ولا أيمن . وقيل هي بدل من الواو كالتاء لكونهما شفهيتين رُدّ بأنه لو كان كذلك للزمت الفتح (التاء) وإبدال التاء من الواو معروف مطرد كاتصف واتصل وغير مطرد كتراث وتجاه . ولم تُبدل الميم منها إلاّ في موضع شاذ وهو فم ، وفيه مع شذوذه خلاف. وقال الزمخشريُّ هي من الداخلة على ربي حذفت نونها . ورده ابنُ مالك بأنها لو كانت لجاز دخولها على ربي كالأصل وأجاب أبو حيان بأنه قد سمع ذلك ".(٣)

----

(١) شرح المفصل ٨ : ٣٦ ، ٣٧.

(٢) تسهيل الفوائد ١٥١.

(٣) همع الهوامع ٢ : ٤٠ وقوله " قال الزمخشرى - نقلا من المفصل ٣٤٦/ وانظر لسان العرب ١٣ : ٤٦٢ ، ٤٦٣ مادة " يمن ".

التعويض من حروف القَسَم

للقسم تعويضاتٌ تنوب عن حروفِهِ وهي :

١ - ها التنبيه :

قال سيبويه " وذلك قولك أيْ ها الله ذا ، تثبت ألف ها لأنَّ الذي بعدها مُدغم ومن العرب من يقول : أي هللهُ ذا فيحذف الألف التي بعد الهاء ، ولا يكون في المقسم ههنا إلاّ الجر ، لأنَّ قولَهم : ها صار عوضا من اللفظ بالواو ، فحُذفت تخفيفا عن اللسان .. وأمّا قولهم : ذا ، فزعم الخليل أنه المحلوف عليه ، كأنه قال : أي واللّهِ للأمر هذا ... وقال زهير :

تعلَّمَنْ ها لَعَمْرُ اللَّهِ ذا قَسَماً
فاقْصِدْ بِذَرْعِك وانْظُر أيْنَ تَنْسَلِكُ (١)

وحذف الألف من " ها " التنبيه ليس غريبا في الاستعمال فقد ورد في قوله تعالى ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ المُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) وفي قوله تبارك وتعالى ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ (٣) ، ويُؤكِد حذف الألف قراءة ابن عامر " أيه " بضمها. (٤)

---

(١) الكتاب ٣ : ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

(٢) سورة النور آية ٣١ .

(٣) سورة الرحمن آية ٣١ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٢ : ٢٣٨ / ١٧ : ١٦٩ .

قال المُبَرِّد "أراد تعلمن ها لَعَمْرُ اللّه هذا قسما فقدم ها".(١)

وقال الرَضِيّ "والظاهر أنّ حرف التنبيه من تمام اسم الاشارة ،قُدِّم على لفظ المُقْسَم به عند حذف الحرف ليكون عوضاً منها".(٢)

"وقال الخليلُ ذا من جملة جواب القسم وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذا ، أو فاعل ليكونن ذا ،... وقال الأخفش ذا من تمـــام القسم أما صفه للـــهِ ،أي اللّـــه الحاضر الناظر ،أو مبتدأ محذوف الخبر أي : ذا قسمي".(٣)

وذكر فيها الرضيّ أربعة أوجـه :

الأول : إثبات ألف ها وحذف همزة الوصل من اللّهِ ،وهو أكثرها.

الثاني : ها اللّه ذا بحذف ألف ها للساكنين ، كما في ذاللّـــه وما اللّه ولكونهما حرفاً كلا وما وذا وهو متوسط بين الكثـــرة، والقلة.

الثالث : إثبات ألف ها وقطع همزة اللّه مع كونها في الدرج على أن حق ها أن يكون مع ذا بعد الله فكأن الهمزة لم تقع في الدَرج وهي أقل من الثانية.

الرابع : محكي عن أبي علي وهي هأ اللّه بحذف همزة الوصل وفتح ألف ها للساكنين بعد قلبها همزة كما في الضألين ،ودأبه.(٤)
وهي أقل اللغات.(٥)

---

(١) المقتضب ٢ : ٣٢٢.

(٢) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٥.

(٣) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٦ / وانظر المفصل ٣٤٨ ، ٣٤٩ / شرح المفصل ٩ : ١٠٦.

(٤) وهي لغة بكر بن وائل .

(٥) انظر شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ / شرح المفصل ٩ : ١٠٦.

٢ - همزة الاستفهام :

قال سيبويه " ومثل ذلك قولهم : آللهِ لأفْعَلَنَّ ، صارت الألف ههنا بمنزلة ها ثُمَّ ".(١)

وقال المُبَرِّد " ومن هذه الحروف ألف الاستفهام إذا وقعت على اللّه وحدها ، لأنه الاسم الواقع على الذات وسائر أسماء الله -عز وجل - إنما تجرى في العربية مُجْرى النعوت . وذلك قولك : آللّهِ لَتَفْعَلَنَّ ".(٢)

٣ - قطع همزة اللّه مسبوقة بفاء قبلها ألف استفهام :

قال سيبويه " وقد تعاقب ألف اللام حرف القسم كما عاقبته ألف الاستفهام وها ، فتظهر في ذلك الموضع الذى يسقط في جميع ما هو مثله للمعاقبة ، وذلك قولك : أفَأللّهِ لَتَفْعَلَنَّ ".(٣)

وقال ابنُ يعيش " فجعلوا الألف عوضا وتقطعها كما مددتها في (آلذَّكَرَيْنِ) لتفرّق بين الأمرين الخبر والاستخبار ، وكذلك تفرّق ههنا بقطع الهمزة بين العوض وتركه ".(٤)

والزمخشرى على أن هذه الأحرف عوض من الواو(٥) والعوض لا يكون إلاَّ في اسم اللّه تعالى.(٦)

----

(١) الكتاب ٣ : ٥٠٠ .

(٢) المقتضب ٢ : ٣٢٣.

(٣) الكتاب ٣ : ٥٠٠ .

(٤) شرح المفصل ٩ : ١٠٦.

(٥) المفصل ٣٤٨.

(٦) شرح الجمل ١ : ٥٣٢.

توسعاتُ العربِ في جملةِ القَسَم

توسعت العربُ في جملة القسم لكثرته في الكلام ، فقليلا ما تذكر جملة القسم مكتملة الأركان ، فتذكر الفعل والحرف والمُقسَم به والجواب فتقول " أقسم باللّهِ لأفْعَلَنّ " ومنه في التنزيل قوله تعالى * أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ * (١) ، وقوله تعالى * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ * (٢) وجاء منه مع الفعل " حلف " قوله تعالى * وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ * (٣) وقوله * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا * (٤).

في الآيات المُتقدمة جاء فعل القسم هو " أقسم ويحلفون " ، والحرف المقسم به وهو " بالله " والجواب وهو " إنّهم لمعكم " في الآية الاولى ، و " لا يبعث الله " في الثانية و " إنهم لمنكم " في الثالثة ، و " ما قالوا " في الرابعة .

وشاهدُ القسم المكمّل الأركان في المفضليات قول ثعلبة بن عمرو (٥) :

فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لَا يَأْتَلِي
وَأَقْسَمْتُ إِنْ نِلْتُهُ لَا يَؤُوب

---

(١) سورة المائدة آية ٥٣ .

(٢) سورة النحل آية ٣٨ .

(٣) سورة التوبة آية ٣٨ .

(٤) سورة التوبة آية ٧٤ .

(٥) المفضلية ٦١ البيت ٩ .

نجد الشاعر في الشطر الأول من البيت جاء بفعل القسم وهو قوله " أقسم " وبالحرف والمقسم به وهو قوله " باللهِ " والجواب وهو قوله " لا يأتلي ".

وأحيانا كثيرة تحذف ،وكان توسعها في الحذف كالآتي :

أولا : تذكر العرب -أحيانا - فعل القسم والمُقسَم به والحرف وتحذف الجواب ،ومن ذلك قوله تعالى ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُم إِذا انْقَلَبْتُم ﴾(١) فالمحلوف عليه محذوف .

ثانيا : حذف حرف القسم والمُقْسَم به ،وذكر الفعل والجواب، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا لاَ يَنَالُهُم اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾(٣) وقوله عزّ وجل ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصرِمُنَّها ﴾(٤) وشاهده في المفضليات قول ثَعْلَبَة بن عَمْرو :(٥)

فَأَقْسَمَ بِاللهِ لاَ يَأْتَلِي
وَأَقْسَمْتُ إِنْ نِلْتُهُ لاَ يَؤُوب

---

(١) سورة التوبة آية ٦٥.

(٢) سورة التوبة آية ١٠٧.

(٣) سورة الأعراف آية ٤٩.

(٤) سورة القلم آية ١٧.

(٥) المفضلية ٦١ البيت ٩ .

نجد في الشطر الثاني من البيت فعل القسم (أقسمت) والجواب (لا يؤوب) وحذف الحرف والمُقْسَم به ومنه أيضا قول الحارث بن ظالم : (١)

فأُقسِمُ لَوْلا مَنْ تَعَرَّضَ دُونَهُ

لَخالَطَهُ صَافِي الحَدِيدَةِ صَارِمُ

حيث حذف الحرف والمُقْسَم به ومنه قول جابر بن حُنَي : (٢)

فَيَوْمِ الكُلابِ قَدْ أَزَالَتْ رِمَاحُنَا

شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى أَلِيَّةَ مُقْسِمِ

لَيَنْتَزِعَنْ أَرْمَاحَنَا فَأَزَالَهُ

أَبُو حَنَشٍ عَنْ ظَهْرِ شَقَّاءَ صِلْدِمِ

فنجد فعل القسم وهو (آلى) والجواب (لينتزعنْ) وحذف الحرف والمقسم به .

ومنه أيضا قول الحادرة : (٣)

وَلَدَيَّ أَشْعَثُ بَاسِطٌ لِيَمِينِهِ

قَسَمًا لَقَدْ أَنْضَجْتَ لَمْ يَتَوَرَّعِ

حيث حذف حرف القَسَم والمُقْسَم به . ومنه أيضا قول الحُصين بن الحُمام : (٤)

لأُقْسِمُهُ لاَ تَنفَكُّ مِنِّى مُحارِبٌ عَلَى آلةٍ حَدْبَاءَ حَتَى تَنَدَّمَا

---

(١) المفضلية ٨٨ : ٢ .

(٢) المفضلية ٤٢ البيت ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) المفضلية ٨ البيت ٢١ .

(٤) المفضلية ١٢ : ١٩ .

ثالثا : حذف الفعل والمُقسَم به وحرف القسم ، وبقاء الجواب ، وهذا القِسْم على أنواع :

أ - أن تحذف أركان جملة القسم ويبقى الجواب مقرونا بـ" لقد " للدلالة عليه ، وشواهده كثيرة في المفضليات حيث جاء ستا وثلاثين مرة ، فمنه المسبوق بالواو متصدرا وجاء خمسا وعشرين مرة .

كما في قول متمم بن نويره :(1)

وَلَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى قَلِيلِ مَتَاعِهَا
يَوْمَ الرَّحِيلِ فَدَمْعُهَا الْمُسْتَنْفَعُ

على تقدير " واللّهِ لقد حرصت " أو " أُقسم باللّهِ لقد حرصت " وقوله :(2)

وَلَقَدْ قَطَعْتُ الْوَصْلَ يَوْمَ خِلَاجِهِ
وَأَخُو الصَّرِيمَةِ فِي الأُمُورِ الْمُزْمِعُ

وقوله :(3)

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى الْقَنِيصِ وَصَاحِبِي
نَهْدٌ مَرَاكِلُهُ مِسَحٌّ جُرْشُعُ

---

(1) (2) (3) المفضلية ٩ الأبيات ٢ ، ٤ ، ٢٠ أما بقية الأبيات ففي المفضلية ٩ الأبيات ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ .

وَلَقَدْ سَبَقْتُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ
رَيَّا ، وَرَاوُوقِي عَظِيمٌ مُتْرَعُ

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ بِهِ فَتَسْقُطُ ضَرْبَتِي
أَيْدِي الْكُمَاةِ كَأَنَّهُنَّ الْخِرْوَعُ

وَلَقَدْ غُبِطْتُ بِمَا أُلَاقِي حِقْبَةً
وَلَقَدْ يَمُرُّ عَلَيَّ يَوْمٌ أَشْنَعُ

وَلَقَدْ عَلِمْتُ ، وَلَا مَحَالَةَ ، أَنَّنِي
لِلْحَادِثَاتِ ، فَهَلْ تَرَيْنِي أَجْزَعُ

===

ومنها ما جاء مسبوقا بالواو متوسطا ، وله شواهد ثلاثة في المفضليات وهي قول مُتمم بن نُوَيْرَة : (١)

وَلَقَدْ غُبِطْتُ بِمَا أُلَاقِي حِقْبَـــةً
وَلَقَدْ يَمُرُّ عَلَيَّ يَوْمٌ أَشْنَـــعُ

وقول عبد الله بن سَلَمة : (٢)

وَلَقَدْ أَلِينُ لِكُلِّ بَاغِي نِعْمَـــةٍ
وَلَقَدْ أُجَازِي أَهْلَ كُلِّ حَوِيـــسِ

وقول بشر بن أبي خازم : (٣)

---

(١) المفضلية ٩ البيت ٣٧ . (٢) المفضلية ٩ البيت ١٣ . (٣) المفضلية ٩٨ البيت ٣ .

=== وقول المرار بن مُنقذ المفضلية ١٦ البيت ٧ :

وَلَقَدْ تَمْرَحُ بِي عِيدِيَّـــةٌ
رَسْلَةُ السَّوْمِ سَبَنْتَاه جُسُـــرْ

وقول عبد الله بن سلمة المفضلية ١٩ البيت ٥ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ *

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى القَنِيصِ بِشَيْظَـــمٍ
كَالجِذْعِ وَسْطَ الجَنَّـةِ المَغْـروسِ

وَلَقَدْ أُصَاحِبُ صَاحِباً ذَا مَأْقَـــةٍ
بِصِحَابِ مُطَّلِعِ الأَذَى نِقْرِيـــسِ

وَلَقَدْ أُزَاحِمُ ذَا الشَّذَاةِ بِمِزْحَمٍ
صَعْبِ البُدَاهَةِ ذِي شَذاً وَشَرِيسِ

وَلَقَدْ أَلِينُ لِكُلِّ بَاغِي نِعْمَـــةٍ
وَلَقَدْ أُجَازِي أَهْلَ كُلِّ حَوِيسِ

وَلَقَدْ أُدَاوِي دَاءَ كُلِّ مُعَبَّـــدٍ
بِعَنِيَّةٍ غَلَبَتْ عَلَى النُّطِيـــسِ

===

أُسَائِلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِـــي
بَصِيْراً بِالظَّعَائِنِ حَيْثُ سَارُوا

=== وقول المُخَبَّل السعدي المفضلية ٢١ البيت ١٠ :
وَلَقَدْ تَحُلُّ بِها الرَّبَابُ لَهَــا
سَلَفٌ يَفُلُّ عَدُوَّها فَخْـمُ

و قول عَبَدة بن الطبيب المفضلية ٢٧ : ٢٣ :
وَ لَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَصْرِي حُفْرَةٌ
غَبْرَاءُ يَحْمِلُنِي إِلَيْها شَرْجَـعُ

وقول الأسود بن يَعْفُر ٤٤ : ٥ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٤ .
وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذِي نَبَّأْتِنِـي
أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الأَعْـوَادِ
وَلَقَدْ غَنُوا فيها بِأَنْعَمِ عِيْشَـةٍ
فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَـادِ
وَلَقَدْ لَهوتُ وَلِلشَّبابِ لَـذاذَةٌ
بِسُلافَةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ غَـوَادِي
وَلَقَدْ غَدَوْتُ لِعَازِبٍ مُتَنَـاذِرٍ
أَحْوَى المذانِبِ مُؤْنِقِ الرُّوَّادِ
وَلَقَدْ تَلَوْتُ الظَّاعِنِيْنَ بِجَسْـرَةٍ
أُجُدٍ مُهَاجِـرَةِ السِّقَابِ جَمَـادِ

وقول بشر بن عمرو المفضلية ٧١ البيت ٤
وَلَقَدْ أَرَى حَيَّاً هُنَالِكَ غَيْرَهُـم
مِمَّنْ يَحُلُّون الأَمِيلَ المُعْشِبَـا

وقول يزيد بن الخَذَّاق المفضلية ٧٨ البيت ١١ :
وَلَقَدْ أَضَاءَ لَكَ الطَّرِيقَ وأَنهجَـتْ
سُبُلُ المسالِكِ والهدى يُعْدِي

وقول بشر بن أبي خازم ٩٩ البيت ٢٠ :
وَلَقَدْ خَبَطْنَ بَنِي كلابٍ خَبْطَـةً
أَلْصَقْنَهُم بِدَعَائِمِ المُتَخَيَّـمِ
===

ومنها ما جاء مسبوقا بالفاء مُتَقدِما ، وله شاهد واحد ، وهو قول الأسود بن يَعْفُر (١) :

فَلَقَدْ أرُوحُ عَلَى التِّجارِ مُرَجَّلاً
مَذِلاً بِمَالِي لَيِّناً أجْيَادِي

وجاء مسبوقا بالفاء متوسطا وشاهده قول عامر بن الطُفَيل (٢) :

قَالُوا لَهَا : فَلَقَدْ طَرَدْنَا خَيْلَهُ
قُلَحَ الكِلَابِ ، وكُنْتُ غَيْرَ مُطَّرِدِ

وتصدر دون عاطف خمس مرات ، في قول الشنفرى الأزدى (٣) :

=== وقول سُبَيع بن الخَطِيم المفضلية ١١٢ البيت ١١ ، ١٣
وَلَقَدْ هَبَطْتُ الغَيْثَ أَصْبَحَ عَازِباً
أُنُفاً بِهِ عُوذُ النِّعاجِ عطُوفُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخيلَ تَحْمِلُ شِكَّتِي
جَرْدَاءُ مُشْرِفَةُ القِذالِ سَلُوفُ
وقول أبي ذؤيب الهُذَليّ المفضلية ١٢٦ البيت ٨
وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ
فَإِذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ

(١) المفضلية ٤٤ البيت ٢١ .

(٢) المفضلية ١٠٧ البيت ٢ .

(٣) المفضلية ٢٠ : ٦ .

لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي لَا سَقُوطاً قِنَاعُهَا
إِذَا مَا مَشَتْ ،وَلَا بِذَاتِ تَلَفَّتِ

وقول الحصفي المُحَارِبِي : [١]

لقَدْ لَقِيَتْ شَوْلٌ بِجَنْبَيْ بُوانَةٍ
نَصِيّاً كَأَعْرَافِ الكَوَادِنِ أَسْحَما

قال الرُّمَّانِيّ " وإذا دخلت لام القسم على الفعل الماضي كانت معها قد ،كقولك : واللهِ لقد قام زيدٌ ،ومنه قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [٢] " [٣] ، إلَّا أنَّ هذه اللام غيرُ مُتَفَقٍ على كونها لامَ القَسَمِ ،وفي ذلك يقول المالِقي " [illegible] ويجوز حذف جملة القسم ،[illegible] ،وتبقى جملة الجواب لتدل على ذلك ... وقال الشاعر :

لَقَدْ قُلْتُ للنُعمانِ لَمّا لَقِيتُه
يريدُ بَني حُنٍّ بِبُرْقة صادِرٌ [٤]

---

(١) المفضلية ٩١ البيت ١٤ . وبقية الأبيات في قول عامر بن الطُفيل في المفضلية ١٠٦ البيت ١

وَلَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا هَوَازِنَ أَنَّنِي
أَنَا الفارِسُ الحامِي حَقِيقةَ جَعْفَرِ

وقول عمرو بن الاهتم في المفضلية ١٢٣ البيت ٥

لَقَدْ أَوْصَيْتُ رِبْعِيّ بنَ عَمْرو
إِذَا حَزَبَتْ عَشِيرَتَكَ الأُمورُ

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٣) معاني الحروف ٥٤ .

(٤) رصف المباني في شرح حروف المعاني ،ط/ الثانية ٣١٢ ،٣١٣ .

وقال المُراديُّ " ولا تدخل هذه اللام على الماضي المتصرف ...
وأما المقرون بـ" قد " نحو : لقد قام زيد ،فالذي ذكره المعربون أنها
لام جواب القسم وأجاز بعضهم أن تكون لام الابتداء ".(١)

وقال أبوحيان في قوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوا مِنْكُمْ
في السَّبتِ ﴾.(٢)

" اللام في "لقد " هي لام التوكيد ،وتسمى لام الابتداء نحـو ،
لزيد قائم ... ويحتمل أن تكون جوابا لقسم محذوف ولكنه جيء به علـى
سبيل التوكيد ".(٣) وهي مع كونها للقسم لا تخرج عن التوكيد .

ب - حذف أركان جملة القسم ،ويبقى الجواب مقترنا باللام موكدا
بالنون . ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الّذينَ كَفَروا عَذابا شَديداً ولَنَجْزِيَنَّهم
أسْوَأَ الّذِى كَانُوا يَعْمَلُون ﴾.(٤)

وجاءت هذه الصورة في ستة من أبيات المفضليات ،وهي قـول
تأبط شرا :(٥)

لَتَقْرَعَنَّ عليَّ السِّنَّ مِنْ نَـدَمٍ
إذا تَذَكرتَ يوماً بَعْضَ أخلاقي

كأنه على تقدير " أقسم بالله لتقرعن ".

----

(١) الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادى ، ط الثانية ،١٢٥.
(٢) سورة البقرة آية ٦٥.
(٣) البحر المحيط ١:٢٥٤.
(٤) سورة فصلت آية ٢٧.
(٥) المفضلية ١ البيت ٢٦.

وقول يَزيد بن الخَذَّاق :(١)

تَحَلَّلْ أبيْتَ اللَّعْنَ من قَوْلِ آثِمٍ
على مَا لِنا لَيُقْسَمَنَّ خُمُوسا

ويزيد في فهم القسم في هذا البيت قوله " تحلل من قول آثم " .

وقول عامر بن الطُفَيل :(٢)

ولتسئَلَنّ أَسماءُ ،وَهْيَ حَفيَّةٌ
نُصَحاءَها : أَطُرِدتُ أَمْ لَمْ أطْرَدِ

وقوله :(٣)

فَلأَبْغِيَنَّكُم المَلا وعُوارِضاً
ولأَهْبطَنَّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ

وقوله :(٤)

وَلأَثْأَرَنَّ بمالِكٍ وبمالِكٍ
وأخِى المَرَوْراةِ الّذى لَمْ يُسْنَدِ

فكأن التقدير في كل ذلك " أقسم بالله " فحُذِف الفعل والمقسم به والحرف وبقي الجواب .

قال سيبويه : " وسألته عن قوله : لَتَفْعَلَنّ ،إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يُحلف به ؟ فقال إنَّما جاءت على نية اليمين وإنْ لم يُتكلم بالمحلوف به ".(٥)

---

(١) المفضلية ٧٩ البيت ٧ .
(٢) المفضلية ١٠٧ البيت ١ .
(٣) المفضلية ١٠٧ البيت ٣ .
(٤) المفضلية ١٠٧ البيت ٥ .
(٥) كتاب سيبويه ٣ : ١٠٦ وانظر ١٠٩ ، ٥٠٩ .

وقال المُبَرّد " لأنك قد تذكر الأفعال ، ولا تذكر المقسم به فتقول : لأنْطَلِقَنّ ، فيعلم أن هذا على تقدير اليمين .. "(١)

ومن صور هذا النوع أن تحذف مع الفعل والحرف والمقسم به لام التوكيد وتبقى النون وشاهده في المفضليات قول عامر بن الطُفَيل :(٢)

وقَتِيلُ مُرّة أثْأرَنّ فإنّه
فَرْغٌ ، وإنّ أخاهُمُ لم يُقْصَدِ

وأحيانا أخرى تحذف النون وتبقى اللام ، من ذلك قول الشاعر :

فَلا وأبِي لنأتيها جميعاً
ولو كانَتْ بِهَا عَرَبٌ ورُومُ(٣)

والبيت يسوقنا إلى الحديث عن قوله تعالى * فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم *(٤)، قال الزمخشري " (فَلاَ وَرَبِّكَ) معناه فوربك كقوله تعالى * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم *(٥) ولا مزيدة(٦)

---

(١) المقتضب ٢ : ٣٣٤ وانظر المقتصد في شرح الإيضاح للجرجاني ت د / كاظم بحر المرجان ٢ : ٨٦٩ / شرح المفصل ٩ : ٣٩ الأصول ٢ : ١٨٩ ، ١٩٠ / رصف المباني ٣١٣ ، ٣١٤ / معاني الحروف ٥٤ / الجنى الداني ١٤٢ / المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣١٥.

(٢) المفضلية ١٠٧ البيت ٦.

(٣) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣١٥.

(٤) سورة النساء آية ٦٥.

(٥) سورة الحجر آية ٩٢.

(٦) الأولى أن تكون صله لزيادة المعنى.

لتأكيد معنى القسم كما زيدت في - لئلا يعلم - لتأكيد وجوب العلم و (لا يؤمنون) جواب القسم ...."[1]

وقال القُرْطُبيّ : " وقال الطبرى (فلا) رد على ما تقدم ذكره، تقديره فليس الأمر كما يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل إليك، ثم استأنف القسم بقوله : (وربك لا يؤمنون) وقال غيره : إنما قدّم " لا " على القسم اهتماما بالنفي وإظهارا لقوته ثم كرره بعد القسم تأكيدا للتهمم بالنفي، وكان يصح إسقاط لا الثانية ويبقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى وكان يصح إسقاط الأولى ويبقى معنى النفي ويذهب معنى الاهتمام".[2]

وقيل : الثانية زائدة والقسم معترض بين حرف النفي والمنفى.[3]

أمّا حذف اللام وإبقاء النون، وحذف النون وإبقاء اللام ففي كل منهما خلاف :

فحذف اللام وإبقاء النون جائز عند فريق وهو مذهب الكوفيين، وأبي علي الفارسي[4] وابنُ مالك في أحد قوليه[5] وبه قال المالِقيّ وذكر في علة ذلك بعد قول الشاعر: فلا وأبي لنأتيها ...

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، ط / دار المعرفة، ١ : ٥٣٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥ : ٢٦٦.

(٣) البحر المحيط ٣ : ٢٨٤.

(٤) انظر شرح الكافية للرضي ٢: ٣٣٩. همع الهوامع ٢ : ٤٢.

(٥) تسهيل الفوائد ١٥٢.

" وهذا عندى لضرورة الشعر ، ولم يأت في الكلام نحو " واللّهِ ليقوم زيد " وذلك بخلاف اللام ، فإنّها غيرُ لازمةٍ لأنها في الحقيقة لام الابتداء ، ولأنها لا تدخل في موضع لا تصلح فيه " إنّ " المكسورة ولام الابتداء لا تلزم في الابتداء فلا تلزم في الجواب ، فهذا وجه ووجه آخر أنه قد حصل التوكيد لجملة القسم فلا ضرورة إلى توكيد غيره إلاّ مبالغة خاصة ، بخلاف النون فإنها لازمةُ لأجل التخليص للقسمية والاستقبال ، ألا ترى أنها - أعني اللام - جاءت في القسم تارة وحذفت أُخرى في قوله تعالى * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها * (١) و * قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ * (٢) ونحو قول الشاعر :

وقتيلُ مُرَّةَ أَثْأَرَنَّ فإنّهُ
حقٌّ وانَّ أباهُمُ لم يُثْأَرِ " (٣)

وضرورة عند فريق آخر ، وهومذهب البصريين (٤) ، وبه قال ابنُ عُصْفور (٥) وابنُ هِشام (٦) وقليل عند الرَضِيّ (٧) وشاذ في رأى آخر لابن مالك (٨) وذكر أبوحيان أن الخضراوى وهم فادعى الإجماع على المنع (٩) .

قال ابن الأنبارى " روى الضبي : وقتيل بالخفض ... ورواها الحرمازي وقتيل

---

(١) سورة الشمس آية ٩ .

(٢) سورة البروج آية ٤ .

(٣) رصف المباني ٣١٤ .

(٤) انظر المساعد ٢ : ٣١٨ / شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٩ .

(٥) شرح الجمل ١ : ٥٢٧ .

(٦) مغني اللبيب ٢ : ٦٤٥ .

(٧) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٩ .

(٨) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢ : ٨٣٦ / ٨٣٧ تـد : عبدالمنعم هريدي ، ط الأولى

(٩) همع الهوامع ٢ : ٤٢ .

نصبا ، ورواها الضبي والأثرم خفضا . قال الأثرم : و قتيل بالرفع ".[1]

قال البَغْدادِيُّ : " أمّا الأول فعلى أن الواو للقسم و قتيل مقسم به . . " ، و أثأرن " جواب القسم و مفعول " أثأرن " محذوف ، والتقدير " أثأرنه أو أثأرن به " وأمّا النصب فعلى العطف على محل " مالك " و " أثأرن " تأكيد لذلك ، وقيل مفعول بفعل محذوف يفسره " أثأرن " ، ولا يجوز أن يكون مفعولا له لأنّ المؤكد لا يتقدم على معموله ، وأمّا الرفع فعلى الابتداء وجملة " أثأرن " خبره ، والعائد محذوف أي : " أثأرن به أو أثأرنه " والتأكيد على هذا شاذ ".[2]

أمّا حذف النون وإبقاء اللام فضرورة عند البصريين[3] وبه قال ابن عصفور[4] وابن هشام[5] وابن أبي الربيع[6] أمّا الكوفيون فقد أجازوا تعاقبهما[7] وأجازه المالقي حسب ما تقدم .

قال البَغْدادِيُّ : " قال الإمام المَرْزُوقيُّ . . . وقد تُحذف النون في الشعر ، وقد جاء أعجب من هذا وأبعد في الاستعمال ، وهو حذف اللام وإثبات النون ، قال الشاعر وقتيل مرة أثأرن . . .

----

(١) شرح المفضليات ٣٠٧١ .
(٢) خزانة الأدب ٤: ٢١٧ ط/ بولاق .
(٣) انظر المساعد ٢ : ٣١٨ / شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٩ .
(٤) شرح الجمل ١ : ٥٢٧ .
(٥) مغني اللبيب ٢ : ٦٤٣ .
(٦) البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩١٨ .
(٧) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . دار إحياء الكتب العربية ٢ : ٢١٥ .

... وقال بعض المتقدمين تقول : حلف لَيَفْعَلَنَّ ، فإذا حذفت النون كسرت اللام ، وأعلمتها إعمال " لام كي " والموضع موضع القسم والمعنى معناه ، وقيل مثل " تآلى ليَرْدِني " أراد ليفعل كذا ، كأن الفعل دلّ على المصدر واللام مع الاسم المجرور به في موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ ، كأنه قال : إرادتي كذا ".(١)

جـ - حذف جملة القسم والدلالة على الفسخ باللام الموطئة :

وشاهده في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ ولَئِنْ اتَّبَعْتَ أهْوَاءَ هُمْ ﴾(٢)
وقوله ﴿ ولَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بالّذِى أَوْحَيْنَا اَلَيْكَ ﴾(٣)

وشاهده في المفضليات قول تأبَّطَ شَرًا :(٤)

إنِّي زَعِيمٌ لَئِن لم تَتْرُكُوا عَذْلِي
أَنْ يَسْئَلَ الحيُّ عَنِّيَ أهْلَ أفاقِ

وقول عَبَدة بن الطَبِيب :(٥)

فَلئِنْ هَلَكْتُ لَقَدْ بَنَيْتُ مَسَاعِياً
تَبْقَى لَكُم مِنْها مآثِرُ أَرْبَعُ

وهذا الحذف كثير جدا عند ابن هشام.(٦)

---

(١) خزانة الأدب ٤ : ٢١٨ ط/ بولاق .
(٢) سورة البقرة آية ١٢٠.
(٣) سورة الإسراء آية ٨٦ .
(٤) المفضلية ١ البيت ٢٣.
(٥) المفضلية ٢٧ البيت ٢ وأبيات أخر ترد في الحديث عند اجتماع الشرط مع القسم.
(٦) مغني اللبيب ٢ : ٦٤٥ .

رابعا : حذف الفعل وذكر ما سواه :

ومنه في التنزيل قوله تعالى ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (١) و ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ (٢) و ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم ﴾ (٣).

وشاهده من المفضليات قول ذى الأَصْبَع العُدْوَانِي : (٤)

وَاللهِ لو كَرِهَتْ كَفِي مُصَاحَبَتِي
لَقُلْتُ إِذْ كَرِهَتْ قُرْبِي لَهَا : بِينِي

وقول مُتَمِم بن نُوَيْرَة : (٥)

فواللهِ ما أُسْقِي البلادَ لِحُبِّها
ولَكِنَّنِي أُسْقِي الحبيبَ المُوَدَّعا

وقول مُرة بن هَمَّام : (٦)

تاللهِ لَوْلاَ أَنْ تشاءَ أَهْلُها
ولَشَرُّ مَا قَالَ امرؤٌ أَنْ يَكْذِبا
لَبَعَثْتُ في عُرْضِ الصُّراخِ مُفَاضَةً
وَعَلَوْتُ أَجْرَدَ كالعَسِيبِ مُشَذَّبا

وقول مُنَقَّمس العائذى : (٧)

فواللهِ لَوْ أَنَّ امرأَ القيسِ لمَ يكُنْ
بِفَلْجٍ علىَ أنْ يسبِقَ الخيلَ قادِرا

---

(١) سورة سبأ آية ٣ .
(٢) سورة التغابن آية ٧ .
(٣) سورة يوسف آية ٧٣ .
(٤) المفضلية ٣١ [٢] : ٣٦ .
(٥) المفضلية ٦٧ : ٢٧ .
(٦) المفضلية ٨٢ البيت ٦، ٧ .
(٧) المفضلية ٨٥ : ٤، ٥

لَقَاظَ أسيراً أو لَعَالِجَ طَعْنَـــةً

تَرَى خَلْقَهُ مِنْها رَشَاشاً وقاطِــرا

وقول راشِد بن شِهَاب:(١)

أرِقْتُ فلَمْ تَخْدَعِ بِعَيْنَيَّ خَدْعَةٌ

ووالله ما دَهْرِي بِعِشْقٍ ولا سَقَـم

وقول عَلْقَمة بن عَبَدَة :(٢)

فواللهِ لَوْلا فارِسُ الجَوْنِ مِنْهُـمُ

لآبُوا خَزَايَا والإِيابُ حَبِيبُ

إلاّ أنّ حذف الفعل واجبٌ هنا ،إذ من شرط القسم بالواو والتاء أن يُحذَف فعل القسم معها.(٣)

<u>خامسا : حذف الفعل والجواب وبقاء الحرف والمقسم به :</u>

وشاهده في المفضليات قول الخَصَفِي المُحَارِبي :(٤)

فما إنْ شَهِدْنَا خَمْرَكُم إذْ شَرِبتُمُ

على دَهَشٍ ،واللهِ ،شربةَ أشْأمَا

إذ اعترض القسم بين الفعل ومصدره .

---

(١) المفضلية ٨٦ البيت ١.

(٢) المفضلية ١١٩ البيت ٢٨.

(٣) انظر شرح المفصل ٩ : ٩٩ / مغني اللبيب ٢ : ٦٤٥.

(٤) المفضلية ٩١ البيت ٤.

قال ابن هشام عن حذف جواب القسم " يجب إذا تقدّم عليه أو اكتنفه ما يُغنِي عن الجواب ،... والثاني نحو " زيدٌ واللّهِ قائمٌ ".(١)

سادسا : حذف قد وبقاء اللام في جواب القسم والجواب ماض مثبت :

ومنه قول امرىء القيس :

حَلَفْتُ لها باللّهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ

لَنَاموا ،فما إنْ مِنْ حَدِيثٍ ولا صَالِ(٢)

قال سيبويه : " وسمعنا من العرب من يقول واللّهِ لكذبت ، واللّه لكذب ".(٣)

وقال المُبَرِّد : " فأمّا قولك : واللّهِ لكذب زيد كذبا ما أحسب اللّه يغفره له - فإنما تقديره : لقد ،لأنّه أمر قد وقع ،ولا يُقال هذا إلّا على شيء متقدم ،فالأمر فيهما واحد ،..".(٤)

وقال ابنُ عصفور " وإنْ كانت الجملة فعلية فلا يخلو الفعل أن يكون ماضيا أو حالا أو مستقبلا . فإنْ كان ماضيا فلا يخلو أن يكون موجبا أو منفيا ... وإن كان موجبا فلا يخلو أن يكون قريبا من الحال أو بعيدا منه ،فإنْ كان قريبا من الحال أدخلت عليه اللام وقد ،فقلت :

---

(١) مغني اللبيب ٢ : ٦٤٥ وانظر شرح الجمل ١ : ٥٣٠.
(٢) انظر شرح المفصل ٩ : ٩٧.
(٣) الكتاب ٣ : ١٠٥.
(٤) المقتضب ٢ : ٣٣٥، ٣٣٦.

واللهِ لَقَد قام زيدٌ ، فإنْ قد تُقرّب من زمن الحال ، وإنْ كان بعيداً من زمن الحال أتيت باللام وحدها فقلت واللهِ لقام زيدٌ ".[١]

وابن يعيش على أنّه جائزٌ وليس بكثير[٢] ، والسيوطيّ على أنه شاذّ[٣] والرضيّ على أنه ضرورة[٤] وبه قال البغدادي.[٥]

سابعا : حذف اللام وبقاء قد مع كون الجواب ماضيا مثبتا :

قال سيبويه " ومثل ذلك في الضعف : علمت أنّ زيداً ذاهبٌ، كما أنه ضعيف قد علمت عمروٌ خيرٌ منك على إرادة اللام ، كما قال عزّ وجل ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها ﴾[٦] وهو على اليمين . وكان هذا حسنا حين طال الكلام ".[٧]

وقال المبرّد : " فأمّا قوله تعالى ﴿ والشَّمْسِ وَضُحَاها ﴾[٨] فإنّما وقع القسم على قوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾[٩] وحُذِفت اللام لطول القصة ،

---

(١) شرح جمل الزجاجي ١ : ٥٢٦ ، ٥٢٧.

(٢) انظر شرح المفصل ٩ : ٩٦.

(٣) انظر همع الهوامع ٢ : ٤٥.

(٤) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٤٠.

(٥) خزانة الأدب ٤ : ٣٢١ ط/ بولاق.

(٦) سورة الشمس آية ٩ .

(٧) الكتاب ٣ : ١٥١.

(٨) شورة الشمس آية ١.

(٩) سورة الشمس آية ٩ .

لأنّ الكلام إذا طال كان الحذفُ أجمل "[١]

وذكر الرضيّ أن الاستغناء بأحدهما عن الآخر جائز للضرورة أو لطول الكلام[٢] ، ومنه في التنزيل قوله تعالى * تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ *[٣] ومنه قول الشاعر :

فَقُلْتُ يمينَ اللّهِ أَبْرَحُ قاعِداً
وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي[٤]

إذ التقدير " لا تفتأ " و " لا أبرح ".

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي :

تاللّهِ يَبْقَى على الأيامِ مُبْتَقِلٌ
جَونُ السراة رِباع سِنه غُرَدُ

أراد : تالله لا يبقى .[٥]

وقال أيضا :

لله يَبْقَى على الأيامِ ذو حَيَدٍ
بمشمخرٍ به الظيان والآسُ[٦]

أي : واللّه لا يبقى فحذف (لا) وهو قياس بعد القسم.

---

(١) المقتضب ٢ : ٣٣٧ .

(٢) انظر شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٣٩ .

(٣) سورة يوسف آية ٨٥ .

(٤) انظر شفاء العليل ٢ : ٦٨٥ .

(٥) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٩ : ٩٦ ، ٩٨ ، الجُمَل في النحو لأبي إسحاق الزجاجي ت د /علي توفيق الحمد. ط بغداد
التمام لابن جني في تفسير اشعار الهذليين ١١٩ / اشعار الهذليين / القسم الاول ١٢٤ .
المكتبة السلفية / المدينة المنورة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

(٦) مغني اللبيب ١ : ٢١٤ .

وقال أُمَيَّة بن أبي عائِذ الهُذَلِي :

فإنْ شِئت آليت بين المقا
مِ والرُّكنِ والحجر الأسودِ
نسيتُك ما دامَ عَقْلِي معي
أُمُدُ به أمَدَ السَّرْمَدِ

الأصل : لا نسيتك ،فحذف " لا " مع كون الفعل ماضيا لفظا لأمن اللبس .(١)

ومثله قول المتلمس جرير بن عبد المسيح :

آليتُ حَبَّ العراقِ الدَّهرَ أطْعَمُهُ
والحبُّ يأكُلُهُ في القريةِ السوسُ

أراد : لا أطعمه لأنه جواب قسم وإلاّ أكده بالنون .(٢)

وقال قيس بن العَيْذاره الهُذَلِي :

لَعَمْرُك أنْسَى روعتي يوم أقْتُدٍ
وهل تتركنْ نفسَ الأسير الروائِعُ

أراد : لَعَمْرُك لا أنسى .

وقال أيضا :

واللّهِ يَشْفِي ذات نَفْسِي حاجِمُ
أبداً ولا مما إخالُ لدودُ

أراد : والله لا يشفي وحذفها مع القسم كثير .

---

(١) مغني اللبيب ٢ : ٦٣٧/ همع الهوامع ٢ : ٤٢، ٤٣ / الدرر اللوامع / ط/ للشنقيطي دار المعرفة ٢ : ٤٩ ،شرح السُكرى لديوان الهذليين تحقيق عبد الستار احمد فرّاج ، محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة . ٢٩٣ .

(٢) شرح التصريح ١ : ٣١٢ ، شرح أشعار الهذليين ٣/ ٧٦ .

هذا وقد ورد في شعر هذيل حذف (لا) مع أفعال الاستمرار دون قسم سابق عليها ، من ذلك قول الهُذَلي :

فزلتم تهْرَبون ولو كرهتم
تسوقون الخزائم بالنقاب

والأصل فما زلتم تهربون ، فحذف الشاعر " ما " من الكلام لكونها منوية . والعربُ كثيرا ما تحذف ما كان معلوما لهم اعتمادا على فهمه من الكلام . ومثل ذلك قولك " أنا ظلمتك " تريد أنا لم أظلمك .

قال السُكَرى : " زلتم " يريد : مازلتم . وهي لُغَة لَهُم يعني هذيلا . ومن ذلك قول مُلَيْح الهُذَلي :

يزالُ لكم في النَّفس عِندى ولو نأَتْ
بك الدّار مكنونٌ من الود مزلَفُ

والأصل لا يزال . فحذف حرف النفي لكثرة استعماله في هذا الموضع.(١)

وإنَّما حذفوا (لا) مع هذه الأفعال لكثرة استعمالها معها . فكأنَّ حذفها وذكرها سيان ، أو أن الحذف معها كلا حذف لذا تراهم يحملون في التقدير أساليب الحذف على أساليب الذكر ، ومن الحذف أيضا قول أبي خُراش الهُذَلي :

وأبرحُ ما أُمِّرتُم وملكتُمُ
يدا الدَّهرِ ما لم تُقْتَلوا بغليلِ(٢)

أراد : ولا أبرح .

---

(١) انظر شرح السكرى ٨٤٨ ، ١٠٤٦ / شرح المفصل ٧ : ١٠٩ / التمام لابن جني ١٣٨ .

(٢) انظر الأغاني ٢١ ، ٢٨ . لأبي الفرج الاصفهاني ، دارالكتب العلمية / بيروت / ط الأولى ١٩٨٦م .

ويفيد ما تقدم أن هذيلا قد انفردت بحذف (لا) مع زال وأخواتها حيث لا قسم كما حذفتها مع القسم كغيرها من سائر العرب كما ذكرنا سلفا هذا وقد ورد عند هذيل إثبات (لا) مع القسم وليس الفعل (زال) في قول أبي صخر الهذلي :

فأُقْسِمُ لا تَنْفكُّ مِني قصيدةٌ
تسبِقُّ لها ما صَاحَ في الجونِ ناعبُ (١)

فهنا قد أثبت الشاعر (لا) مع تنفك على الأصل وسبق القسم عليها ،وهذا يدل على أن حذف النافي على سبيل الجواز ، كما يدل على أن حذف (لا) في لغة هذيل مختص بالفعل زال ومع غيرها لغة جميع العرب . فمن حذف (لا) مع غير زال قول عمرو ذي الكلب الهُذَلِي :

فأبرحُ غازِياً أُغَدِّى رَعِيلا
أأمّ سوادَ ذي نِجالِ (٢)

أراد : فلا أبرح ،وقول المُعَطَّل الهُذَلِي :

ويَبْرَحُ منا سَلْفَعٌ مُتَلَبِّبٌ
جرىءٌ على الضَّراء والغزو مارنُ (٣)

أراد : ولا يبرح .

---

(١) التمام لابن جني ١٣ ، ٢٠٢ .
(٢) شرح أشعار الهذليين ٣ : ١١٤ .
(٣) شرح أشعار الهذليين ٣/ ٤٨ .

ومنه في التنزيل ﴿ تاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسفَ ﴾ (١).

قال الكسائي : أي ما زلت ، وزعم الفرّاء أن لا مضمرة أي : لا تفتأ وأنشد قول امرئ القيس :

فقلتُ يمينَ اللّهِ أبْرَحُ قاعداً

ولو قَطَّعُوا رَأْسِي لديكِ وأوصالي

قال النحاس : والذى قال حسن صحيح وزعم الخليل وسيبويه أن لا تضمر في القسم (٢). ولذا قال بعضهم :

ويحذف نافٍ مع شروط ثلاثةٍ

إذا كان قبل المضارع في قسم (٣)

وما قاله سيبويه من تخصيص الحذف بالقسم لا يمنع من حذف النافي مع غيره كما أسلفت من لغة هذيل غير أن ما ذهب إليه الخليل وسيبويه إنما يُحمَل على المشهور من الوارد عن العرب لهذا نجد (لا) قد حذفت في غير القسم مع غير أفعال الاستمرار ، وذلك في قوله تعالى ﴿ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ (٤) ، والتقدير - والله أعلم -

---

(١) سورة يوسف آية ٨٥.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٩ : ٢٤٩-٢٥٠ / معاني القرآن للفراء ٢ : ٥٤ / الأمالي الشجرية / ١ : ٣٦٩ / الدرر اللوامع ٢ : ٩٤ / الجمل للزجاجي : ٧٢ .
دار المعرفة بيروت

(٣) حاشية الخضرى ١ : ١١١ . لمحمد الدمياطي / ط الأخيرة / مصطفى البابي وأولاده .

(٤) سورة النساء آية ١٧٦.

لئلا تضلوا ، وإنّما قُدِّرَت في هذا الموضع حيث صُرِّح بها في قولـه ﴿ لِئلاَ يَعْلَمَ أَهْلَ الكِتابِ ﴾ [١] فحمل ما حذفت منه على ما صـــرح بها فيه .

قال الكسائي في آية النساء المعنى : يبين الله لكم لئـــلا تضلوا وعليه يكون المحذوف شيئين : لام الجر ولا النافية . [٢]

قال سيبويه " وإذا حلفت على فعل منفي لم تُغَيره عن حالـــه التي كان عليها قبل أن تحلف ، وذلك قولك : والله لا أفعلُ . وقد يجوز لك - وهو من كلام العرب - أن تحذف لا وأنت تريد معناها ، وذلـك قولك : واللّه أفعل ذاك أبدا ، تريد : والله لا أفعل ذلك أبدا " . [٣]

وقال ابنُ مالِك " ويكثر حذف نافي المضارع مع ثبوت القسم " . [٤]

ويرى الرضيّ جوازَ الحذف [٥] وابن هشام يرى اطرادَه [٦] ، والسيوطيّ يرى جوازه دون شذوذ . [٧]

أما حذف النافي مع حذف القسم فذكر ابن مالك أنه قليل . [٨]

---

(١) سورة الحديد آية ٢٩ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٢٩/ ٩ : ٤٨ / البحر المحيط ٣ : ٤٠٩ .

(٣) الكتاب ٣ : ١٠٤ .

(٤) تسهيل الفوائد ١٥٢ .

(٥) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٤٠ .

(٦) مغني اللبيب ٢ : ٦٣٧ .

(٧) همع الهوامع ٢ : ٤٣ .

(٨) تسهيل الفوائد ١٥٢ .

وقال ابن هشام : وسمع بدون القسم ،كقوله :

وقولي إذا ما أطلقوا عن بعيرهم

يُلاقونهُ حتى يؤوب المُنخَّل (١)

أما حذف النافي مع الماضي : فجائز عند ابن مالك إن أُمِن اللبس (٢)
وقليل عند ابن هشام (٣) وذكر ابن عقيل أن بعضهم يجعله ضرورة. (٤)

وقال البغدادي " وأما حذف النافي من الماضي ومن الجملة
الاسمية فغير جائز اطرادا ،وقل الحذف منهما ،أما الأول فنحو قول
أُمَيَّة بن أبي عائِد الهُذلي :

فإنْ شئتِ آليتُ بين المقا

م والرُّكْنِ والحَجرِ الأسْوَدِ

نسيتُكِ ما دَامَ عَقْلي مَعِي

أُمُدُّ به أمَدَ السَّرْمَدِ

أي : لا نسيتك . قال ابن مالك " ويكثر ذلك إن تقدم نفي على القسم
كقوله :

فلا واللّهِ نادَى الحيَّ ضَيْفِي ...

أي : لا نادى ،وأما الثاني فكقول عبدالله بن رواحة :

---

(١) مغني اللبيب ٢ :٦٣٧.
(٢) انظر تسهيل الفوائد ١٥٢.
(٣) انظر مغني اللبيب ٢ : ٦٣٧.
(٤) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢ :٣١٩.

فواللّهِ ما نِلْتُم ولاَ نِيلَ مِنْكُمُ

بِمُعْتَدِلٍ وَفْقٍ ولا مُتَقَارِبِ

أراد : ما ما نلتم فحذف النافية وأبقى الموصولة ولا يجوز العكس ".(١)

ويحذف إن أمن اللبس قاله ابن مالك (٢) وقال ابن عقيل " والمغاربة منعوا حذفه ".(٣)

ثامنا : حذف اللام من الجملة الاسمية :

ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه (واللّهِ أنا كنت أظلمَ منه) (٤)

وظاهر كلام ابنُ مالك جوازه عند استطالة الكلام.(٥)

تاسعا : توسط القسم بين المتلازمين :

ومنه التوسط بين " قد " و" الفعل " وشاهد قول الشاعر :

فَقَدْ واللّه بيَّن لي عَنَائي

بِوَشْكِ فِراقِهِم صُرَدٌ يصيح

قال ابن جني " وهذا قبيح لقوة اتصال (قد) بما تدخل عليه من الأفعال " (٦) والمالِقيّ على أنَّ الفصل في البيت المتقدم ضرورة.(٧)

---

(١) خزانة الأدب ٤ : ٢٣١ ط/ بولاق وقوله (قال ابن مالك ...) في التسهيل ١٥٢.

(٢) التسهيل ١٥٣.

(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣٢٠ وانظر مغني اللبيب ٢ : ٦٣٨.

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد : ٢ : ٣١٣ وانظر همع الهوامع ٢ : ٤٢.

(٥) تسهيل الفوائد ١٥٢.

(٦) الخصائص لابن جني ط/ الثانية ،ت/ محمد علي البجاوي ٢ : ٣٩١ وانظر ١ : ٣٣٠.

(٧) رصف المباني ٤٥٦.

قال ابن هشام : " وأمّا الحرفية فمختصة بالفعل ... وهي معه كالجزء ، فلا توصل منه بشيء ،اللهم إلّا بالقسم ... وسُمِع " قد لعمري بت ساهرا " و " قد والله أحسنت " (١) ويفصل بين الصلة والموصول كقول جرير :

ذاكَ الّذي وأبيكَ يعرفُ مالكـاً

والحقُّ يَدْفَعُ تُرَّهاتِ الباطلِ (٢)

ويفصل بين النافي والمنفي ،ومنه قول الشاعر :

فلا وأبي دَهْماءَ زالت عَزيزةً

عَلَى قَوْمِها ما دام للزَّنْدِ قادحُ (٣)

قال البَغْدادِي "وهذا الفصل شاذ " . (٤)

ومنه في المفضليات قول عبدالله بن سَلَمة الغامِدي : (٥)

وإنْ أكْبَرْ فلا بأَطِيرِ إِصْرٍ

يُفارِقُ عَمّاً تِقِي ذَكَرُ خَشَيبُ

---

(١) مغني اللبيب ٢ : ٤٧١ .

(٢) انظر الخصائص ١ : ٣٣٦ / مغني اللبيب ٢ : ٣٩١/خزانة الأدب تح/ عبد السلام هارون ٥ : ٤٦٦ .

(٣) مغني اللبيب ٢ : ٣٩٣ .

(٤) خزانة الأدب ٤ : ٤٥ ط/ بولاق .

(٥) المفضلية ١٨ البيت ٧ .

عاشرا : حذف حرف القسم دون تعويض :

من ضروب التخفيف في باب القسم أنَّ العرب قد تحذف الحرف ولا تعوض منه شيئا ، فيكون حينذاك على أوجه :

أ - النصب على نزع الخافض :

قال سيبويه * " واعلم أنك إذا حذفت من المحلوف به حرف الجر نصبته ، كما تنصب حقًّا إذا قلت إنَّك ذاهبٌ حقاً ... وقال ذو الرُّمة :

أَلا رُبَّ مَنْ قَلْبي لَهُ اللهَ ناصِحُ

وَمَنْ قَلْبُه لي في الظِّباءِ السوانِح

وقال الآخر :

إذا ما الخبزُ تأدِمُه بِلَحْمٍ

فذاكَ أمانةَ اللّهِ الثَّريدُ " (١)

وقال المُبَرِّد : " واعلم أنك إذا حذفت حروف الإضافة من المُقْسَم به نصبته ، لأنَّ الفعل يصل فيعمل فتقول : اللّه لأَفْعَلَنَّ ، لأنك أردت أحلف الله لأفْعَلَنَّ . وكذلك كل خافض في موضع نصب إذا حذفته وصل الفعل فيعمل فيما بعده ، كما قال اللّهُ عز وجل * واخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِين رَجُلاً * (٢) أي من قومه . وقال الشاعر :

---

(١) الكتاب ٣ : ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٥ .

استغفرُ اللّـــهَ ذَنْباً لستُ مُحْصِيَهُ

ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعَمَـــلُ

أي / من ذنب . وقال الشاعر :

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أُمِرْتَ بـــه

فقد تَرَكْتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَـــبِ

فتقول : اللهَ لأفعلنَّ وكذلك كل مُقْسَم به ". (١)

والمحذوف هو الباء " عند الزمخشري (٢) وابن سِيدَه (٣) والسيوطي (٤) .

وقال ابن عقيل : " ... ،والتقدير عند الفارسي وجماعة (٥) أحلف اللـــه أي باللّه ، وعند الزَجَاجي وجماعة (٦) : ألزم نفسي يمين الله ،ثم حذف المضاف ،وأقيم المضاف إليه مُقَامه ". (٧)

ب - البقاء على الجر :

قال سيبويه : " ومن العرب من يقول : اللّهِ لأفعلنّ ، وذلك أنه أراد / حذف حرف الجر وإياه نوى ، فجاز حيث كثر في كلامهم ، وحذفوه تخفيفا وهم ينوونه ،كما حذف رب في قوله :

---

(١) المقتضب ٢ : ٣٢١.

(٢) المفصل ٧ : ٣.

(٣) المخصص ٤: ١١٥.

(٤) همع الهوامع ٢ : ٣٨ .

(٥) منهم ابن سيده في المخصص ٤: ١١٥.

(٦) منهم ابن عصفور وابن خروف انظر شرح الجمل ١:٥٣٣ / خزانة الأدب ٤:٢٠٨ ط/ بولاق .

(٧) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣٠٦.

وَجَدّاءَ ما يُرْجَى بها ذو قَرابـــةٍ
لِعَطْفٍ وما يَخْشَى السُّماةُ رَبيبَهـا

إنما يريدون : رُبَّ جَدّاءَ ..."(١) وفي البيت دليل على المحذوف حيث بقيت "واو" رُبَّ وإبقاؤه على الجر غير جائز عند المُبَرِّد وفي ذلك يقول " واعلم أنّ من العرب من يقول اللّهِ لأفْعَلَنَّ ،يريد الواو ، يحذفها وليس هذا بجيد في القياس ،ولا معروف في اللغة ولا جائز عند كثير من النحويين . وإنّما ذكرناه لأنه شيء قد قيل ، وليس بجائز عندي ، لأنّ حرف الجر لا يُحذف ويعمل إلاّ بعوض "(٢) وقوله حسن إذ إنّ حرف الجر ضعيف ،والضعيف لا يعمل محذوفا . وقال الفَرّاء :
" والعرب تُلْقى الواو من القسم ويخفضونه وسمعناهم يقولون : اللّهِ لَتفْعَلَنّ ".(٣)

وقال ابن مالك : " ويجوز جر اللّهِ دون عوض ،ولا يشارك في ذلك خلافا للكوفيين ..."(٤) فالجر دون عوض مخصوص عنده بـ" اللّه " ولعل هذا التوسع لكثرته في الاستعمال .

وذكر ابنُ عقيل أنّ الجر في غير اسم الله تعالى غير جائز عند جمهور البصريين ،وأجاز الكوفيون وبعض البصريين الجر في غيرها (٥) ،وحكى أبو عمر أنّ من العرب من يضمر حرف الجر مع كل قسم ، كما أضمروا رُبَّ مع الواو وغيرها .(٦)

---

(١) الكتاب ٣ : ٤٩٨ .
(٢) المقتضب ٢ : ٣٣٦ .
(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ : ٤١٣. ط الثانية ، عالم الكتب
(٤) التسهيل ١٥٠ ، ١٥١.
(٥) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ / الأصول في النحو ١ :٤٣٢ ، ٤٣٣ / شرح الجمل ١ :٥٣٢/ شرح المفصل ٩ : ١٠٣-١٠٥/ شرح الكافية للرضي ٢ :٣٣٥.

جـ - الرفع على الابتداء :

قال سيبويه : " وسمعنا فصحاء العرب يقولون في بيت امرىء القيس:

فقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أبْرَحُ قاعِداً

ولو قَطّعوا رأسِي لديْكِ وأوصالي

جعلوه بمنزلة ايمُن الكعبة وأيمُ اللّه ، وفيه المعنى الذى فيه ، وكذلك أمانة اللّه ".(١)

وقال المُبَرّد : " يريد يمينُ الله عليَّ ".(٢)

وقال ابنُ سِيْدَه " رفع أيمُن الله والتقدير يمينُ اللّه قسمي ".(٣)

وقال ابنُ عقيل + وعلى طريق الجمهور ، يجب في غير اسم اللّه النصب أو الرفع ، ومنع الكوفيون النصب ، وأوجبوا الخفض أو الرفع ، قالوا : ولا يجوز النصب إلاّ في كعبة الله وقضاء الله ، وأنشدوا :

لا كعبةَ اللهِ ما هجرتكُم

إلاّ وفي النفسِ مِنْكُم أَرَبُ ".(٤)

ومما جاء فيه الرفع والنصب قوله تعالى ﴿ فالحقُّ والحقَّ أقُولُ ﴾(٥)

قرأ بالرفع في " الحق " عاصم وحمزة ، وقرأ بالنصب سائر السبعة.(٦)

---

(١) الكتاب ٣ : ٥٠٣ ، ٣٠٤ .

(٢) المقتضب ٢ : ٣٢٦ .

(٣) المخصص ٤ : ١١٥ .

(٤) المساعد ٢ : ٣٠٩ وانظر همع الهوامع ٢ : ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) سورة ص آية ٨٤ .

(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ، ت . د/ محي الدين رمضان ، دمشق ١٣٩٤ هـ ٢ : ٢٣٤ .

قال أبوحيان : " قرأ الجمهور " فالحَقّ والحقّ " بنصبهما أمّا الأول فمُقسَم به حُذِف منه الحرف كقوله : أمانة الله لأقُوَمَنّ . والمُقسَم عليه لأقومَنّ . والحق أقول اعتراض بين القسم وجوابه ... وقيل فالحق منصوب على الإغراء ،أي : فالزموا الحق و" لأملأنّ " جواب قسم محذوف ... وقرأ ابنَ عباس و مجاهد والأعمش بالرفع فيهما فالأول مبتدأ خبره محذوف ،قيل تقديره : فالحق أنا . وقيل فالحق مني . وقيل تقديره : فالحق قسمي ... و هذه هي جملة القسم وجوابه لأملأنّ "(١)

---

(١) البحر المحيط ٧ : ٤١١ .

القَسَمُ باللّـــهِ

جاء القسم باللّهِ في ثمانية من أبيات المفضليات ، وفي أغلب هــــذه النصوص نرى أنّ أركان القسم قد اكتملت حيث جاء الحرف والمُقْسَم بـه والجواب ، وشواهده في قول ذي الأصبع العدواني [(١)] :

واللّـهِ لَوْ كَرِهَـتْ كَفي مُصاحَبَتــي

لَقُلْتُ إذْ كَرِهَتْ قُرْبي لها : بِيْنـي

فنجد حرف القسم والمُقْسَم به وهو قوله " واللّه " والجواب وهو " لو " مع جوابها ، أمّا فعلُ القسم فمحذوف وحذفه واجب مع غير الباء [(٢)] ، وقول مُتَمِم بن نُوَيْرَة : [(٣)]

فواللّهِ ما أُسْقِي البِلادَ لِحبِّهــــا

ولكنّنى أُسْقِي الحبيبَ المودَّعــــا

نجد في البيت حرف القسم والمُقْسَم به ، وهو فيه كسابقه ، أمّا الجواب فقوله " ما أسقي " ، وقول مُرّة بن هَمّام : [(٤)]

تاللّـهِ لَوْلا أَنْ تشاءَى أهْلُهــــا

ولشرُّ ما قالَ امرؤٌ أنْ يَكْذِبــــا

لَبَعَثْتُ في عُرْضِ الصُّراخِ مُـفَاضَــةً

وَعلَوتُ أَجْرَدَ كالعسِيبِ مُشَـذَّبَــــا

---

(١) المفضلية ٣١ (٢) البيت ٣٦ .

(٢) انظر همع الهوامع ٢ : ٣٨ / البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩٢٥ .
الخصائص ٢ : ٣٦١ .

(٣) المفضلية ٦٧ البيت ٢٧ .

(٤) المفضلية ٨٢ : ٦ .

فجاء بالحرف والمُقْسَم به وهو قوله " تالله " والجواب وهو لولا وجوابها، أمّا الفعل فحذفه واجب مع التاء ، شأنها في ذلك شأن الواو.(١)

وقول مَثَّاس العَائِذي(٢) :

أرِقتُ فلم تَخْدَع بِعينيَّ خَدْعَةٌ
ووالله ما دَهْرِي بِعِشْقٍ ولا سَقَم

فالحرف والمُقْسَم به كسابقه ، والجواب جملة اسمية منفية بما ، وهو قوله " وما دهرى بعشق " . وقول علقمة بن عبدة(٣) :

فواللهِ لَوْلا فارسُ الجُونِ مِنْهُم
لآبوا خزايا ، والإيابُ حبيبُ

ولم يجب القسم في قول الخصفي المُحارِبي(٤) .

فما إنْ شُهِدْنا خَمْرَكُمْ إذْ شَرِبْتُم
عَلَى دَهَشٍ ، واللهِ ، شربةَ أشْأَمَا

فجاء بحرف القسم والمقسم به معترضا بين الفعل ومصدره .

وحذف الجواب واجب في هذا الموضع لتوسط القسم بين المتلازمين.(٥)

---

(١) انظر همع الهوامع ٢ : ٣٨ / البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩٢٥.

(٢) المفضلية ٨٦ البيت ١.

(٣) المفضلية ١١٩ البيت ٢٨.

(٤) المفضلية ٩١ البيت ٤.

(٥) انظر مغني اللبيب ٢ : ٦٤٥ / شرح جمل الزجاجي ١ : ٥٣٠.

من الأبيات السابقة نرى أنّ الغلبة في استعمال حرف القسم كانت للواو. وهذا متفق مع مقولة النحاة إنّ الواو أكثر في الاستعمال من حرف القسم الأصلي " الباء"[(١)] أما التاء فلم تأت إلّا في بيت واحد .

ومن استعمال المفضليات القسم بالله يمكن القول إنّ القسم بالله عز وجل لم يكن مقصورا على العصور الاسلامية ،فذو الإصبع العَدْوانِي ، ومُرّة بن هَمّام ، وراشِد بن شِهَاب جاهليون ، وقد أقسموا بالله .

وجاء القسم " بالله " وحرف القسم " الباء " وكل من الفعل والجواب مذكور في قول ثعلبة بن عمرو[(٢)] :

فَأَقْسَمَ باللّهِ لا يَأْتَلِي

وأَقْسَمْتُ إنْ نِلْتُهُ لا يَؤُوب

فجاء بالفعل وهو " أقسم " وذكر فعل القسم مخصوص ب" الباء " دون سائر حروف القسم[(٣)] .

هذا ما جاء في المفضليات من القسم بالله عند الاسلاميين والجاهليين ، فجاء الاسلام وأقر العرب على هذا وأنكر عليهم ما سواه وعَدّه مما يجرى مَجْرى القسم فيجاب بما يُجاب به القسم وسنعرض له فيما يلي .

---

(١) انظر الأصول في النحو ١ : ٤٣٠ .

(٢) المفضلية ٦١ البيت ٩ .

(٣) انظر همع الهوامع ٢ : ٣٨ .

ما يَجري مَجرى القَسَم

أولا - عَمر :

جاءت " عمر " في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١) وقيل فيه " ما خلق اللّهُ نفساً أكرم من محمد قاله له وحياتك " (٢) وقال أبو الهيثم " والنحويون ينكرون هذا ويقولون معنى : لَعَمْرك لدينك الذي تَعْمر ". (٣)

وجرت " عَمْر " مَجرى القسم خمس عشرة مرة في المفضليات ، وجاءت استعمالاتها على الصور الآتية :

أولا : " عمر " مضاف إلى ضمير المخاطب ، وجاءت ثمان مرات ، في قول عمرو بن الأهتم (٤) :

لَعَمْرُك ما ضاقت بلادٌ بأهْلِها

ولكنّ أخْلاقَ الرِّجال تضيقُ

أجرى الشاعر " عمر " مُجرى القسم ، وأجيب بالفعل الماضي المنفي بـ " ما " في قوله " ما ضاقت " وقول ذي الإصْبَع العُدْوانِي (٥) :

إنّي لَعَمْرُك ما بابي بِذِي غَلَقٍ

عَن الصَّدِيقِ ولا خَيْرِي بممنونِ

---

(١) سورة الحجر آية ٧٢ .

(٢) البحر المحيط ٥ : ٤٦٢ .

(٣) لسان العرب ٤ : ٦٠١ مادة (عمر) .

(٤) المفضلية ٢٣ البيت ٢١ .

(٥) المفضلية ٣١ : ٦ .

ولم يجب لاعتراضه بين اسم إنّ وخبرها وهو قوله " ما يأبى بذي غلق " . وقول المُرَقّش الأكبر :(١)

فنحنُ أخوالُكَ عَمْرَك والْ

خالُ لَهُ مَعَاظِمُ وحُرَم

ولم يجب لتقدم ما يدل عليه وهو قوله " نحن أخوالك " . قال ابن هشام : " يجب إذا تقدّم عليه أو اكتنفه ما يغني عن الجواب ،فالأول نحو " زيد قائم والله ".(٢)

وقول المُرَقّش الأصغر :(٣)

فَعَمْرَك اللّهَ هل تَدْرِى إذا

ما لُمتَ في حُبِّها فيمَ تَلُوم

ويجرى مَجْرى قسم الاستعطاف ،لكونه مجابا بالانشاء ،وهو قوله : " هل تدرى " .

وقول أفنون التغلبي :(٤)

لَعَمْرُك ما يدرِى امرؤٌ كيفَ يَتّقِي

إذا هو لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللّهُ وَاقِيَا

وأُجيب بالجملة الفعلية منفية بـ " ما " وهي قوله " ما يدرى ".

---

(١) المفضلية ٥٤ البيت ٢٤.

(٢) مغني اللبيب ٢ : ٦٤٥.

(٣) المفضلية ٥٧ البيت ١٦.

(٤) المفضلية ٦٥ البيت ٤.

وقول الحارث بن ظالم (١) :

لَعَمْرُك إنّني لأُحِبُّ كَعْبـاً

وسامةَ إخْوَتي حُبِّي الشَّرابـا

وتصدر الجواب بـ " إنَّ " مثقلة.

وقول عوف بن عطية (٢) :

لَعَمْرُك إنّني لأَخُو حِفـاظٍ

وفي يَوْمِ الكَرِيهةِ غيرُ غُمْـرِ (٣)

والجواب فيه كسابقه.

وقول معاوية بن مالك (٤) :

غَيِّ لَعَمْرُك لاأزالُ أَعُـودُهُ

ما دامَ مالٌ عِنْدَنا مَوْجـودُ

ولم يُجب لتقدم ما يدل عليه.

ثانيا : " عَمْر " مضاف إلى ضمير المتكلم ، وورد خمس مرات ، في قول عوف بن الأحوص (٥) :

---

(١) المفضلية ٨٩ البيت ١٢.

(٢) المفضلية ٩٥ البيت ١ .

(٣) والغُمْر بالضم هو الجاهل الغر الذى لم يجرب الأمور . لسان العرب ٥ : ٣٢ مادة (غمر).

(٤) المفضلية ١٠٤ البيت ١٢.

(٥) المفضلية ٣٦ البيت ١٧.

لَعَمْرى لَقَدْ أَشْرَقْتُ يومَ عُنَيْـزَةٍ
عَلَى رَغْبَةٍ لو شَدَّ نَفْساً ضَمِيرُهـا

وأجيب بالماضي المثبت مسبوقا بـ " اللام وقد " كما جرى عليه النحـاة في جواب القسم الماضي المثبت دون استطاله .

وقول مُتمِم بن نُوَيْرة : (١)

لَعَمْري وَمَا دَهْرِى بِتأْبينِ هَالِـك
ولا جَـزَعٍ مِمَا أَصَابَ فَأَوْجَعَـا
لَقَد كَفَّنَ المنهالُ تحت رِدائِـه
فتىً غيرَ مِبطانِ العشيَّاتِ أَرْوَعـا

والجواب فيه كسابقه .

وقوله : (٢)

لَعَمْرِى لَنِعمَ المَرْءُ يَطْرُقُ ضَيْفُـهُ
إذا بانَ مِنْ لَيْلِ التمامِ هَزيـعُ

أجيب بالماضي الجامد مقرونا باللام دون قد ، وجرى الحكم معه علـى هذا فلا تصاحب " قد " الفعل إلاّ عند التصرف .

وشبيه به قول الشاعر :

لَعَمْـرى لنِعْـم الفَتَى مالـكٌ
إذا الحـربُ أَصْلَتْ لظاها رِجـالا (٣)

وقول عبد المسيح بن عَسْلَة . (٤)

---

(١) المفضلية ٦٧ : ١ ، ٢ .
(٢) المفضلية ٦٨ البيت ١٤ .
(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣٢٢ .
(٤) المفضلية ٨٣ البيت ٣ .

لَعَمْرى لأشْبَعْنَا ضباعَ عُنَيْزَةٍ

إلى الحَوْلِ مِنْها والنُسُورَ القَشاعِما

فأجيب بالماضي مصحوبا باللام حال كونه خلوا من " د " وليس هو في هذا كسابقه بل لا بُدّ من وجود " قد " إنْ لم يكن هناك استطالة. (١)

وقول عامر بن الطفيل : (٢)

لَعَمْرى ،وما عَمْرى عليّ بهيّنٍ

لقَدْ شانَ حُرَّ الوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرِ

فأجيب بقوله " لقد شان " وهو متمش مع القاعدة من حيث الاقتران باللام وقد.

ثالثا : " عَمْر " مضافة إلى الظاهر :

أُضيف " عمر " إلى الظاهر في بيتين هما : قول شَبِيْب بن البَرْصاء : (٣)

لَعَمْرُ ابنةِ المُرِّئِ ما أنا بالّذى

لَهُ أنْ تنوبَ النّائباتُ ضَجِيجُ

وأُجيب بالجملة الاسمية منفية بـ " ما " في قوله " ما أنا بالذى ".

---

(١) انظر همع الهوامع ٢ : ٤٢ / البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩١٤.

(٢) المفضلية ١٠٦ البيت ٧.

(٣) المفضلية ٣٤ البيت ١٦.

وقول عبد قيس بن خفَّاف :[١]

صَحَوتُ وزَايَلَنِي باطِلي

لَعَمْرُ أبيكَ ، زيالاً طويلاً

ولم يجب لتوسطه بين الفعل ومصدره وحذف الجواب في مثله واجب على ما ذكره ابن هشام.[٢]

---

(١) المفضلية ١١٧ البيت ١.

(٢) مغني اللبيب ٢ : ٦٤٥.

دراسة " عُمْر " عند النحاة

١ - معنى " عَمْر " :

قال ابن يعيش " ومعنى لعمر الله الحلف ببقاء الله تعالى ودوامه ، فإذا قلت : عَمْرَك اللَّه فكأنك قلت بتعميرك اللَّه أي بإقرارك له بالبقاء ".(١) وكأن مصدر الثلاثي ناب فيه عن مصدر الرباعي كما في قوله تعالى ﴿ واللَّهُ أنبَتَكُم مِنْ الأرضِ نَبَاتاً ﴾(٢) والأصل إنباتا وقال ابن أبي الربيع " وأمّا " عَمْرَك اللَّه " فاعلم أنّ العمر هنا هو البقاء ".(٣)

وقال ابنُ عقيل " ومعناه عند البصريين البقاء ، وقال بعض الكوفيين والهروى : هو ضد الخلو ، ... واختار هذا السهيلي ، ورد الأول بأن العَمْر إنّما هو للإنسان ، ولا يضاف إلى اللَّه ، إنما يُوصف بالبقاء ، قال : وأيضا فهم لا يحلفون ببقاء اللَّه ولا قدمه ".(٤) وقال " والمعنى على مقتضى ما سبق في عمرتك اللَّه الذى هذا بدل منه : أسألك بتعمير قلبك بالله ، أو بتعمير الله قلبك ".(٥)

---

(١) شرح المفصل ٩ : ٩١ .

(٢) سورة نوح آية ١٧ .

(٣) البسيط في شرح الجمل ١ : ٩٤٣ .

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣٠٨ .

(٥) المساعد ٢ : ٣٠٤ وانظر همع الهوامع ٢ : ٤٥ .

٢ - اللغات في " عَمْر " :

في العمر لغات ثلاث " عَمْر " بفتح العين وسكون الميم ، و " عُمُر " بضم العين والميم و " عُمْر " بضم العين وسكون الميم . وعند استعماله في القسم ألتزموا فيه لغة واحدة . وهي " عَمْر " بفتح العين وسكون الميم ،فيقال " لَعَمْر الله ولعَمْرك " وقد تحذف اللام فيقال " عَمْرُك " وإنما لزموا الفتح فيه لخفته والقسم موضع استخفاف ، وقيل لجريانه مَجْرَى المثل .(١)

وكُلّ ما جاء في المفضليات من استعمال " عَمْر " لزمت فيه اللام، عدا قول المُرَقّش الأكبر(٢) :

فنحنُ أخوالُك عَمْـرَك وال
خالُ له معاظِمُ وَحُـرَم

فحذف اللام . وقول المُرَقّش الأصغر:(٣)

فَعَمْـرَك اللهَ هَلْ تَـدْرى إذا
ما لُمْتَ في حُبِّها فيمَ تَلُـومْ

والبيت شبيه بقول عُمَر بن أبي ربيعة.

---

(١) انظر المقتصد في شرح الإيضاح ت .د/ كاظم بحر المرجان ٢ : ٨٦٤ / البحر المحيط ٢ : ٤٦٢ / المُخَصّص ٤ : ١١٥/البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩٤٣/ لسان العرب ٤ : ٦٠١ مادة " عمر"

(٢) المفضلية ٥٤ البيت ٢٤.

(٣) المفضلية ٥٧ البيت ١٦.

أيُّها المُنْكِح الثُّريا سُهَيْلاً
عَمْرَك اللهَ كَيْفَ يلتقيان (١)

٣ - إعراب " عَمر " :

أكثر ما ترد عمر - جارية مجرى القسم - مرفوعة بالابتداء والخبر محذوف . قال سيبويه " وذلك قولك : لَعَمرُ اللّه لأفْعَلَنّ ... ،كأنه قال : لَعَمرُ اللّه المُقْسَم به ،وكذلك ايمُ الله وأيمُن الله ،إلاّ أنّ ذا أكثرُ في كلامهم ،فحذفوه كما حذفوا غيره " (٢)

وقال المُبَرّد " فمن تلك الأسماء قولك : لَعَمْرك لأفْعَلَنّ ... فهذا مثل قولك : على زيد درهمان ،ولزيد أفضلُ من عمر ،لأنّه إنّما وقع قسما لقوله : لَعَمْرُ اللّه ما أُقسِم به " . (٣)

وقال ابنُ جِنّي " وما يُجيزه القياس غير أن لم يرد به الاستعمال خبرا لعمر من قولهم : لَعَمرك لأقُومَنّ ، فهذا مبتدأ محذوف الخبر، وأصله لو أظهر خبره : لَعَمرك ما أُقْسِم به ، فصار لطول الكلام عوضا من الخبر " . (٤)

وقال ابن سِيْدَه : " فمن الابتداء والخبر قولهم : لَعَمْرُ اللّه كأنّه قال : لعمر الله المُقْسَم به " . (٥)

---

(١) انظر خزانة الأدب ٢ : ٢٨ ت/ عبد السلام هارون .
(٢) الكتاب ٣ : ٥٠٢ ، ٥٠٣ .
(٣) المقتضب ٢ : ٣٢٥ .
(٤) لسان العرب ٤ : ٦٠١ مادة " عمر " .
(٥) المخصص ٤ : ١١٥ .

وجعل ابنُ يعيش الحذفَ فيه لازما كما لزم في حذف الخبر في مثل : لولا زيدٌ لكان كذا . لطول الكلام .(١)

وقال أبو عبيد " سألت الفرّاء لم ارتفع لعمرك ؟ فقال مع إضمار قسم ثان كأنه قال : وعمرك فَلَعَمْرُك عظيم ".(٢)

وقال ابن أبي الربيع " ولم يُسمع في القسم إلاّ الرفع على الابتداء والخبر محذوف ".(٣) ، وليس الأمر كما ذكر ، حيث جاءت مفتوحة في المفضليات ، في قول المُرَقِّش الأكبر :(٤)

فنحنُ أخوالُكَ عَمْرَك والـ
خالُ لَهُ معاظِمُ وحُرَم

وقول المُرَقِّش الأصغر :(٥)

فَعَمْرَك الله هَلْ تَدْرِي إذا
ما لُمتَ في حُبِّها فيمَ تلُوم

قال سيبويه : وكأنّه حيث قال : عَمْرَك اللّه وقِعدك اللّه : قال عمّرتُك اللّه بمنزلة نشدتُك اللّه ، فصارت عَمْرَك منصوبة بعَمَّرتك اللّه ، ... ".(٦)

---

(١) انظر شرح المفصل ٩ : ٩١ .

(٢) لسان العرب ٤ : ٦٠٢ مادة " عمر ".

(٣) البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩٤٣ .

(٤) المفضلية ٥٤ البيت ٤ .

(٥) المفضلية ٥٧ البيت ١٦ .

(٦) الكتاب ١ : ٣٢٢ وانظر ٣٤٩ .

وقال الكسائي " عَمْرَك اللّه لا أفعلُ ذلك ، نصب على معنى عَمَرْتُك اللّه ،أى سألت اللّه أنْ يُعَمِّرك ، كأنّه قال : عَمَرتُ اللّهَ إياك . فقال : ويقال إنه يمين بغير واو . وقد يكون عَمْرَ اللّهُ ، وهو قبيح ".[1]

وقال المُبَرِّد : " واعلم أنّ المصادر وما يجرى مَجْراها إنما تقع في القسم منصوبة بأفعالها ".[2] وذكر فيها أوجه أخرى وهي : أنّها منصوبة بنزع الخافض[2] وبه قال الأخفش إذ الأصل عنده " بتَعْمِيرِك اللّه ".[3]

ووجه ثالث أنّ الأصل فيها عمّرْتُك اللّه تَعْمِيراً ثم وضع عمر موضع التعمير[4] وقال ابن يعيش " وإذا لم تأت باللام نصبته المصادر".[5] ونصبه بتقدير " أُقسم " عند ابن مالك.[6]

وفي المصدر لغتان : الأولى " عُمْرك " بضم العين ، والثانية : عَمْرك بفتحها ولا يستعمل في القسم إلاّ المفتوح . ومن اللغات فيها " رعملك ".[7]

ويستعمل الفعل منه ،كما في قول عمرو بن أحمر الباهلي :

عمّرْتُك اللّهَ العَليَّ فإنّني
ألوى عليك لو أنّ لُبَّك يَهْتَدِي[8]

---

(١) لسان العرب ٤ :٦٢ مادة " عمر ".

(٢) المقتضب ٢ : ٣٢٦، ٣٢٧ .

(٣) خزانة الأدب ٢ : ١٤ ت/ عبد السلام هارون .

(٤) المقتضب ٢ :٣٢٨ .

(٥) شرح المفصل ٩ : ٩١ .

(٦) انظر شرح الكافية الشافية ٢ : ٨٧٢ .

(٧) لسان العرب ٤ :٦٠٢ مادة " عمر " و " رعملك " بالقلب المكاني كما في " أشياء ".

(٨) المقتضب ٢ :٣٢٩ .

قال البَغْدَادي : " وقد ثبت أنّهم يقولون : عَمْرك الله وعَمْرَتك اللّه بمعنى ، فيكون اسم اللّه منصوبا بعمرك على قول ، وبالفعل المُقَدّر على قول . وفيه معنى السؤال ، وقيل منصوب بفعل مقدر أي : سألت اللّه عَمَرك أي : بقاءك ".(١)

ورُوي عن الأخفش جواز جعل اسم الله فاعلا ونسبه أبوحيان لابن الأعرابي .(١)

ومن استعمالاتها أنْ يدخل عليها حرف الجر ، ومن ذلك قول عُبيدالله بن قيس الرُقيّات :

رُقيَّ بَعُمْرِكم لا تَهْجُرينا

وَمنِّينَا المُنى ثم امطلينا (٢)

ودخول الباء عليها يقربها من القسم لكونه استعمل حرفا من حروفه معها .

ويظهر أنه لا يستعمل عند أبي حيان إلّا في الاستعطاف يتضح ذلك من قوله " والذي يكون بعد نشدتك اللّه وعمرتك اللّه أحد ستة أشياء : استفهام ، وأمر ، ونهي وأنْ ، وإلّا ولما بمعنى إلّا ".(٣)

قال ابنُ هشام في لَمّا التي بمعنى إلّا فتدخل على الجملة الاسمية ، ... وعلى الماضي لفظا لا معنى نحو " أنشدك اللّه لمافعلت " أي ما أسألك إلّا فعلك ، قال :

---

(١) خزانة الأدب ٢ : ١٣ ، ١٤ ت/ عبد السلام هارون .

(٢) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣٠٩ .

(٣) خزانة الأدب ٢ : ١٤ ت/ عبد السلام هارون .

قَالَتْ لَهُ : بِاللَّهِ يا ذا البُرْدَيْن

لَمَّا غَنِثْتَ نَفَسَاً أو اثنين" (١)

ثانيا : قعيد :

وردت " قعيدك " في المفضليات في قول مُتَمِم بن نُوَيْرَة : (٢)

قَعِيدَكَ ألاَّ تُسْمِعِينِي مَلاَمَةً

ولاَ تَنْكَئِي قَرْحَ الفؤادِ فَيَيْجَعَا

١ - معنى قعيد :

" وقيل قَعِدَك اللّه وقَعِيدَك اللّه :أي كان معك ،وقال ثعلب: قَعدك اللّه وقعيدك اللّه : أي نشدتك.

والقسم قعيدك اللّه لأكرمتك ،وقال أبوعبيد : عُلْيا مُضَر تقول : قعيدك لَتَفْعَلَنَّ كذا. قال : القعيد : الأب .

قال الجوهري : هي يمين للعرب. (٣)

وقال ابن بري : قعيدك اللّه وقعدك اللّه استعطاف وليس بقسم، كذا قال أبوعلي : والدليل أنَّه ليس بقسم كونه لم يجب بجواب القسم". (٤)

---

(١) مغني اللبيب ١ : ٢٨١ ،فكأنه سَبَك مِنْ غيرِ سابك . وانظر لا عمر " في الأمالي الشجرية ١: ٣٤٨ وما بعدها

(٢) المفضلية ٦٧ البيت ٣٧.

(٣) الصحاح للجوهري ت/ أحمد عبد الغفور عطّار ٢ : ٥٢٦ .مادة " قعد".

(٤) لسان العرب ٣ : ٣٦٣ ، ٣٦٤ مادة " قعد".

وقال أبو اسحق النجيرمي " معنى قَعِدَك اللّه وقعيدك اللّه : أخصب بلادك حتى تكون مقيما فيها قاعدا غير منتجع ".(١)

وقال الفيروزآبادى " القعيد ... والأب ومنه قعيدك لَتَفْعَلَنَّ أى بأبيك ،وقعيدك وقعِدك اللّه بالكسر استعطاف لا قسم بدليل أنه لم يجيء جواب القسم ".(٢)

وقال السيوطي " ومعنى (قعدك الله وقعيدك الله) معك أي رقيب عليك وحفيظ ،وقيل مقاعدك وهو بمعناه وضمن القسم ".(٣)

٢ - استعمال قعيد في القسم :

قال سيبويه " وكأنه حيث قال عمّرتك الله .. فقعدك اللّه يجرى هذا المجرى وإن لم يكن له فعل . وكأن قوله : عَمْرَك اللّه وقَعِدَك اللّه بمنزلة نَشَدتُك اللّه وإن لم يتكلم بنشدك الله ،ولكن زعم الخليل رحمه الله أنَّ هذا تمثيل يمثل به ".(٤) وقعدك عند المُبَرِّد شأنها شأن " عَمر " فهي إمّا منصوبة بأفعالها ،أوبفعل محذوف أوعلى نزع الخافض أوعلى المفعول به.(٥)

وذكره ابن سِيّدَه في نوادر القسم.(٦)

---

(١) نقلا عن خزانة الأدب ٢ : ٢١ ت/ عبدالسلام هارون ، وهو دعاء لهم بالاستقرار.

(٢) القاموس المحيط للفيروزابادى ،دار الجيل ١ : ٣٤١ (القعود).

(٣) همع الهوامع ٢ : ٥٤٥.

(٤) الكتاب ١ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٥) انظر المقتضب ٢ : ٣٢٦- ٣٢٨ مع هوامشها.

(٦) انظر المخصص ٤ : ١١٦ ، ١١٧.

وقال الصيمري " ... كأنه قال (أسألك) بقعدك الله ، ولم يستعمل من قعدك فعل كما استعمل عمرتك ".(١)

وقال الفيروزابادى " وهو مصدر واقع موقع الفعل ".(٢)

وقال البَغْدادي في البيت : على أن (قعيدك الله) وعمرك الله أكثر ما يستعملان في القسم السؤالي .. قال أبوحيان في الارتشاف : ويجيء بعد - قعد وقعيدك - الاستفهام وأن ولم يقيدها بكونها زائدة أو مصدرية أو غيرهما . ومثال الاستفهام ، قال الأزهرى : قالت قُرَيْبَة الأعرابية :

قعيدكِ عَمْرَ اللّهِ يا ابنةَ مالِكٍ

ألم تعلمينا نِعْمَ مأوى المحصَّبِ

ولم أسمع بيتا جمع فيه بين العمرو والقعيد إلاَّ هذا ".(٣)

ثالثا - على :

وردت (على) جارية مجرى اليمين في المفضليات في قول عبدالله ابن سَلَمة :(٤)

وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا بأنيفِ فرْعٍ

عليَّ إذا مُذَرَّعةً خَصِيبُ

---

(١) التبصرة والتذكرة ١ : ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٢) القاموس المحيط ١ : ٣٤١ (القعود) .

(٣) خزانة الأدب ٢ : ٢٠ ت/ عبد السلام هارون . وانظر " قعيد " في الأمالي الشجرية ١ : ٣٥٢ فمابعدها .

(٤) المفضلية ١٨ البيت ٣ .

وقال عوف بن الأحوص :(١)

أَذَمُّكَ ما تَرَقْرَقَ ماءُ عَيْني
عليَّ إذاً مِنَ اللهِ العفاءُ

قال سيبويه : " وتصديق هذا قول العرب : عليَّ عَهْدُ اللّه لأَفْعَلَنَّ. فعهدٌ مرتفعة وعليّ مُسْتَقَر لها ،وفيها معنى اليمين "(٢)
وهي من قبيل الجملة الاسمية كـ " عَمْرُالله " قال المُبَرِّد " فمن تلك الأسماء قولك ... وعليّ عَهْدُ اللّه لأَفْعَلَنَّ ،وعليّ يَمِيْنُ اللّه لأَفْعَلَنَّ فهذا مثل قولك : على زيد درهمان ".(٣)

وقال ابن سِيْدَه " ومن ذلك قولهم عليَّ عَهْدُ اللّه ،فَعَهْدُ اللّه مبتدأ ،وعليّ خبره ".(٤)

وقال ابن مالك :

جملة اسمية أو فعليه للقسم اجعل قاصداً أَلِيَّة
نحو (عليّ عهده)و(أقسم به) وجملة الجواب تختم(٥)
وحذف الخبر في (علي عهد الله) جائز لا واجب .(٦)

---

(١) المفضلية ٣٥ البيت ٦.
(٢) الكتاب ٣ : ٥٠٣ .
(٣) المقتضب ٢ : ٣٢٥ ، ٣٢٦.
(٤) المخصص ٤ : ١١٦.
(٥) شرح الكافية الشافية ٢ : ٨٣٣ .
(٦) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣٠٨ ، ٣٠٩. البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩٢٩.

وقال الأستاذ كاظم " عليّ الله أي واللّه فلما حذف واو القسم نصب على نزع الخافض "(١) ومقتضى كلامه يُخرج " عليّ " من إطار القسم ، إذ القسم في " واللّه " والذي يؤخذ من هذا التركيب أنّ " عليّ " ليست قسما وإنما هي جارية مجرى اليمين .

رابعا : أجِدَّك :

وردت " أجدّك " في قول المُثقّب العَبْدِي :(٢)

أجدّك ما يُدْرِيكِ أن رُبَّ بَلْدَةٍ
إذا الشمسُ في الأيامِ طال رُكُودُها

وقول عمرو بن الأهتم :(٣)

أجِدَّك لا تُلِمُّ ولا تَزورُ
وقد بانتْ بِرُهْنِكُمُ الخُدورُ

وقد ذكر استعمالها في القسم ابن سِيْدَه . وفيها لغتان : أجِدّك بكسر الجيم ، وأجَدّك بفتحها (٤) ، وقال ابن عقيل في قول الشاعر :

أجِدَّك لَمْ تَغْتَمِض ساعةً
فترقُدها مع رُقّادِها

" ويُبَيِّنه أن أجِدّك يتضمن معنى القسم ".(٥)

---

(١) أساليب القسم في اللغة العربية ١٠٠ .

(٢) المفضلية ٢٨ البيت ٥ .

(٣) المفضلية ١٢٣ البيت ١ .

(٤) انظر المخصص ٤ : ١١٦-١١٨ .

(٥) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٣٠ .

قال أبو عمرو " أُجِدَّك وأَجَدّك معناهما مالك أجداً منك ، ونصبهما على المصدر، ... الأصمعي : أَجِدَّك معناه : أبجِدٍ هذا منك ، ونصبها بطرح الباء ، الليث : من قال أَجِدك ، بكسر الجيم فإنّه يستحلفه بجده وحقيقته ، وإذا فتح الجيم ، استحلفه بجَدّه وهو بخته .

قال ثعلب : ما أتاك في الشعر من قولك أجِدَّك فهو بالكسر، فإذا أتاك بالواو : وجِدِّك ، فهو مفتوح ، وفي حديث قس :

أَجِدَّكُما لاَ تَقضِيَانِ كَرَاكُما

أي : أبجد منكما ، وهو نصب على المصدر ."(١)

وقال سيبويه : " وأصله من الجِدّ كأنه قال أجِدا ولكن لا يتصرف ولا يفارقه الإضافة ."(٢)

---

(١) لسان العرب ٣ : ١١٣ مادة "جدد".

(٢) الكتاب : ١:٣٧٩ .

وانظر ما يجرى مجرى القسم في الأمالي الشجرية ١:٢٥٩ .

أقسام الجاهليين

اشتمل ديوان المفضليات على كثير من قصائد الشعراء الجاهليين ومن الطبيعي أن تتضمن هذه القصائد بعض الأقسام التي يمجها ذوق المسلم منذ أن شرّف اللّه الأمة العربية بالإسلام فدخلوا في دين الله أفواجا وبقيت تلك القصائد الجاهلية على حالها سجلا تاريخيا للغة العربية في مراحلها القُدمى بما تضمنته من أقسام جاهلية كالحلف بالأب والماء والحيوان والكواكب وغير ذلك مما له مساس بحياة القوم وليس القصد من الإشارة إلى هذه الأقسام الاشادة بها أو بعثها من جديد أو إحيا ءها أو الدعوة إليها ، وإنما المقصود من ذلك مجرد الإشارة إلى هذه الأقسام في حقبة تاريخية من أحقاب تطور اللغة ونموها وبيان ما كان عليه عرب الجاهلية في جاهليتهم وجرى على ألسنتهم مُجْرَى القسم فأُجيب بما يُجاب به القسم ، لتوقيه كما قال عمر " عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر يقع فيه " وسبب آخر هو استيفاء فصل القسم في المفضليات بعد الإسلام وقبل الإسلام من أيمان حُرِّمت لمجيء الإسلام .

فمن أيمانهم في المفضليات قول عبد الله بن سَلَمَة : (١)

وإنْ أكْبَرَ فلا بأطيرِ إُصْرٍ
يُفارِقُ عَاتقِي ذَكَرٌ خشيبُ

---

(١) المفضلية ١٨ البيت ٧ .

قال ابن الأنباري : " قوله بأطير إصر كقولك : لازم لي ، غيره : فلا ميثاق أعهده على نفسي ويقال بأصر لأفعلن كذا وكذا ، كأنه عهد وشبيه بذلك ".(١)

وقال التبريزي " لا يفارقني السيف بعهد وثيق تقلدته ".(٢)

وقال أبوحيان " ومن أيمانهم بإصر ، وبإصر ليكونن ذاك ، وأنشد :

بإصرٍ يَتْرُكنِي الحَـي يومـاً

رهينـةَ دارِهـم وَهُـمُ سِـراع

ومعنى إصر : حتم لازم.

فإنْ أكبره فلا بأطير إصـرٍ

يُفارِقُ عاتِقِي ذَكَر خشـب

والمعنى : أنَّ عليَّ إصرا يعطفني على أن لا أفارق هذا السيف ، وهذا كقولك : أقسمت يفارقني ، آليت يفارقني ".(٣)

واعترض قوله " بأطير إصر " بين حرف النفي ومنفيه .

ومن أيمانهم أيضا قول المُخَبل السَعْدِي :(٤)

إنّي وجَـدِّك ما تُخَلِّدنـي

مائـةٌ يطـيرُ عفاؤهـا أُدُمُ

واعترض قوله " وجَدِّك " ، بين اسم إنَّ وخبرها .

----

(١) شرح المفضليات ١٨٤.

(٢) شرح المفضليات ١ : ٣١٦.

(٣) تذكرة النحاة لأبي حيان ت د/ عفيف عبدالرحمن ٤٠٤. ط الأولى

(٤) المفضلية ٢١ البيت ٣٧.

ومنه أيضا قول المُرَقّش الأكبر (١) :

بودّك مَا قومي على أنْ هَجَرْتَهم

إذا أشْجذَ الأقوامَ ريحُ أظائِفِ

ومن معانيها بمودتك (٢).

وقول راشد بن شِهاب: (٣)

فَلا تَحْسَبِنَّا كالعُمُورِ وجَمْعَنا

فنَحْنُ وبيْتِ اللّهِ أدْنَى الي عَمْرِو

واعترض قوله "وبيت الله" بين المبتدأ "نحن" والخبر "أدنى"

وهذه الأيمان لا يجوز للمسلم الحلف بها.

---

(١) المفضلية ٥٠ البيت ١١.

(٢) انظر شرح المفضليات للتبريزى ٢/ ٨٤٦.

(٣) المفضلية ٨٧ البيت ٧.

اجتماع الشرط والقسم

اجتماع الشرط مع القسم في المفضليات على صورتين :

أ - المدلول فيه على القسم باللام الموطئة ، وورد ست مرات ، وشواهده قول تأبط شرا :(١)

إنّي زعيمٌ لَئِن لم تتركُوا عَذَلي

أَنْ يَسْئَلَ الحيُّ عنّي أهلَ أفاقِ

ولم يجب لتقدم ما يدل عليه . وقول المُخبل السّعدي :(٢)

ولَئِن بنيت ليَ المُشَقَّر في

هُضْبٍ تُقَصِّرُ دونَهُ العُصْمُ

لتُنقِّبَنْ عَنّي المنيَّةُ إ

نَّ الله ليس كَحُكْمِهِ حُكْمُ

فأجيب بقوله " لتنقبن " على صورة جواب القسم حيث أكد باللام والنون ، وفي قول عَبَدة بن الطبيب :(٣)

فلئِنْ هَلَكْتُ لَقَدْ بنيت مساعِياً

تَبْقَى لَكُم مِنْها مآثِرُ أَرْبَعُ

وجوابه قوله "بنيت" مسبوقا ب" لقد " كما جرى عليه الحكم في أجوبة القسم .

---

(١) المفضلية ١ البيت ٢٣.

(٢) المفضلية ٢١ البيت ٣٨.

(٣) المفضلية ٢٧ البيت ٢.

وقول الحارث بن حِلِزة :(١)

ولَئِن سَأَلْتَ إذا الكتيبةُ أَحْجَمتْ
وتَبَيَّنت رِعةَ الجبانِ الأَهْوجِ

وحَسِبْتِ وَقْعَ سُيُوفنا بِرُؤُوسِهِمْ
وَقْعَ السَّحَابِ عَلَى الطِّرَافِ المُشْرَجِ

قال التبريزي : " ولم يأت بجواب " إنْ " لأنَّ مابعده معطوف عليه ، وترك الكلام على إبهامه ليكون المتوهم من الكلام أعجب . وهذا كما يفعل في " لو " إذا قيل " لو رأيت زيدا وفي يده السيف " ثم يقطع الكلام به ،ولا يتعرض لبسطه وشرحه .

وكل الكوفيين يجعلون الواو من " وحسبت وقع " زائدة ،ويقولون : الواو للإقحام و " حسبت " جواب لئن سألت ،وهذا بعيد ،لئن الكلام لا يتم ولا يلتئم ".(٢)

فالجواب عند التبريزي محذوف ،وهو للشرط :

وقول بشامة بن الغدير :(٣)

فلَئِن ظَفِرتُمْ بالخِصامِ لَمو
لاكُمْ فكان كَشَحْمَةِ القَلْعِ

لَتَلاوَمُنَّ على المواطِنِ أَنْ
لا تَخْلِطو الإعْطاءَ بِالمَنْعِ

---

(١) المفضلية ٦٢ البيت ٧،٨ .

(٢) شرح المفضليات ٢ : ٩٢٧ ، ٩٢٨ . للتبريزي

(٣) المفضلية ١٢٢ البيت ١٥ ،١٧ .

وأجابه بقوله (لتلاومنَّ) موءكدا باللام والنون شأن جواب القسم . وقول أبي ذوءيب الهذلي : (١)

ولئن بهم فَجَع الزمانِ وَرَيبهُ
إنّي بأهلِ مَودَّتي لمُفَجَّعُ

والجواب قوله (إنّي بأهل مودتي ..) مسبوقا بـ " إِنَّ " مثقلة على صورة أجوبة القسم .

ب - ما اجتمع فيه القسم مع الشرط الامتناعي وله خمسة شواهد في المفضليات ،في قول ذي الإصْبَع : (٢)

واللّهِ لَوْ كَرِهَتْ كَفِي مُصَاحبَتِي
لَقُلْتُ إِذْ كَرِهَتْ قُرْبِي لها : بِيني

وقول مُرَّة بن هَمَّام : (٣)

تاللّهِ لَوْلا أَنْ تَشَاءَى أَهْلُها
ولَشَرٌّ ما قال امروٌ أَنْ يَكْذِبا
لَبَعَثْتُ في عُرْضِ الصُّراخِ مُفَاضَةً
وَعَلَوتُ أَجْرَدَ كالعسيبِ مُشَذَّبا

وقول مَقَّاس العائذى : (٤)

---

(١) المفضلية ١٢٦ البيت ١٤.
(٢) المفضلية ٣٢ البيت ٣١.
(٣) المفضلية ٨٢ البيت ٦ ، ٧ .
(٤) المفضلية ٨٥ البيت ٤ ، ٥.

فواللهِ لو أنَّ امرأَ القيسِ لم يكُن
بِفَلْجٍ على أَنْ يسْبِقَ الخيلَ قادِرا
لقاظَ أسيراً أو لعالجَ طَعْنةً
ترى خَلْفَهُ منها رَشاشاً وقاطِرا

وقول الحارث بن ظالم:[١]

فأُقسِمُ لوْلا مَنْ تَعَرَّضَ دونَهُ
لخالَطَهُ صافي الحديدةِ صارِمُ

وقول علقمة بن عبده :[٢]

فواللهِ لولا فارسُ الجونِ مِنهُمُ
لآبوا خَزَايَا ،وإلا يابُ حبيبُ

والخلاف هنا عند النحاة في الجواب يكون للقسم أو للشرط .

قال سيبويه : " واللّه إنْ أتيتني لا أفعل ،لا يكون إلاّ معتمده على اليمين "[٣] وقال " وسألته عن قوله عز وجل ﴿ ولَئِنْ أرْسَلْنَا رِيْحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُون ﴾[٤] فقال : هي في معنى ليفعلُنَّ ،كأنه قال : ليَظَلُّنَّ "[٥] . وخالف الفَرّاءُ في ذلك فأجاز جعل الجواب للشرط ،فقال في قوله تعالى ﴿ قل لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإنْسُ والجِنُّ عَلَىَ أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا الْقُرآنِ لا يأْتون بِمِثْلِهِ ﴾[٦] ،

---

(١) المفضلية ٨٨ البيت ٢ .
(٢) المفضلية ١١٩ البيت ٢٨ .
(٣) الكتاب ٣: ٨٤ .
(٤) سورة الروم آية ٥١ .
(٥) الكتاب ٣ : ١٠٨ .
(٦) سورة الإسراء آية ٨٨ .

" وقوله على أن يأتوا ... لا يأتون جواب لقوله (لئن) والعرب إذا أجابت (لئن) جعلوا ما بعد لا رفعا ، لأن (لئن) كاليمين ، وجواب اليمين بـ (لا) مرفوع . وربما جزم الشاعر لأن (لئن) إنّ التي يُجازى بها زيدت عليها لام ، فوجّه الفعل فيها إلى فعل ، ولو أتى بيفعل لجاز جزمه ، وقد جزم بعض الشعراء بلئن ، وبعضهم بلا التي هي جوابها قال الأعشى :

لَئِن منيت بنا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ
لا تُلْفِنا من دماءِ القوم نَنْتَفِلُ (١)

وربما كان الفعل مرفوعا ، وحذفت الياء للضرورة .

وأنشدتني امرأة عقيلية فصيحه :

لئِن كان ما حُدِثتُه اليوم صادقاً
أَصُمْ في نهارِ القيظِ للشمسِ بادِيا

وأَركب حِماراً بين سَرْجٍ وفروةٍ
وأُعرِ من الخاقامِ صُغرى شِماليا (٢)

كان من حق العربية أن يقول (أصومَن) إلاّ أنه جاء به مجزوما جوابا للشرط على خلاف الغالب ، أو أنه لم يجزم و" أصم " جواب القسم ولكنه جزم تخفيفا كما في قول امرئ القيس :

فاليومَ أشربْ غير مستحقبٍ
إثما مِنَ الله ولا واغِلِ (٣)

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ : ١٣٠ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢ : ١٣٠ .

(٣) انظر الخصائص ٣ : ٩٥ ، ٩٦ / ٧ : ٧٤ .

قال وأنشدني الكسائي للكميت بن معروف :

لئِنْ تَكُ قَدْ ضَاقَتْ عليكُم بيوتكم
ليعلمُ ربي أنَّ بيتي واسع (١)

وهنا لم أر في هذا الشاهد الذي ساقه أبو زكريا الفرّاء من إنشاد الكسائي ما هو معنا في هذا الصدد فإنَّ الفعل (ليعلم) مرفوع وليس مجزوما كسابقيه ، ومما جعل فيه الجواب لـ "إنْ" قوله تعالى * ولئِنْ أتَيْتَ الّذينَ أُوتوا الكِتابَ بكلِّ آيةٍ ماتَبِعُوا قِبْلَتك * (٢).

والزّجاج على أن جعل الجواب في مثل هذا للجزاء فيه بعد عن الصواب ، ولا يكون في مثله إلّا للقسم (٣).

وقال الزمخشرى في الآية المتقدمة " (ما تبعوا) جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط " (٤) وجعله للشرط في قوله تعالى * لَئِنْ بَسَطْتَ إليَّ يَدَكَ لِتَقْتُلني * (٥) وابن خالويه على أنَّ اللام في (لئن) تأكيد (٦) ، وابن يعيش على أنّ الجواب للقسم إذا تقدم ، فإن تَقَدّمه شيء فالجواب للشرط والقسم ملغي (٧) والرضيّ على أنَّ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢ : ١٣١ .
(٢) سورة البقرة آية ١٤٥ انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٨٤ .
(٣) انظر إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢ : ٦٥٩-٦٦٣ .
(٤) انظر الكشاف ١ : ٣٢٠ .
(٥) سورة المائدة آية ٢٨ وانظر الكشاف ١ : ٦٠٧ .
(٦) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ١٤٠ . مكتبة المتنبي / القاهرة
(٧) انظر شرح المفصل ٧ : ٥٧ ، ٥٨ .

الجواب للمتقدم ،مع جواز إلغاء القسم واعتبار الشرط جوازا قليلا في الشعر ، ويجوز اعتبار القسم مع تقدم الشرط ، والقسم وجوابه جواب الشرط (١) وابن عصفور على أنّ الجواب للأول. (٢)

وقال ابن أبي الربيع (فالعرب تنظر للمتقدم ،فيكون الجواب له ،ويغني عن الثاني . وعلى هذا كلام العرب وقد جاء في الشعر خلاف هذا للضرورة ... ولذلك عندي وجه من القياس ،وذلك أنّ القسم قد تقدم أنه توكيد للخبر ،والتوكيد لا يغير معنى الكلام ،فدخوله كخروجه ، فلما اضطر قدر كأنه نطق به ..." (٣) وقال ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم
جواب ما أخرت فهو ملتزم
ورُبما رُجّح بعد قَسَم
شرطٌ بلاذى خبرٍ مُقدَّمِ (٤)
وإن تواليا وقبل ذو خبر
فالشرط رجح مطلقاً بلا حذر

ولم يمنع الاستغناء بجواب الشرط مع تأخره . (٥)
ومما سلف نرى أنّ الجواب للمتقدم عند الجمهور إنْ لم يتقدَّم ذو خبر ، فإن تقدم ذو خبر فالجواب للشرط والقسم تأكيد. (٦)

---

(١) انظر شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٩٢ ، ٣٩٣.
(٢) انظر شرح الجمل ١ : ٥٢٩.
(٣) البسيط في شرح الجمل ٢ : ٩١٦ ، ٩١٧.
(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٣٨١.
(٥) انظر شرح الكافية الشافية ٢ : ٨٨٩.
(٦) انظر الكتاب ٣ : ٨٤ / المساعد على تسهيل الفوائد ٣ : ١٧٦-١٧٨.

وقال ابن مالك عن اجتماع القسم مع الشرط الامتناعي :

وجواب (لو) و (لولا) استُغْنيا
حتماً إذا ما تَلَوا أو تُليا

وقد يُرى نحو (لقدْ فعلت) من
بعدهما من بعد إقسام يَعِن (١)

وقال " المُقْسَم عليه جملة مؤكدة بالقسم تصدر في الإثبات بلام مفتوحة ، ... وتصدر في الشرط الامتناعي ب " لو" أو " لولا " (٢) يفهم من ذلك أن " لو ، لولا " مع جوابهما جواب القسم.

قال الدماميني " والحق أن " لولا " وجوابها جواب القسم ولم يغن شيء عن شيء " وذهب الخضريُّ إلى أنّ الجواب للقسم والشرط. (٣)

والذى أراه في هذا أنّ ما ذهب إليه ابن مالك من جعلها وجوابها جوابا للقسم هو القول الفصل ، وبالنظر إلى أبيات المفضليات نجد أن الجواب يحمل سمات جواب (لو) إذ تجاب باللام كثيرا (٤) متى كان الجواب ماضيا مثبتا ، ولو كان الجواب للقسم لكان من حقه الاقتران ب " لقد " شأن أجوبة القسم على ما تقدم.

---

(١) شرح الكافية الشافية ٢ : ٨٨١ ، ٨٨٢.

(٢) تسهيل الفوائد ١٥٢.

(٣) حاشية الخضرى على ألفية ابن مالك ٤: ١٢٧.

(٤) انظر المساعد ٣ : ٢٢٢ ، ٢٢٣ / البرهان في علوم القرآن ٤: ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، الجنى الداني ٢٨٣ / مغني اللبيب ١ : ٢٧١.

أما ما جاء من القسم المدلول عليه باللام الموطئة فالجواب فيه جاء للقسم في شواهد المفضليات ففي بيتي المُخَبل السَعدِي [١] جاء الجواب مؤكدا باللام والنون (لَتُتَقِبَنْ) كما جاء ماضيا مسبوقا ب " لقد " في بيت عَبَدَة بن الطبيب [٢] وهو قوله (لقد بنيت) كما جاء الجواب مؤكدا باللام والنون في بيتي بشامة بن الغدير [٣] وهو قوله (لتلاومنَّ) أما بيت أبي ذوءيب [٤] فجوابه " إنّي بأهل مودتي " ولو كان الجواب للشرط لاقترن بالفاء .

---

(١) المفضلية ٢١ البيت ٣٨ ، ٣٩ . انظرص ١٠٨ .

(٢) المفضلية ٢٧ البيت ٢ . انظرص ١٠٨ .

(٣) المفضلية ١٢٢ البيت ١ ، ٧ . انظرص ١٠٩ .

(٤) المفضلية ١٢٦ البيت ١٤ . انظرص ١١٠ .

الفصل الثالث

ظاهرة النداء في ديوان المفضليات

" النّـــــداء "

تعريف النّـداء :

قال ابنُ مَنظُور : " والنّداءُ والنُّداء : الصوت . مثل الدُّعـاء والرُّغاء ، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء أى صاح به ... والنّداء ، ممدود الدُّعاء بأرفع الصوت ... ، وفي حديث ابن عوف :

" وأُودى سَمْعُه إلاّ نِدايا "

أراد إلاّ نداء ، فأبدل الهمزياء تخفيفا ، وهي لغة بعض[1] العرب ".[2]

وقال ابن يَعِيش " النداء التصويت بالمُنَادَى ليعطف على المُنادِى ، والنِّداء مصدر يُمَد ويُقْصَر وتُضَم نونه وتكسر ، فمن مد جعله من قبيـل الأصوات كالصُراخ ، والبُكاء ، والدُّعاء ، والرُّغاء ، وكذلك من ضم ، لأنّ غالب الأصوات مضموم ، ومن قصره جعله كالصوت والصوت غير ممدود ، ومن كسر النون وقدّ جعله مصدر نادى .. ".[3]

والنّداء في الاصطلاح " الدُّعاء بيا وأخواتها "[4] وقال الشيـخ خالد الأزهرى : " هو الدُّعاء بأحرف مخصوصة "[5] ، وقال السيوطي :

---

(١) لغة أنصارية ، يقولون بداية في البداءة انظر لسان العرب ١ : ٢٧ مادة (بدأ) .

(٢) لسان العرب ١٥ : ٣١٥ ، ٣١٦ مادة (ندى) .

(٣) شرح المفصل ٨ : ١١٨ وانظر شرح الأشموني ٢ : ١٣٥ .

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٤٨٠ .

(٥) شرح التصريح على التوضيح ٢ : ١٦٣ . للشيخ خالد الأزهرى دار الفكر بيروت .

" هو طلب إقبال المَدْعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو ".[١]

وأسلوب النداء من الأساليب الإنشائية قاله ابنُ مالك[٢] وابن عقيل مشبها عنده بأعتقت وبعت[٣] وابن يعيش مفرقا بين قوله : " أنادى أو ناديت " وبين " يا زيدُ "[٤] وذكرها الرَضِيّ .[٥]

وذكر السيوطي أنّ بعضهم يجعل النداء بالصفة من قبيل الإخبار لاحتمالها الصدق والكذب .[٦]

وقال ابن هشام : " وقول ابن الطراوة : النّداء إنشاء ، وأدعو خبر " سهو منه ، بل أدعو المقدر إنشاء كبعت وأقسمت ".[٧]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٠٧ .

(٢) تسهيل الفوائد ١٧٩ .

(٣) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٤٨٠ .

(٤) انظر شرح المفصل ٩ : ٩١ .

(٥) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ١٣٢ .

(٦) همع الهوامع ١ : ١٧١ ، ١٧٢ . وانظر الإتقان ٢ : ١٠٧ .

(٧) مغني اللبيب ٢ : ٣٧٣ . وانظر الأمالي الشجرية ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

أدوات النّداء :

للمنادى أدوات يُنادَى بها وهي :

١ - الهمزة : والجمهور على أنها لنداء القريب . قال سيبويه " إلاَّ أنَّ الأربعة[١] غير الألف يستعملونها إذا أرادوا أن يُمُدُّوا أصواتهم للشيء المتراخي عندهم ... ، ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها ".[٢]

وقال المُبَرِّد " فهذه الحروف سوى الألف تكون لمد الصوت ".[٣]

ولم يأت خلاف ذلك إلاَّ ما نقله ابن الخباز عن شيخه من أنها للمتوسط وأن " يا " للقريب .[٤]

وذكر السيوطي أَنَّ ابن مالك في شرح التسهيل زعم أنَّ النِّداء بالهمزة قليل في كلام العرب وتبعه ابن الصائغ . وهو مردود عنده إذ جمع من كلام العرب أكثر من ثلثمائة شاهدا للنداء بالهمزة .[٥]

---

(١) وهي يا ، هيا ، أى ، أيا .

(٢) الكتاب ٢ : ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٣) المقتضب ٤ : ٢٣٣ وانظر الأصول : ٣٢٩ / معاني الحروف ٣٢/ التسهيل ١٧٩/ مغني اللبيب ١ : ١٣/ المفصل ٣٠٩ / رصف المباني ١٤١/ الجنى الداني ٣٥/ همع الهوامع ١ : ١٧٢ .

(٤) انظر مغني اللبيب ١ : ١٣ .

(٥) انظر همع الهوامع ١ : ١٧٢ .

وما جاء في القرآن الكريم وقد احتملت الهمزة فيه كونها للنداء قوله تعالى ﴿ أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ (١) بتخفيف الميم وهي قراءة ابن كثير ونافع وحمزة (٢).

قال الفرّاء : " قرأها يحي بن وثّاب بالتخفيف وذكر ذلك عن نافع وحمزة وفسروها يريد : يامن هو قانت وهو وجه حسن ،العرب تدعو بألف، كما يدعون بيا " (٣).

قال ابنُ هشام : " ويبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير " يا " ويقرّبه سلامته من دعوى المجاز ، إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته ومن دعوى كثرة الحذف ،إذ التقدير عند من جعلها للاستفهام : أمن هو قانت خير أم هذا الكافر " (٤) واستبعد ابن عطية كونها للنّداء لكونه منافياً لما قبله وما بعده فالخطاب فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم (٥).

قال أبوحيان " وقال الفرّاء : الهمزة للنّداء ... وضعّف هذا القول أبوعلي الفارسي " (٦).

وما جاء محتملة الهمزة فيه كونها للنّداء أيضا ،قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ (٧) قال أبوحيان : " وقرأ الجمهور

---

(١) سورة الزمر آية ٩ .

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ،دار الكتب العلمية / بيروت ٢ : ٣٦٢ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ : ٤١٦ .

(٤) مغني اللبيب ١ : ١٣ حذف الخبر وأم والمعادل .

(٥) انظر حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ١ : ٩ . ١٢٨٦هـ .

(٦) البحر المحيط ٧ : ٤١٨ .

(٧) سورة فاطر آية ٨ .

* أفمن زُيِّن * مبنيا للمفعول ... وقراءة طلحة (أمن) بغير فاء . قال صاحب اللوامح : ... ويجوز أن يكون للنّداء ".(١) ومن شواهد النّداء بالهمزة في المفضليات قول المُثَقّب العَبْدِي :(٢)

أَفاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِيْنِي
وَمَنْعُكِ ما سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِيْنِي

٢ ، ٣ - آ - آي

ولم يذكرها جماعة من النحويين منهم سيبويه(٣) والمُبَرّد(٤) وابن السّراج(٥) والزمخشري(٦) وابو علي الشَلَوْبِيْن(٧) ورُبّما كان ذلك من قِبل أنهما الهمزة وأي إلاّ أنّهما مُدتا وابنُ عصفور على أنّهما من زيادات أبي الحسن الأخفش(٨) وابنُ مالك على أنّ (آ) لم يذكرها إلاّ الكوفيون فيما نقله عنه ابن عقيل ،وقال : ليس بجيد .(٩)

وذكر ابنُ عقيل أنّ (آ) نحو : آزيد محكي عن الأخفش ،و (آي) محكي عن الكسائي ،وأنّه سمع رجلا يقول : آي إِنّا(١٠) وينادى بهما البعيد.(١١)

---

(١) البحر المحيط ٧ : ٣٠١.
(٢) المفضلية ٧٦ البيت ١.
(٣) انظر الكتاب ٢ : ٢٢٩ .
(٤) انظر المقتضب ٤ : ٢٣٣.
(٥) انظر الأصول ١ : ٣٢٩.
(٦) انظر المفصل ٣٠٩ .
(٧) انظر التوطئة ٢٦٣.
(٨) انظر شرح الجمل ٢ : ٨٢.
(٩) و(١٠) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٤٨٢.
(١١) مغني اللبيب ١ : ٢٠ وانظر همع الهوامع ١ : ١٧٢ / شرح التصريح على التوضيح ٢ : ١٦٤ / الجنى الداني ٢٣٢ والدرر اللوامع ١ : ١٤٧.

٤ - أيْ :

وهي لِنِداءِ البعيد عند سيبويه [١] ومن تبعه في ذلك ابن السَّراج [٢] وأبو علي الشَّلَوْبِين [٣] وذهب المُبَرِّد وجماعة من المتأخرين منهم الجَزُولي إلى أنَّها للقريب [٤] وبه قال ابنُ يعيش [٥] والرَّضِيّ [٦] والجوهري [٧] وقيل للمتوسط وعليه المالقي [٨] وبه قال ابن برهان [٩].

ومن شواهد النداء بـ " أَيْ " قول الشاعر :

أَلَمْ تَسْمَعِي أَيْ عَبْدُ في رَوْنَقِ الضُّحَى
بكاءَ حماماتٍ لَهُنَّ هَديـــــــرُ [١٠]

٥ - أيا :

وهي لنداء البعيد [١١] ولم يأت ما يخالف الإجماع على كونها للبعيد إلَّا ما ذكره الجوهري من أنَّه حرف لنداء القريب والبعيد [١٢] ،

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٢٩.

(٢) الأصول ١ : ٣٢٩ .

(٣) التوطئة ٢٦٣.

(٤) انظر همع الهوامع ١ : ١٧٢. المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٤٨٢.

(٥) انظر شرح المفصل ٨ : ١١٨.

(٦) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ٣٨١.

(٧) الصحاح للجوهري ٦ : ٢٢٧٧.

(٨) رصف المباني ٢١٣ ، ١٤١.

(٩) شرح التصريح على التوضيح ٢ : ١٦٤.

(١٠) شفاء العليل ٢ : ٨٠٢ .

(١١) انظر الكتاب ١ : ٢٢٩ / المقتضب ٤ : ٢٣٥ / المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٤٨١ / مغني اللبيب ١ : ٢٠ / همع الهوامع ١ : ١٧٢.

(١٢) الصحاح للجوهري ٦ : ٢٢٧٧ ط/ الثانية ت : أحمد عبد الغفور عطَّار.

ومن شواهد النداء بها قول الشاعر :

أَيا ظَبيةَ الوعساءِ بَيْنَ جلاجلِ

وبين النقا آأنتِ أَمْ أمُ سَالِم (١)

٦ - هيا :

وهي لنداء البعيد بلاخلاف. (١)

والخلاف في (الهاء) منها أهي أصل ، أم أنها (أيا) ، وقلبت الألف هاء؟ (٢).

وممن قال بإبدالها ابنُ هشام (٣) وابن السِكيت وابن الخَشّاب (٤) وابن منظور (٥) والفيروزآبادى (٦) وأشار المالقي إلى أنّ البدل فيها قول الأكثرين. (٧)

والهمزة تبدل هاء في العربية على ضربين ،فتبدل من الأصلي كما في " إياك " يقال فيها " هياك " وقول طُفَيل الغَنَوي .

فهيّاك والأمرَ الّذى إن توسّعت

موارِدُه ضَاقَتْ عليكَ مصادِرُه

---

(١) شفاء العليل ٢ : ٨٠٢ .

(٢) انظر الكتاب ٢ : ٢٢٩ / المقتضب ٤ : ٢٣٥ / همع الهوامع ١ : ١٧٢ / شرح التصريح ٢ : ١٦٤ .

(٣) مغني اللبيب ١ : ٢٠ .

(٤) الجنى الداني ٥٠٧ .

(٥) لسان العرب ١٥ : ٣٧٦. مادة (هيا).

(٦) القاموس المحيط ٤ : ٤١٧ (هيا) .

(٧) رصف المباني ٤٧٢.

وطيء تقول " هن فعل فعلت " يريدون (إن) .

وقرأ الحسن وعكرمة وأبوحنيفة وورش * طهْ . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى *[(١)] بتسكين الهاء على أن الأصل طأ الأرض "[(٢)].

وذكر سيبويه أن العرب تقول : لهنّك لرجلٌ صِدق . وأصلها (إنّ)[(٣)].

وتبدل مِن الزائد كما تقول : (هرقت الماء) أى أرقته و (هرحت الدّابة) أي أرحتها[(٤)].

ومن شواهد النّداء بـ" هيا " قول الشاعر :

* هيا أُمّ عمرو هَلْ لِيَ اليومَ عِنْدَكُمُ *[(٥)]

٧ - وا :

ويكون للنّدبة وهو قول الجمهور[(٦)] وذكر ابنُ هشام أنّ بعضهم أجاز استعماله في النّداء الحقيقي[(٧)] وذكر السيوطي أنّ ابن عصفور

---

(١) سورة طه آية ١، ٢.

(٢) انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ت د/ حسن هنداوى ط/ الأولى ٢ : ٥٥١-٥٥٤ / لسان العرب ١٥ : ٣٧٦ (هيا).

(٣) الكتاب ٣ : ١٥٠.

(٤) سر صناعة الإعراب ٢ : ٥٤٤.

(٥) عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك هامش أوضح المسالك ٤ : ٧.

(٦) انظر الكتاب ٢ : ٢٢٠ / المقتضب ٤ : ٢٣٣/ شرح الجمل ٢ : ٨٢ / رصف المباني ٥٠٣ / شرح التصريح ٢ : ١٦٤/ همع الهوامع ١ : ١٧٢ .

(٧) انظر مغني اللبيب ٢ : ٣٦٩.

عدّ (وا) من حروف النداء مستشهدا لها بقول الراجز :

* وَافَقْعَسَاً وأيْنَ مني فَقْعَسُ * (١)

ومما جاء في استعمالها لغير النُدبة قول عمر بن الخطاب لعمرو ابن العاص " واعجبالاءُ يا ابنَ العاص " (٢) وإلى هذا الاستعمال أشار المُبَرِّد في قوله " وتقع (وا) في الندبة ، وفيما مددت به صوتك ، كما تمده بالندبة وإنّما أصلها للندبه " (٣).

ومن شواهدها في المفضليات قول الشنفرى الأزدي (٤) :

فَوَاكَبِدًا على أُمَيْمَةَ بَعْدَمَا
طَمِعْتُ فَهَبْهَا نِعْمَةَ العَيْشِ زَلَّتِ

وفيها خلاف : هل هي أصل ، أم أنها (يا) أُبْدِلت واوا .

قال المالِقيّ " واختلف فيها : فقيل : واوها بدلٌ من ياء لأنّ (يا) هي أم حروف النداء لاستعمالها في هذا الباب وفي غيره ... وإنّما وضعت بالواو في هذا الباب لوجود حرف من حروف التأوه فيها وهو الواو " (٥).

---

(١) همع الهوامع ١:١٧٢ / انظر المقرّب لابن عصفور ط/ الأولى ١:١٨٤ .

(٢) همع الهوامع ١:١٧٢ انظر الجنى الداني ٣٥٢ / لسان العرب ١٥:٩ (وا) / شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٨١ .

(٣) المقتضب ٤:٢٣٣ .

(٤) المفضلية ٢٠ البيت ٤ .

(٥) رصف المباني ٥٠٢ .

وقال المُرادي : " وهو قول ضعيف ، ولا دليل عليه ".[١]

ولو اعتبرنا البدل فيها لكون (يا) أم الباب لصدق ذلك على أدوات النداء جميعا .

٨ - يا :

وهي أمُّ الباب[٢] ولذا اختصت بأمور . فهي أعم الأدوات ، وأكثرها في الاستعمال ويُنادى بها البعيد والقريب[٣] إلاَّ ما رآه بعض النحاة من أنها للبعيد حقيقة أو حكما ، ومنهم ابنُ مالك[٤] والزمخشرى[٥] وابن هشام.[٦]

وشيخ ابن الخَبّار على أنَّها للقريب .[٧]

وشاركت (وا) في باب الندبة كما في قول جرير :

حُمِّلْتَ أمْراً عَظِيما فاصطبرتَ لـــه

وقُمتَ فيه بأمرِ اللّهِ يا عمـــرا[٨]

---

(١) الجنى الداني ٣٥٢.

(٢) انظر معاني الحروف ٩٢ / شرح الجمل ٢ : ٨٢ / رصف المباني ٥١٥ / الجنى الداني ٣٥٤ / همع الهوامع ١ : ١٧٢ / شرح التصريح ٢ : ١٦٤ .

(٣) شرح التصريح ٢ : ١٦٤ / همع الهوامع ١ : ١٧٢.

(٤) تسهيل الفوائد ١٧٩.

(٥) المفصل ٣٠٩.

(٦) مغني اللبيب ٢ : ٣٧٣.

(٧) مغني اللبيب ١ : ١٣.

(٨) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٥٣٤.

واختصت كذلك بأنّه لا يُقَدَّر حين الحذف غيرها من الأدوات ولا يُنادى اسم الله عز وجل ، ولا "أي وأيه" إلاّ بها ، وأنّه لم يأت في القرآن الكريم مُنَادَى بغيرها ، إلاّ ما احتلمته بعض القراءات من كون الهمزة للنداء.(١)

وظاهر كلام سيبويه أنّ حذف الحرف غير مختص بـ (يا) وذلك قوله " وإنْ شئت حذفتهن كلهن استغناء كقولك : حار بن كعب " عدا النكرة فظاهر كلامه أنّ المقدر معها يا ، وفي ذلك يقول " وقد يجوز لك حذف يا من النكرة في الشعر ".(٢)

ومن النّداء بـ (يا) في التنزيل قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا مَريمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾(٣) ومن شواهد النداء بها في المفضليات قول تأبط شراً :(٤)

يَا عِيدُ مَالَكَ مِنْ شَوْقٍ وإِيـراقِ
وَمَرِّ طَيْفٍ علَى الأَهـوالِ طَـرَّاقِ

---

(١) أنظر المسائل التي اختصت بها (يا) في المقتضب ٤/ ٢٣٥/ المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٤٨١ ، ٥٣٤/ شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٨١ / عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك : ٤ : ٦ / همع الهوامع ١ : ١٧٢ / رصف المباني ٥١٣ - ٥١٥ / شرح التصريح ٢ : ١٦٤/ الكتاب ٢ : ٢١٨ ، ٢٢٠/ مغني اللبيب ٢ : ٢٧٣ / ١ : ١٣ / شرح المفصل ٨ : ١١٨.

(٢) الكتاب ٢ : ٢٣٠.

(٣) سورة آل عمران آية ٣٧.

(٤) المفضلية ١ البيت ١.

مما تقدم نجد أنّ أدوات النداء تنقسم من حيث ما يُنَادَى بهـا

إلى :

١ - ما يُنَادَى به الأموات والأحياء ، وهي (يا) .

٢ - ما يُنَادَى به الأموات ، وهي (وا) .

٣ - ما ينادى به الأحياء فقط ، وهي سائر الأدوات .

وجاء من أدوات النداء في المفضليات (يا) و (أ) و (وا)

ولم تأت سائر الأدوات .

نيابة أدوات النداء بعضها عن بعض :

لم يمنع النحاة أن يُنادى القريب بما يُنادى به البعيد . إمّا للتوكيد ، أو التنبيه ، أو لتنزيله منزلة البعيد .

أما نداء البعيد بما يُنادى به القريب فممنوع عندهم .

قال سيبويه " وقد يستعملون هذه التي للمد (١) في موضع الألف ، ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها . وقد يجوزلك أن تستعمل هذه الخمسة غير (وا) إذا كان صاحبك قريبا منك ، مقبلا عليك توكيدا ". (٢)

وقال ابنُ يَعيْش " وقد يستعملون الحروف الموضوعة للمد موضع أيْ والهمزة أعني للقريب ، ولمن كان مقبلاً عليك توكيدا ، ولا يستعملون الهمزة وأيْ في مواضع الثلاثة الأولى ، أعني للبعيد ". (٣)

وقال الشيخُ خالد الأزهرى " وقد أجمعوا على جواز نِداء القريب بما للبعيد توكيدا ، وعلى منع العكس ". (٤)

---

(١) وهي : يا ، أى ، أيا ، هيا .

(٢) الكتاب ٢ : ٢٣٠ .

(٣) شرح المفصل ٨ : ١١٨ .

(٤) شرح التصريح ٢ : ٣٧٣ انظر الأصول ١ : ٣٢٩ / التوطئة ٢٦٣ / مغني اللبيب ٢ : ٣٧٣ / شرح الأشموني ٢ : ١٣٦ .

أدواتُ النّداء : حروف أو أفعال أو أسماء افعال :

المدخل للحديث عن أدوات النّداء أهي حروف أو أفعال أو أسماء أفعال هو عامل المنادى ، وفيه أقوال :

الأول : أن العامل فعل مضو وجوبا ، فالمُنادَى مفعول به ، ووجب حذف الفعل معه لأسباب وهي :

أ - جعل الحرف عوضا منه .

ب - لقصد الإنشاء .

ج - الاستغناء بظهور معناه .

د - كثرة استعمال النّداء في الكلام وهذا قول الجمهور.(١)

الثاني : أنّ العامل فيه معنوى ، وهو القصد ، وُرَدّ بأنه لم يعهد العامل المعنوى (٢) في عوامل النصب .

الثالث : أنّ العامل هو الأداة ، لأنها اسم فعل مضارع بمعنى " أدعو " وُرَدّ بأنّها لا تدل على معنى في نفسها ، ولا تتحمل الضمير . وهذا منقول عن الكوفيين .

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ١١٢ مع هوامشها / التسهيل ١٧٩ / المقتضب : ٤/ ٢٠٢ / شرح المفصل ٨ : ١٢١ / ١ : ١٢٧ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٣١ / همع الهوامع ١ : ١٧١ .

(٢) عُهِد العامل المعنوى في الابتداء ، والتجرد ، وربما جعلوا منه الإضافة .

الرابع : أنّ العامل هو الأداة على اعتبارها أفعال .

الخامس : أنّ العامل هو الحرف على سبيل النيابة والعوض به منه ، فالمُنادى مشبهٌ بالمفعول به ، لا مفعول به . وهو مذهب الفارسي [(١)] ونسبه ابنُ يَعِيش [(٢)] والرَضِيّ [(٣)] والأشْمُونِي [(٤)] إلى المُبَرِّد ، وليس بمذهبه ، وإنما ذهب إلى ما ذهب إليه الجمهور [(٥)] .

---

(١) انظر هذه الأقوال في : شرح المفصل ٨ : ١٢١ / همع الهوامع ١ : ١٧١ / الجنى الداني ٣٥٥/ شرح الأشموني ٢ : ١٤١ عدة السالك ٤ : ٣ ، ٤ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) شرح المفصل ١ : ١٢٧ .

(٣) شرح الكافية للرضي ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٤) شرح الأشموني ٢ : ١٤١ .

(٥) المقتضب ٤ : ٢٠٢ .

أنواعُ المُنادَى :

النوعُ الأوّل :

المُنادَى المبني على ما كان يرفع به ، وذلك إنْ كان مفرداً ، معرفةً، أو نكرةً مقصودةً . ويُراد بالإفراد عدم الاضافة ، فيدخل فيه : المثنى ، والمجموع ، والمركب .(١)

ويعرض في هذا النوع أمران :

١ - التعريف في مثل (يا زيدُ) هل هو تعريف العلمية قبل النِّداء ، أم أنه تنكَّر فصار معرفة به . وفيه خلاف :

ذهب المُبَرِّد إلى أنّه تَنَكَّر ثم حصل له التعريف بالنِّداء ، وفي ذلك يقول " (وزيدُ) وما أشبهه في حال النِّداء معرفة بالإشارة مُنتَقل عنه ما كان قبل ذلك فيه من التعريف ".(٢) وإليه ذهب الفارسي.(٣)

وخالف في ذلك أبو بكر بن السرّاج فقال " فزيدُ ، وما أشبهه من المعارف معارف قبل النِّداء ، وهو في النِّداء معرفة كما كان " وردَّ قول المُبَرِّد بقوله " ويحيل قول من قال إنّه معرفة بالنِّداء فقط أنك قد تنادي باسمه من لا تعلم فيه شريكا ، كما تقول : يا فرزدقُ أقبل ، ولو كنت لا تعرف أحدا له مثل هذا الاسم ولو لم يكن عرف أن هذا

---

(١) انظر شرح المفصل ١: ١٢٨ ، ١٢٩/ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢: ٢٥٨.

(٢) المقتضب ٤: ٢٠٥.

(٣) شرح التصريح ٢: ١٦٦.

اسمه فيما تقدم لما أجابك إذا دعوته "[١] وأرى قولَه صوابا ، فالمُنادَى معرفة قبل النداء ، وتأكّد التعريف به ، يؤكد قوله أنك تنادى (ياألله) ولفظ الجلالة لا يُمكن تنكيره .

وانتصر ابنُ يَعِيْش للمُبَرِّد ، رادّاً قول ابن السرَّاج .[٢]

٢ - المُنادَى المفرد العلم : معرب أو مبني .

البصريون والفرّاء على أنّه مبني على ما كان يرفع به .[٣]

قال سيبويه " ورفعوا المفرد كما رفعوا قبلُ وبعدُ وموضعهما واحد ، وذلك قولك : يا زيدُ ويا عمرو وتركوا التنوين في المفرد كما تركوه في قبلُ ".[٤]

وعلة بنائه مشابهته كاف الخطاب في التعريف والإفراد والخطاب قال به الفارسي وجماعة من البصريين .[٥]

ومشابهته للأصوات ، والأصوات مبنية ، قاله سيبويه.[٦]

---

(١) الأصول ١ : ٣٣٠ .

(٢) انظر شرح المفصل ١ : ١٢٩ .

(٣) انظر المقتضب ٤ : ٢٠٤ . / الأصول : ٣٣٠ / شرح المفصل ١ : ١٢٨ / الإنصاف ١ : ٣٢٣ / شرح الأشموني ٢ : ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) الكتاب ٢ : ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٥) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٩٠ .

(٦) انظر الكتاب ٢ : ١٨٥ .

أما بناؤه على الضم دون غيره : فلئلا يلتبس بما لا ينصرف لو بُني على الفتح ، وبالمضاف إلى ياء المتكلم لو بُني على الكسر.

ولشبهه بالغايات نحو " قبلُ وبعدُ " حيث يعربان مضافتين وتبنيان في حال الإفراد ، والمُنَادَى مبني إذا أُفرِد ، وإذا أُضِيف أُعرِب ، فلمّا أشبه قبلُ وبعدُ" من هذه الناحية بُنِي على الضم كما بنيا. (١)

ومنهم من قال : " إنّما وجب أن يكون مبنيا لأنّه وقع موقع اسم الخطاب ، لأنّ الأصل في " يا زيدُ " أن تقول : يا أباك ، أو يا أنت، لأنّ المنادى لما كان مخاطبا كان ينبغي أن يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم الخطاب فيقال : يا إيَّاك " أو " يا أنت " كما قال الشاعر:

يا مُرَّ يا ابنَ واقعٍ يا أنْتَا

أنتَ الذي طلَّقتَ عامَ جُعْتَنا

فلما وقع الاسم المُنادَى موقع اسم الخطاب وجب أن يكون مبنيا كما أن اسم الخطاب مبني ". (٢)

أمّا الفرّاء فقال : " الأصل في النّداء أن يُقال " يا زيداه " كالندبة ، فيكون الاسم بين صوتين مديدين وهما " يا " في أول الاسم ، والألف في آخره - والاسم فيه ليس بفاعل ولا مفعول ، ولا مضاف إليه ، فلما كثُر في كلامهم استغنوا بالصوت الأول وهو " يا " في أوله عن الثاني وهو الألف في آخره ، فحذفوها وبنوا آخر الاسم على الضم

---

(١) انظر أسرار العربية لابن الأنباري ت/ محمد بهجة البيطار ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، شرح الجمل ٢ : ٨٦ ، ٨٧.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣٢٥ ، ٣٢٦.

تشبيهاً بقبل وبعد ، لأنَّ الألف لَمّا حُذِفت وهي مرادة معه ، والاسم كالمضاف إليها إذ كان متعلقا بها ، أشبه آخره آخر ما حُذف منه المضاف إليه وهو مراد معه نحو " جئتُ من قَبلُ ومن بعدُ " أي من قبل ذلك ومن بعد ذلك ".(١)

وذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم المُنادَى المُعَرَّف المفرد مرفوع بغير تنوين ، واحتجوا لذلك بقولهم " إنَّما قلنا ذلك لأنَّا وجدناه لا مُعْرِب له يصحبه من رافع ولا ناصب ولا خافض ، ووجدناه مفعول المعنى ، فلم نخفضه لئلا يشبه المضاف ، ولم ننصبه لئلا يشبه ما لا ينصرف ، فرفعناه بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برافع صحيح فرق ، ...".(٢)

وورد المنادى مفرداً علما في المفضليات مع الهمزة بغير ترخيم ، ومن شواهده قول ثَعْلَبَة بن عمرو :(٣)

أأسماءُ لم تَسْئَلِي عن أبيـــــــ
ـكِ والقومُ قَدْ كانَ فيهم خطوبُ

ومن شواهده مع الهمزة والعلم مرخم ، قول الحَادِرَة :(٤)

أسُمَيَّ ويحَكِ هَلْ سمعتِ بغدرةٍ
رُفِعَ اللواءُ لنا بها في مَجْمَعِ

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣٢٣ .

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣٢٣ .

(٣) المفضلية ٦١ البيت ١ .

(٤) المفضلية ٨ البيت ٩ .

وقول الحُصَيْن بن الحُمَام (١) :

أَثعلبَ لو كُنْتُم مواليَ مِثْلِهـا

إذاً لمنعنَـا حَوْضَكُم أنْ يُهَدَّمـا

---

(١) المفضلية ١٢ : ١٧ وبقية الأبيات في قول ثَعْلَبَة بن صَعِيْر ٢٤ : ١٥ :

أَسُميَّ ما يُدريك أَنْ رُبَّ فِتْيـةٍ

بيضِ الوجوهِ ذوي ندىً وماثِـرِ

وقول المُرَقِّش الأصغر في المفضلية ٥٦ البيت ١٥، ١٨.

أفاطِمَ إنَّ الحُبَّ يَعْفوعَنْ القِلَى

ويُجشِمُ ذا العرضِ الكريم المجاشما

أفاطمُ لو أنَّ النساءَ ببلـدةٍ

وأنتِ بأُخرى لاتبَّعتُك هائمـا

وقول المُثَقِّب العَبْدي في المفضلية ٧٦ : ١

أفاطمُ قبلَ بينكِ مَتِّعينـي

ومنعُكِ ما سَأَلْتَ كأن تَبِينـي

وقول الحُصَيْن بن الحُمَام المُري ٩٠ : ١٠

موالي موالينَا ليسبُوا نساءَنـا

أثعلبَ قَدْ جِئْتُم بنكراءَ ثَعْلَبـا

وقول الخَصَفِي المُحَاربي ٩١ : ١٣.

أثعلبُ لولا ما تدّعون عِنْدَنـا

مِنْ الحلفِ قَدْ سُدَّى بعقدٍ وإلحما

وقول عبد قيس بن خُفَّاف ١١٦ : ١

أجُبَيْلُ إنَّ أباكَ كارِبُ يَوْمِهِ

فإذا دُعِيتَ إلى العَظَائِمِ فاعْجَلِ

وورد مع الأداة (يا) والمنادى غير مرخم في قول تأبط شرا : (١)

يا عِيدُ مالكَ مِنْ شَوْقٍ وإيراقِ
ومرِّ طَيْفٍ علَى الأهوالِ طرَّاقِ

وقول المرار بن مُنقِذ : (٢)

فَتِلْكَ لنا غِنىً والأجْرُ باقٍ
فَغُضِّي بعضَ لَوْمِكِ يا ظَعِينَا (٣)

---

(١) المفضلية ١ البيت ١ .

(٢) المفضلية ١٤ البيت ١١ وبقية الأبيات في قول ذى الأصبع ٣١ البيت ١٩ ، ٣٥ :

يا عَمْرُو إلَّا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتي
أضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الهامَةُ اسْقُونِي

يا عَمْرُو لو لِنْتَ لِي أَلْفَيْتَنِي يَسَراً
سَمْحاً كَرِيماً أُجازِي مَنْ يُجازِينِي

وقول عبد المسيح بن عسله ٧٢ : ١

يا كعبُ إنَّكَ لوْ قَصَرْتَ على
حُسْنِ النِّدامِ وقِلَّةِ الجُرْمِ

وقول مُرة بن همّام ٨٢ : ٥

يا عوفُ ويْحَكَ فيمَ تأْخذُ صِرْمتي
ولكنتُ أسرحُها أمامَكَ عُزَّبا

وقول راشِد بن شِهاب ٨٧ : ٤

رأيتكَ لمَّا أنْ عَرَفتَ وجوهَنا
صددتَ وطبْتَ النَّفسَ يا قيسُ عن عَمْرو

(٣) مع احتمال كون (ظُعينا) ترخيم (ظُعينة) وكونه قلب هاء التأنيث ألفا .

كما جاء العلم مفردا مرخما مع (يا) في المفضليات وشواهده ، قول مُتَمِم بن نُوَيْرَة :(١)

جُذِّى حبالَك يا زُنَيبَ فإنَّنـــــي
قَدْ استبُدّ بوصلِ مَنْ هو أقْطَـــعُ

وقول المُرَقِّش الأكبر :(٢)

يا خَوْلَ مَا يُدريك ُربّتَ حُـــرَّةٍ
خَوْدٍ كَرِيْمَة حَيِّها ونسائهَـــا

كما جاء المنادى مفردا علما وقد حذفت أداة النداء ، ومن شواهده قول الحادرة :(٣)

فسمَيَّ ما يدريكِ أَنْ رُبَّ فِتيْــــةٍ
باكرتُ لذّتَهم بأدكَنَ مُتَـــرعِ

---

(١) المفضلية ٩ : ٣ .

(٢) المفضلية ٥١ : ٥ و بقية الأبيات في قول المُرَقِّش الأصغـــر ٥٦ : ١٤

وإنيِ وإنْ كَلَّتْ قلوصِي لراجِـــمُ
بها وبنَفْسِي ، يا فُطيمَ ، المراجِمـــا

وقول عامر بن الطفيل ١٠٧ : ٧

يا اسمُ أُختَ بَني فزارةَ إنَّنـــي
غازٍ ، وإنَّ المرءَ غيرُ مُخَلَّـــدِ

وقول الجميح ١٠٩ : ١٢

يا نضلَ للضّيفِ الغريـــبِ ولا
جارِ المضِيمِ وحَامِلِ الغُـــرْمِ

(٣) المفضلية ٨ : ١٦ .

وقول الحُصَيْن بن الحِمام :[١]

ولـولا رجــــالٌ من رزامٍ بن مَاْزِنٍ
وآل سُبَيْعٍ أو أسـوءَك عَلْقَمَــا

النوع الثاني :

ما جاز فيه الوجهان : الضم والفتح . وهو على نوعين :

١ - ما كان علما مفردا موصوفا بابن أو ابنة متصلا به مضاف إلى علم آخر .[٢]

وزاد ابن مالك أن يكون الضم ظاهرا[٣] فأخرج ما كان الضم فيه مقدرا كقوله تعالى * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسى *[٤] قال ابن مالك في ألفيته :

ونحو زيد ضُم وافتحنَّ مِنْ
نحو أزيدُ بن سعيدٍ لا تهن[٥]

والبصريون عدا المُبَرِّد اختاروا الفتح لكثرة ورود المنادى على هذه الصفة ، والشيء إذا كثر على الألسنة سلكوا فيه طريق التخفيف ، فكان التخفيف في هذا الموضع بالفتح ، وحذف ألف ابن خطأ .

---

(١) المفضلية ١٢ : ١٨ وبقية الأبيات ترد عند الحديث عن حذف أداة النداء .

(٢) انظر شرح الأشموني ٢ : ١٤٥/ المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٤٩٥ .

(٣) التسهيل ١٨٠ .

(٤) سورة طه آية ١٧ .

(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٢٦١ .

واختار المُبَرِّد والكوفيون الضم على الأصل (١) وزعم ابن كيسان أنّ الفتح أكثر (٢).

والفتح : إمّا على الإتباع أوعلى تركيب الصفة والموصوف كالاسم الواحد ،أوعلى أنه مضاف إلى ما بعد ابن ،وابن مقحم بين المضاف والمضاف إليه (٣).

ويمكن أن يُعْتَرض على الوجه الأخير بأنّ الأعلام لا تضاف ، وشواهده في المفضليات قول مُزرد بن ضِرار (٤) :

أزُرعَ بنَ ثوبٍ إنّ جاراتِ بيتِكُم

هُزلنَ وألهاكَ ارتغاءُ الرَّغائِدِ

وقول الكلحبة العُرَني (٥) :

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ٢٠٤/ المسائل ٢ : ٩٣-٩٥ ٤ / المقتضب ٤ : ٢٣١ / الأصول ١ : ٣٤٦/ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٢٦١ / همع الهوامع ١ : ١٧٦ ، ١٧٧/ شرح التصريح ٢ : ١٦٩/ شرح المفصل ٢ : ٥ / شرح الكافية الشافية ٢ : ١٤١.

(٢) شرح التصريح ٢ : ١٦٩.

(٣) انظر شرح التصريح ٢ : ١٦٩.

(٤) المفضلية ١٥ : ١٢.

(٥) المفضلية ٢ : ١.

فإنْ تَنجُ مِنْها يا حُزيمَ بنَ طارقٍ
فَقَدْ تَرَكْتَ ما خَلْفَ ظَهْرِكَ بَلْقَعَا

وقول سَلَامة بن الخُرْشُب:(١)

وإنَّكَ يا عامَ بن فارسِ قُرزلٍ
معيدٌ على قيلِ الخنا والهواجرِ

ومنه وقد حُذفت الأداة قول مُزرد بن ضِرار:(٢)

فَقلتُ ولَمْ أملِكْ رِزَامَ بنَ مازنٍ
إلى إبتَغٍ فيها حَسِياءُ الْخَرَائِدِ

٢ - أن يكرر المُنادى مضافا :

وذلك كما تقول " يا زيدُ زيدَ عمرو " فالثاني منصوب ،وفي الأول الوجهان : الضم والفتح . ويستوى فيه المنادى علما كان أم وصفا ،أما اسم الجنس نحو (يا رجلُ رجل القوم) فالكوفيون يوجبون فيه الضم ،والوصف نحو (يا صاحب صاحب زيد) يوجبون فيه الضم بلا تنوين : والنصب منونا.(٣)

فإن كان الضم في الأول فالثاني بيان أوبدل أوبإضمار " يا " أو " يعني "(٤) أو توكيد.(٥)

---

(١) المفضلية ٥:١٥.
(٢) المفضلية ١٥:٣٥.
(٣) انظر همع الهوامع ١:١٧٧.
(٤) أوضح المسالك ٤:٢٥.
(٥) عدة السالك ٢: ٢٥ .

وردّ أبوحيان كونه توكيدا : إذ للتوكيد المعنوى ألفاظ معروفة وليس هذا منها ،ولا يصح كونه لفظيا إذ كان مع الاسم الثاني مضاف إليه تعرّف به ،والأول معرف بالعلمية أو النداء فلا يتفق التوكيد مع المؤكد في كمال المعنى .(١)

وأجاز السيرافي فيه أن يكون نعتا وتأول فيه الاشتقاق .(٢)

فإنْ كان الفتح ففيه مذاهب :

الأول : ما ذهب إليه سيبويه من جعل الأول مضافا إلى ما بعد الثاني ،والثاني مقحم بين المضاف والمضاف اليه .(٣)

الثاني : ما ذهب إليه المُبَرّد ،وله مذهبان ،أحدهما ماقال به سيبويه ، أمّا الآخر فهو حذف المضاف إليه من الاسم الأول اكتفاء بإضافة الثاني .(٤)

الثالث : ما ذهب اليه الفرّاء ،وهو أنّ كلا من الأول والثاني مضافان إلى المذكور كما في قطع الله يد ورجل من قالها .(٥)

الرابع : ما ذهب إليه الأعلم وهو أنّه تركب تركيب خمسة عشر .(٦)

---

(١) همع الهوامع ١ :١٧٧ .

(٢) شرح الأشموني ٢ :١٥٥ .

(٣) الكتاب ٢ :٢٠٦ ، ٢٠٧ وهذا يعني أن الثاني زائد وهو من نوادر العربية إذ إن زيادة الأسماء في العربية غير مطردة .

(٤) المقتضب ٤ :٢٢٧ ويترتب عليه أنه لم يوجد في كلام العرب، والمعروف في كلامهم الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه .

(٥) همع الهوامع ١ :١٧٧ .

(٦) همع الهوامع ١ :١٧٧ / شرح الأشموني ٢ :١٥٥ .

الخامس : ماذهب إليه السيرافي في قوله " وعندى وجه ثالث لم أعلم أحدا ذكره ، وهو قوى في نفسي وذلك أن تجعل أصله : يا زيد زيد عمرو ، فيكون زيد عمرو الثاني نعتا للأول ، مثل قولنا يا زيد بن عمرو ، ثم تتبع حركة الأول المبني حركة الثاني المعرب "(١) .

النوع الثالث : المُنادى المنصوب :

وهو على ثلاثة أنواع :

١ - المضاف : ويستوى في ذلك الإضافة المحضة نحو (رَبَّنا اغْفِرْ لَنَا) وقوله تعالى ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ﴾(٢)(٣) ، أى : يا ربنا ، ويا عباد الله . وغير المحضة كما في (يا حسنَ الوجه) وأجاز ثعلب الضم في هذا الوجه ، لأنَّ إضافته في نية الانفصال ورُدَّ ب :

أ - عدم السماع عند العرب :

ب - أنَّ بناء المنادى لمشابهته للضمير ، والصفة المضافة إلى معمولها ليست بهذه المنزلة .(٤)

---

(١) هامش الكتاب ٢ : ٢٠٦ .

(٢) سورة الدخان آية ١٨ .

(٣) انظر أوضح المسالك ٤ : ٢٠ / شرح الأشموني ٢ : ١٤١ .
يراد بالاضافة المحضة ما كان المضاف فيها غير وصف زمنه الحال أو الاستقبال ، وغير المحضة هي ما كان المضاف فيه وصفا مشتقا زمنه الحال أو الاستقبال كما في " يا طالع الجبل " يا مقطوع الرجل ، يا لباسا دروع الحرب .

(٤) انظر همع الهوامع ١ : ١٧٣ / التصريح ٢ : ١٦٧ / عدة السالك ٣ : ٢٠ .

ومن شواهد المنادى المضاف في المفضليات ،مع الأداة (يا)
قول الحصين بن الحمام: (١)

وَقُلْتُ لَهُم يا آلَ ذُبْيانَ مَالَكُم
تَفَاقدتمُ لا تُقْدِمونَ مُقَدَّمَا

وقول مُزرد بن ضِرار : (٢)

فَيَا آلَ شَوْبٍ إِنَّمَا ذَوْدُ خَالِدٍ
كنابِ اللَّظَى ،لا خيرَ في ذَوْدِ خَالِدِ

---

(١) المفضلية ١٢ : ٢٥.
(٢) المفضلية ١٥ : ٢٤ وبقية الأبيات في قول المِرار بن مُنْقِذ ،
المفضلية ١٦ : ٤:

مَا أنا اليَوْمَ عَلَى شَيءٍ مَضَى
يا ابْنَةَ القَوْمِ تولّى بِحَسِرْ

وقول سلامة بن جندل المفضلية ٢٢ : ١ (ذكره التبريزى في
شرحه ١ : ٤٤٥)

يا دَارَ أَسْمَاءَ بالعلياءِ مِنْ اضم
بَيْنَ الدَّكادِكِ من قَوٍ فَمَعْصُوبِ

وقول عمرو بن الأهتم المفضلية ٢٣ : ٤

ذريني فإنَّ البُخلَ يا أُمَّ هَيْثَمٍ
لِصَالحِ أَخْلاَقِ الرجالِ سَرُوقُ

وقول جابر التغلبي المفضلية ٤٢ : ٣

فيا دارَ سَلْمَى بالصَّرِيمةِ فاللوى
إلى مَدْفَعِ القِيْقَاءِ فالمتثَلَّمِ

وقول المُرَقَّش الأصغر المفضلية ٥٧ : ٦ ، ٢٢.

===

ومنه ما أضيف إلى الضمير ، وشواهده في قول الشنفرى الأزدى : (١)

=== يا ابنةَ عجلان ما أصبرني
عَليَّ خطوبٌ كنحتٍ بالقدوم
وللفتى غائلٌ يغولُه
يا ابنةَ عجلان من وقْعِ الحُتومْ

وقول عُمَيْرة بن جعل المفضلية ٦٤ : ١

ألاَ يا ديارَ الحيِّ بالبردانِ
خَلَتْ حِججٌ بعدى لهن ثمانِ

وقول مَقّاس العائذى في المفضلية ٨٥ : ١

أولى فأولَى يا امرأَ القيْسِ بعدما
خصفن بآثارِ المطيِّ الحوافِرا

وقول الحُصين بن الحِمام المفضلية ٩٠ : ١١

وُقلْتُ لهم يا آلَ ذُبْيانَ ما لَكُم
تفاقدتُمُ لم تَذْهبوا العامَ مَذْهَبَا

وقول الجُميح ١٠٩ : ١، ٢

يا جارَ نَضْلَةَ قَدْ أَنَى لك أنْ
تَسْعَى بِجارِك في بني هِدْمِ
مُتنِظِمين جِوارَ نَضْلَةَ يا
شاه الوُجوهِ لذلك النَّظمِ

وقول المُرَقّش الأكبر ١٢٨ : ١

يا ذاتِ أجوارِنا قومِي فَحْيِينا
وإنْ سقَيْتِ كِرَامَ النّاسِ فاسْقِينَا

(١) المفضلية ٢٠ : ٥٠

فيا جارتي وأنتِ غيرُ مُليمَةٍ
وإذا ذُكِرتُ ، ولا بِذات تقلّتِ

وقول ذي الأصبع العَدواني : (١)

وإنّني سَوفَ أبتَدِي بِكُمَا
يَا صَاحِبَيَّ الغَدَاةَ فاسْتَمِعَا

وقول المُرقّش الأكبر : (٢)

يا صاحبيّ تلوّما لا تَعْجلا
إنّ الرّحيلَ رَهِينٌ أنّ لا تعذِلا

ومن شواهده مع الهمزة مضافا الى الضمير قول عَبَدة بن الطَّبيب : (٣)

أبَنيّ إني قدْ كَبِرت وَرَابَني
بَصَرِي ، وفيَّ لمُصلحٍ مُستَمتَعُ

---

(١) المفضلية ٢٩ : ١٧ ذكره التبريزى في شرحه ٢ : ٥٨٣.

(٢) المفضلية ٤٥ : ١ ، وبقية الأبيات في قول عبدالمسيح بن عسله ٨٢ : ١.

يا صاحبيّ ترحلا وتقرّبا
فلقد أنَى لمُسافرٍ أن يَطْرَبا

وقول الحُصَين بن الحُمام ٩٠ : ١

يا أخوينا مِنْ أبينا وأُمِّنا
ذَروا موليينا من قَضاعةَ يَذْهَبا

(٣) المفضلية ٢٧ : ١.

ومن شواهده مع الهمزة مضافا إلى الظاهر قول عبد يغوث بن وقّاص (١) :

أقولُ وقَدْ شَدّوا لِساني بِنْسعَةٍ
أمعشرَ تَيْمٍ أطلِقوا عَنْ لِسانيا

أمعشرَ تيمٍ قَدْ ملكتُم فأسجحوا
فإنّ أخاكُم لم يَكُنْ مِنْ بوائيا

ومن شواهد المنادى المضاف وقد حذفت الأداة قول مُزرد بن ضِرار (٢) :

وقَالَتْ ألاَ تَشْوى فتَقْضِي لبانةً
أبا حَسَنٍ فينا وتَأْتي مواعِدى

وقول عبد يغوث بن وقّاص (٣) :

أحقاً عِبادَ اللّهِ أنْ لستُ سامِعا
نشيدَ الرِّعاءِ المُعزبينَ المتاليا

---

(١) المفضلية ٣٠ : ٨ ، ٩ وبقية الأبيات في قول جُبيهاء الأشجعي المفضلية ٣٣ : ١

أمولَى بني تَيم ألستَ مُؤدِيا
منيحتنا فيما تُؤدى المَنَائِحُ

وقول الحارث بن ظالم ٨٨ : ٧

أخُصيي حِمارٍ بات يكدِم نجمةً
أتأكُلُ جيْرَاني وجارُك سالِمُ

وقول زبّان بن سيّار ١٠٢ : ١

أبني منولةَ قَدْ أطعتُ سراتكُم
لو كَانَ عَنْ حَرْبِ الصَديقِ سَبِيلُ

(٢) ١٥ : ٦

(٣) المفضلية ٣٠ : ١١.

وقول المُرَقِّش الأصغر (١) :

تبصَّر خليلي هَلْ ترى مِنْ ظَعائِنٍ
خَرَجْنَ سِراعاً واقْتَعدْنَ المفائِما

٢ - النكرة غير المقصودة : كقول الأعمى (يا رجلاً خُذ بيدى)

وفي ندائها أقوال :

١ - جوازه ، مقبلا عليها وغير مقبل ، وهو قول جمهور البصريين .

٢ - المنع مطلقا ، وهو قول الأصمعي .

٣ - إذا كانت خلفا من موصوف جاز ، نحو : يا ذاهبا ، وإلاَّ فلا ، وهو قول الكسائي والفرّاء .

٤ - إنْ كانت النكرة مقبلا عليها جاز ، وإلاَّ فلا ، وهو قول المازني ، قال ولا يتصور نداء نكرة غير مقبل عليها ، وما جاء منونا لحقه التنوين ضرورة نحو :

فيا راكباً إمّا عَرَضتَ فَبلِغَنْ
نَدَاماي من نجرانَ أنْ لا تَلاقِيَا (٢)

والبيت من شواهد المفضليات ، لعبد يغوث بن وقّاص (٣) .

قال أبو عبيد " أراد فيا راكبا للندبة ، فحذف الهاء كقوله تعالى ﴿ يا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ ﴾ (٤) ولا يجوز يا راكباً بالتنوين لأنَّه

---

(١) المفضلية ٥٦ : ٧ وترد بقية الأبيات عند الحديث عن حذف أداة النداء .

(٢) انظر المساعد ٢ : ٤٩٠ / همع الهوامع ١ : ١٧٣ / التصريح ٢ : ١٦٧ / خزانة الأدب ت / عبد السلام هارون .

(٣) المفضلية ٣٠ : ٣ .

(٤) سورة يوسف آية ٨٤ .

قصد بالنّداء راكباً بعينه ،وإنما جاز أن يقولَ يا رجلا إذا لم يقصد رجلا بعينه وأردت يا واحد ممن له هذا الاسم ،فإنْ ناديت رجلا بعينه قلت : يا رجلُ كما تقول : يا زيدُ لأنّه يتعرّف بحرف النّداء والقصد ." (١) ويمكن رد قول أبي عبيد لأسباب وهي :

أ - قوله تعالى ﴿ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ ﴾ الصواب أنّ (أسفا) منادى مضاف إلى ياء المتكلم ،فحُذِفت وانفتح ما قبلها ، كما هي في قوله تعالى ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٣) .

ب - مخالفة الإجماع ،حيث أجمعت كتب النحاة على عده شاهدا للنكرة غير المقصودة .

جـ - لو كان هناك من يستحق أن يُندب لكان الشاعر المأسور لا الراكب الحر .

د - الموقف والمقام يجعله يلتمس أي راكب ليبّلغ عنه رسالته التي أراد تبليغها .

ومن شواهدها في المفضليات قول المُرَقِّش الأكبر : (٤)

---

(١) لسان العرب ٧ : ١٧٣ مادة (عرض) .

(٢) سورة الزمر آية ٥٦ . أنظر الجامع لأحكام القرآن ١٥ : ٢٧٠ .

(٣) سورة الفرقان آية ٢٨ انظر البحر المحيط ٦ : ٤٩٥ .

(٤) المفضلية ٤٥ : ٣ .

يا رَاكِبا إِمَّا عَرَضْتَ فَبلِّغَـــن
أَنَسَ بْنَ سَعْدٍ إِنْ لَقِيتَ وَحَرْمَلا

وقول عوف بن عطية[(١)] :

فيا طَعْنَةً ما تَسُوءُ العَدُوَّ
وتَبلغُ من ذاكَ أمراً قرارا

وفي الأبيات ردٌ لقول الأصمعي الذى منع نداء النكرة ،ولقول المازني إذ منع نداء النكرة غير المقصودة .

٣ - الشبيه بالمضاف :

وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه ، ويكون على أنواع :

أ - ما اتصل به شيء من تمام معناه بعمل ،كأن يكون فاعلا له نحو ، (ياحسنا وجهه) أو مفعولا به نحو ، (يا طالعا جبلا) أو أن يكون جارا و مجرورا متعلقاً به نحو (يا رفيقا بالعباد) أو بعطف ،نحو (يا ثلاثة وثلاثين)[(٢)] .

ب - الاسم المُنكر الموصوف نحو (يارجلا فاضلا) و (يا رجلا يجبر الكسير) إذا قصد به معين ،وكان النّداء طارئا على الصفة والموصوف[(٣)] .

---

(١) المفضلية ١٢٤ : ٣٣ .
(٢) التصريح ٢ : ١٦٧ .
(٣) خزانة الأدب ت/عبد السلام هارون ٢ : ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

جـ - الوصف المقترن بجملة نحو (يا عظيما يُرَجى لكل عظيم) و (يا حليماً لا يعجل) فالجملة ليست نعتاً، وإنما هي في محل نصب حال من ضمير مستتر في الوصف مرفوع على أنه فاعله ، والسبب أنّ المنادى تعرّف بالنداء ، والجملة لا تقع نعتا للمعرفة . وهذا رأى ابن هشام.(١)

وليس له شواهد في المفضليات .

النوع الرابع :

ما يجوز ضمه ونصبه ، وهو المنادى الذى حقه الضم ، ولكن الشاعر اضطر إلى تنوينه ، ومنه قول الشاعر :

سلامُ اللّهِ يا مطرٌ عليها

وليس عَليْكَ يا مطرُ السلامُ

وقول جرير :

أعبداً حلَّ في شُعبى غريباً

ألؤماً لا أبا لك واغترابا(٢)

وهو علم في الأول ، ونكره مقصودة في الثاني .

اختار الخليل وسيبويه والمازني والزجاجي الضم.(٣)

واختار أبو عمرو وعيسى والأخفش ويونس والجرمي النصب ، وحسّنه المُبرّد .(٤)

---

(١) عدة السالك ٤/ ٢١ ، ومنه (يا فعالاً لما يريد) ورد في دعاء آدم أمام الملتزم.

(٢) أوضح المسالك ٤ : ٢٨ / التصريح ٢ : ١٧١ .

(٣) انظر الكتاب ٢ : ٢٠٢ / التصريح ٢ : ١٧١ / خزانة الأدب ، ت / عبد السلام هارون ٢ : ١٥٠ .

(٤) خزانة الأدب ت/ عبد السلام هارون ٢ : ١٥١ / أوضح المسالك ٤ : ٣١ / المقتضب ٤ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

وسلك ابن مالك منهجاً في العلم وآخر في اسم الجنس ، وفي ذلك قال (وبقاءُ الضم في العلم أولى من النصب ، والنصبُ في غير العلم أولى من الضم ، لأنَّ سببَ البناء في العلم أقوى منه في اسم الجنس المعين .

ولأنَّ نصب العرب العلم المضطر إلى تنوينه قليلٌ ، ونصبهم اسم الجنس المضطر إلى تنوينه كثير ولم يسمع سيبويه في قول الشاعر :

سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها

وليسَ عليكَ يا مطرٌ السَّلامُ

إلاّ الرفع . ورُوي قولُ الشاعر :

ضربتْ صَدْرَها الحيَّ وقالتْ

يا عَدِيّاً لقَدْ وقتكَ الأواقِي

بالنصب ، ومثله قول الآخر :

....

يا عَدِيّاً لِقَلْبِكَ المُهْتَاجِ

وأمّا اسمُ الجنس المعين بالقصد فقلما ورد إلاّ منصوبا كقول الشاعر :

أعبداً حلَّ في شُعَبَى غريبا

ألؤماً لا أبا لكَ واغتِرابَا

ومن الوارد مضموماً قول الشاعر :

ليتَ التحيةَ كانتْ لي فأشكرُها

مكان (ياجَمَلُ) : (حُيِّيْتَ يا رجلُ) (١)

وهو من اختيار الأعلم أيضا . (٢)

---

(١) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٠٣-١٣٠٥ .

(٢) أوضح المسالك ٤ : ٣١ .

ومن شواهده في المفضليات قول السَّفاح اليربوعي : (١)

يا فارسـاً ما أنتَ من فارسٍ

موطّأ البيتَ رحيبِ الذّراع

فقوله (يا فارساً) نكرة مقصودة ، والأصل فيها الرفع ، فلما اضطر الشاعر نصبه منونا .

---

(١) المفضلية ٩٢ : ٤٠

تابع المنـــــادى

تابع المنادى على أربعة أنواع :

النوع الأول :

ما وجب فيه النصب مراعاةً لمحل المنادى ، وذلك إنْ توافر فيـــه أمران :

أ - أن يكون نعتاً أو بياناً أو بدلاً .

ب - أن يكون مضافاً ، مجرداً من أل ، نحو " يا زيدُ صاحبَ عمرو " ، و " يا زيدُ أبا عبدالله " و " يا تَميمُ كُلَّهم ، أو كُلَّكم " [١] وفي هذا النوع قال ابن مالك :

تابعَ ذي الضمِّ المضافَ دونَ أل
ألزمه نصباً ، كأزيدُ ذا الحِيَـــل [٢]

" وحكى جماعة من الكوفيين منهم الكسائي والفرّاء والطّوال جواز رفـــع المضاف من نعت وتوكيد وتبعهم ابن الأنبارى " [٣].

النوع الثاني :

ما يجب فيه الرفع مراعاة للفظ المنادى ، وهو نعت " أي " ، و " أيـة " ونعت اسم الإشارة إذا كان اسم الإشارة وصلة لندائـــه ،

---

(١) انظر أوضح المسالك ٤ : ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٢٦٦ .
(٣) التصريح ٢ : ١٧٤ .

نحو ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ (١) ، ﴿ ياأَيَّتُهَا النَّفسُ ﴾ (٢) ، وقولك (يا هذا الرَّجُلُ) (٣) .

قال سيبويه " وذلك قولك ، يا أيها الرجلُ ، ويا أيَّها المرأتان ، فأيٌّ ههنا فيما زعم الخليل رحمه الله كقولك يا هذا ، والرجل وصفٌ له كما يكون وصفاً لهذا وإنما صار وصفه لا يكون فيه إلاّ الرفع لأنك لا تستطيع أن تقول يا أيٌّ ولا يا أيُّها وتسكت ، لأنه مبهم يلزمه التفسير ، فصار هو والرجل بمنزلة اسم واحد ، كأنك قلت يا رجلُ .

واعلم أنّ الأسماء المبهمة التي توصف بالأسماء التي فيها الألف واللام تُنزل بمنزلة أي ، وهي هذا وهؤلاء وأولئك وما أشبهها ، وتوصف بالأسماء وذلك قولك ، يا هذا الرجلُ ، ويا هذان الرجلان ، صار المبهم وما بعده بمنزلة اسم واحد " . (٤)

وقال الأخفش : في ياأيها الرجل أي موصول وذو اللام بعده خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة أي ، وإنما وجب حذف هذا المبتدأ لمناسبة التخفيف للمنادى ولا سيما إذا زيد عليه كلمتان : أعني أيها" .

وقال الرَّضِي " ويصح تقوية مذهبه بكثرة وقوع أي موصولة في غير هذا الموضع وندور كونها موصوفة ... " (٥)

---

(١) سورة البقرة آية ٢١ .

(٢) سورة الفجر آية ٢٧ .

(٣) أوضح المسالك ٤ : ٣٤ .

(٤) الكتاب ٢ : ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٥) شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٣ .

وجاء التنبيه في (أي) عوضا من مضافها المحذوف ،أو تأكيـدا لمعنى النّداء . وقال ابن السّيد : أن مابعدها عطف بيان لا وصف لأنه ليس مشتقا .

وأجاز المازني نصبه حملاً على موضع أي ،ورُدّ بأنّ الكلام لـم يتم بها ،والحمل إنّما يكون بعد تمام الكلام (١) وبه قال الزجاج (٢) وعليه قرئ ﴿ قُلْ يا أيُها الكَافِرِين ﴾ (٣) وللزجاج قول آخر فيما أجازه المازني ، فهو يقول (ولم يُجز أحدٌ من النحويين ما قاله لا قبله ولا بعده) (٤) ، وزعم أبو نزار أنه مبني واللام فيه بدل من (يا) (٥) .

ومنه في المفضليات قول الخصفي المحاربي (٦) :

ألاَ أيُهـا المسْتَخْبِرى ما سَأَلْتَنـي
بِأَيامِنـا في الحربِ الأَلِتَغْلَمَـا

وحرف النداء محذوف .

وأجاز النحاة كون الاسم المحلى بأل بعد اسم الإشارة نعتا (٧)

---

(١) انظر همع الهوامع ١ : ١٧٥ .

(٢) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣١٨ .

(٣) سورة الكافرين آية ١ . وذكر ابن الباذش أنه مسموع عند العرب ، انظر أسرار النداء في لغة القرآن الكريم للدكتور إبراهيم حسن إبراهيم ١٣٨ .

(٤) شفاء العليل ٢ : ٨٠٩ .

(٥) همع الهوامع ١ : ١٧٥ .

(٦) المفضلية ٩١ : ٢٦ .

(٧) كما جاز أن يكون عطف بيان أو بدلا ولا إشكال فيه . انظر شرح التصريح ٢ : ١٧٥ .

واستشكله ابن عصفور " بأن البيان يُشترط فيه أن يكون أعرف من المبين ، والنعت لا يكون أعرف من المنعوت ،فكيف يكون الشيء أعرف وغير أعرف ؟ وأجاب بأنّه إذا قُدِّر بيانا قدرت أل فيه لتعريف الحضور فهو يفيد الجنس بذاته والحضور بدخول أل والإشارة إنما تدل على الحضور دون الجنس .

وإذا قُدِّر نعتاً قُدِّرت أل فيه للعهد فالمعنى : مررت بهذا وهو الرجل المعهود بيننا ،فلا دلالة فيه على الحضور ،والإشارة تدل عليه فكانت أعرف " .(١)

وإنْ لم يجعل اسم الإشارة وصلة لنداء ما بعده لم يجب رفع صفته ،بل يجوز الرفع والنصب .(٢)

النوع الثالث :

ما جاز رفعه ونصبه ، وهو نوعان :

١ - النعت المضاف المقرون بأل نحو " يا زيدُ الحسنُ الوجهِ " .

٢ - ما كان مفردا من نعت أو بيان أو توكيد أو كان معطوفا مقرونا بأل ، نحو " يا زيد الحسنُ " و " الحسنَ " و " يا غلامُ بِشرٌ " و " بِشرا" و " ياتميمُ أجمعون " ، و " أجمعين " وقال الله تعالى : ﴿ ياجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطيرُ ﴾(٣) (٤)

---

(١) التصريح ٢ : ١٧٥ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٢٧٠ .

(٣) سورة سبأ آية ١٠ .

(٤) أوضح المسالك ٤ : ٣٥ ، ٣٦/ التصريح ٢ : ١٧٥ .

والنصب فيه (اتباعاً لمحل المُنادَى ، والرفع على تشبيه لفظ المنادى بالمرفوع تنزيلاً لحركة البناء العارضة بسبب دخول حرف النداء منزلة حركة الاعراب بسبب دخول العامل)[١] .

(والطيرُ) بالرفع من قوله تعالى * يا جِبالُ أَوِّبي مَعَه والطيرُ * قراءة : " انفرد بها ابن مهران عن هبة الله بن جعفر عن أصحابه عن روح برفع الراء من (والطيرُ) وهي رواية زيد عن يعقوب . وردت عن عاصم وأبي عمرو "[٢] واختار الرفع الخليل وسيبويه ، قال سيبويه " فأمّا العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون : يا زيدُ والنضرُ . وقرأ الأعرجُ : * يا جِبالُ أَوِّبي مَعَه والطَّيرُ * فرفع .

ويقولون : يا عمرو والحارثُ ، وقال الخليل رحمه الله : هو القياس ، كأنّه قال : ويا حارثُ "[٣] وهو اختيار المازني عطفاً على لفظ الجبال[٤] وقدروا النصب بالعطف على فضلا من قوله تعالى * ولَقَدْ آتَيْنَا داودَ مِنّا فضلاً *[٥] [٦]

أما النصب فبالعطف على محل الجبال واختاره أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي ويونس والجرمي[٧] .

---

(١) التصريح ٢ : ١٧٤ .
(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزرى / دار الكتب العلمية ٢ : ٣٤٩ .
(٣) الكتاب ٢ : ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٤) التصريح ٢ : ١٧٦ .
(٥) سورة سبأ آية ١٠ .
(٦) أوضح المسالك ٤ : ٣٦ .
(٧) التصريح ٢ : ١٧٦ / المقتضب ٤ : ٢١٢ .

ونُسب إلى المُبَرِّد تفصيل في هذه المسألة فقيل : " وقال المُبَرِّد إذا كانت (أل) في المعطوف للتعريف مثلها في الطير فالمختار النصب في المعطوف ، أو لغيره وهي الزائدة مثلها في اليسع فالمختار الرفع ".[١]

ولم يرد هذا القول في المقتضب[٢] وقال " والنصب عندي حسن على قراءة الناس ".[٣]

النوع الرابع :

ما يُعطى تابعاً ما يستحقه إذا كان مُنادى مستقلا ، وهو البدل والمنسوق المُجَرَّد من أل ، وذلك لأنَّ البدل في نية تكرار العامل ، والعاطف كالنائب عن العامل ، تقول " يا زيدُ بِشرُ " بالضم ، وكذلك " يا زيدُ وبشرُ " وتقول " يا زيدُ أبا عبدالله " وكذلك " يا زيدُ وأبا عبدالله ".[٤]

وقال ابن مالك :

ونحو (زيد) في النِّدا إن نُسقا
ينصبُ عند المازني مُطلقا

فالمازني يجيز أن يقال (يا زيدُ وعمراً) و (يا عبدَالله وزيداً) وهذا مذهب الكوفيين.[٥]

---

(١) التصريح ٢ : ١٧٦ / شرح المفصل ٢ : ٣ / شفاء العليل ٢ : ٨١٠ / الأصول ١ : ٤٠٩ / شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣١٤ / أوضح المسالك ٤ : ٣٦ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٣٩ .

(٢) انظر المقتضب ٤ : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) المقتضب ٤ : ٢١٣ .

(٤) أوضح المسالك ٤ : ٣٦ وانظر التصريح ٢ : ١٧٦ .

(٥) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣١٥ .

تابع المستغاث :

أما المستغاث فنعته مجرور نحو (يا لَزيد الشجاعِ لِلمظلوم) ، وفي النهاية : لا يبعد نصب الصفة حملاً على الموضع. (١)

تابع تابع المنادى :

١ - تابع تابع اسم الإشارة وتابع تابع أي :

صفة صفة أي تكون مرفوعة في الإفراد نحو (ياأيها الرجلُ الكريم) وفي الإضافة كما في قول الشاعر :

* يا أيُّهـا الجاهلُ ذو التَّنـزِّى * (٢)

قال سيبويه : " واطرد الرفع في صفات هذه المبهمة كاطراد الرفع في صفتها إذا ارتفعت بفعل أو ابتداء ، أو تبنى على مبتدأ ، فصارت بمنزلة صفاتها إذا كانت في هذه الحالة. كما أن الذين قالوا يا زيدُ الطويل جعلوا زيدا بمنزلة ما يرتفع بهذه الأشياء الثلاثة فمن ذلك قول الشاعر :

* يا أيُّها الجاهلُ ذو التَّنـزِّى *

وتقول : ياأيها الرجلُ زيدُ أقبل .." . (٣)

---

(١) شرح الأشموني ٢ : ١٦٦ .

(٢) الكتاب ٢: ١٩٣

(٣) الكتاب ٢ : ١٩٢ ، ١٩٣ / انظر التصريح ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٣ ، ١٤٤ .

أما اسم الإشارة فإن كان وصلة لنداء تابعه ، فحكمه حكم تابع تابع أي ، وإن كان المُراد نداء اسم الاشارة دونها جاز فيهما الرفع والنصب.(١)

تابع تابع غير اسم الاشارة وأي :

تابع تابع غير أي واسم الإشارة يجوز فيه الرفع والنصب ، قال سيبويه " وتقول : يا زيدُ الطويلُ ذو الجُمة ، إذا جعلته صفة للطويل ، وإن حملته على زيد نصبت . فإذا قلت يا هذا الرجلُ فأردت أن تعطف ذا الجمة على هذا جاز فيه النصب ، ... "(٢) أي أنه إن كان نعتا للمُنادى ففيه النصب ، وإن كان نعتا للطويل جاز الرفع والنصب .

قال الرَضي : " ومن نصب الطويل نصب ذا الجمة لا غير كان نعتا للطويل أو لزيد "(٣) وذلك قول سيبويه " ومن قال : يا زيدُ الطويلَ قال ذا الجُمّة ، لا يكون فيه غير ذلك إذا جاء بها من بعد الطويل وإن رفع الطويل وبعده ذو الجمة كان فيه الوجهان ".(٤)

وقيل :" ولا يجوز عطف المضاف لا رفعا ولا نصبا على المفرد الذي هو صفة للمُنادى المضموم نحو : يا زيدُ الطويل وذو الجمة ، أما النصب فلأن المنصوب لا يعطف على المرفوع ، أما الرفع ، فلأن حق المعطوف جواز

---

(١) التصريح ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥.

(٢) الكتاب ٢ : ١٩٣.

(٣) شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٣.

(٤) الكتاب ٢ : ١٩٣.

قيامه مقام المعطوف عليه . ولا يجوز : يا زيد ذو الجمة برفع ذو ، قال : فلم يبق إلاَّ النصب عطفاً على زيد ".

" وأجاز المازني الرفع حملا على الطويل ، ويمنع من كون المعطوف عليه كالمعطوف في كل ما يجب له ويمتنع عليه ألا ترى إلى قولهم : يا زيد والحارث ولا يجوز يا الحارث ".(١)

ومجمل ما تقدم " أنَّ تابع المنادى عند النحاة مثل متبوعه مطلقا ، إنْ كان تابع المنادى مرفوعا أو منصوبا يُحمل تابع التابع على ظاهر إعراب التابع ، سواء كان المنادى أي أو هذا أو غيرهما ".(٢)

---

(١) شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٤.

(٢) شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٣.

المضاف إلى يـــاء المتكلم

الأصل في ياء المتكلم :

اختلف في الأصل في ياء المتكلم على قولين :

القول الأول : أصلها الفتح لأن واضع المفردات ينظر إلى الكلمة حال إفرادها دون تركيبها ،فكل كلمة على حرف واحد كواو العطف وفائه وباء الجر ولامه وياء المتكلم أصلها الحركة لئلا يُبتدأ بالساكن ،وأصل حركتها الفتح ،لأنّ الواحد ولا سيما حرف العلة ضعيف لا يحتمل الحركة الثقيلة من الضمة والكسرة.

القول الثاني : أصلها الإسكان ،والإسكان أولى لأنّ السكون هو الأصل. وقولهم الواضع ينظر إلى الكلمة حال إفرادها ممنوع وظاهر أنّه نظر في المضمرات إلى حال تركيبها بدليل وضعها مرفوعة ومنصوبة ومجرورة ،والإعراب لا يكون إلاّ حالة التركيب ،ولو لم ينظر في الكلمات إلى حال تركيبها لم يطرد وضعه للكلم التي ليس فيها حال التركيب علة البناء على ثلاثة أحرف فما زاد ، بل جاز وضعها على حرف أو حرفين كما وضع ياء الضمير وكافه ونحو ما ومن وهذا وعلى كل حال فلا شكَ أنّ إسكان ياء المتكلم أكثر استعمالا إذا لم يلزم اجتماع الساكنين ،وذلك لعدم الاحتياج إذن إلى حركتها لوقوعها أبدا بعد كلمة أخرى فلا يُبتدأ بها مع كونها حرف علة.(١)

---

(١) شرح الكافية للرضي ١ :٧ ٤ ١.

والمضاف لياء المتكلم ينقسم إلى خمسة أقسام :

القسم الأول :

المعتل الآخر بالألف نحو (فتى) وبالياء نحو (قاضي) فإن ياءه واجبة الثبوت والفتح ،فيقال (يا فتايَ) و (ياقاضيَّ)[١] ، فلا يجوز حذفها للإلباس ،ولا إسكانها لئلا يلتقي ساكنان ،ولا تحريكها بالضم أو الكسر لثقلهما على الياء[٢] وفي القرآن الكريم * يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ *[٣] فتحها عاصم ففتحها عنه حفص وأبو بكر ..[٤]

وفي المقصور لغة أخرى على لغة هذيل ، فيقلبون الألف ياء ويدغمون الياء في الياء ،ومن ذلك قوله تعالى * فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ *[٥] حيث قرأ عاصم الجحدرى وعبدالله بن أبي اسحاق وعيسى بن أبي عمرو (هُدَيَّ) ... وقال شاعرهم :

سَبَقُوا هَوَيَّ وأَعْنَقُوا لِهَواهِمُ
فتُخُرِّمُوا ،ولكلِّ جنب مصرعُ[٦]

وكذلك في قوله تعالى * يَا بُشْرَايَ هذا غُلَامٌ * قرأ أبو الطفيل والحسن وابن أبي اسحاق والجحدرى : يا بُشريَّ .[٧]

---

(١) أوضح المسالك ٤: ٣٦ .

(٢) التصريح ٢ :١٧٧.

(٣) سورة يوسف / ١٩.

(٤) إتحاف فضلاء البشر / ٢٦٣ .

(٥) سورة البقرة آية ٣٨ .

(٦) البحر المحيط ١ :١٦٩.

(٧) البحر المحيط ٥ : ٢٩٠ .

القسم الثاني :

الوصف المشبه للفعل ، وفيه لغتان ، ثبوت الياء مفتوحة أو ساكنة ، فيقال " يا مكرمي " و " يا ضاربي " [١] بشرط أن يكون مشبهاً للفعل المضارع [٢] ، ومن شواهده في المفضليات قول الخصفي المحاربي [٣] :

ألا أيُّها المُسْتَخْبِرِى ما سألتني
بأيامِنا في الحربِ الاَّ لِتَعْلما

القسم الثالث :

وهو ما كان في آخر المضاف إلى الياء ياء مشددة ، كما في بني ، فيقال فيه (يا بُنيَّ) بفتح الياء ، والفتح على وجهين :

أحدهما : أن تكون ياء المتكلم أُبدلت ألفا ثم التزم حذفها لأنها بدل مستثقل .

الثاني : أن تكون ثانية ياءى (بُنيَّ) حذفت ثم أدغمت أولاهما في ياء المتكلم ففتحت ، لأن أصلها الفتح . كما فتحت في (يديَّ) ، ونحوه .

ويقال (يا بنيِّ) بالكسر .

فالكسر على التزام حذف ياء المتكلم فرارا من توالي الياءات مع أن الثالثة كان يختار حذفها قبل وجود الثنين . وليس بعد اختيار

----

(١) أوضح المسالك ٤ : ٣٦ .
(٢) التصريح ٢ : ١٧٧ .
(٣) المفضلية ٩١ : ٢٦ .

الشيء إلاّ لزومه .(١)

وفيه وجه ثالث في قوله تعالى * يا بُنَيَّ لاَ تُشْرِك بِاللَّهِ *(٢) وقوله عز وجل * يا بُنَيَّ لا تَقصُص *(٣) وقوله تبارك وتعالى * يا بُنَيَّ لا تُشْرِك باللَّهِ *(٤) وقوله عز وجل * يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ *(٥) وقوله * يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ *(٦) وقوله تعالى * يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ في المَنَامِ *(٧) وقرأ ابن كثير الأول من لقمان يا بنيْ لا تشرك بسكون الياء مخففة ، واختلف عنه في الأخير منها (يا بنى أقم الصلاه) فرواه عنه البزي كحفص . ورواه عنه قنبل بالتخفيف مع السكون كالأول . وافقه ابن محيصن على التخفيف فيهما وعن المطوعي كذلك في هود(٨) وفيه يقول ابن مالك :

و (يابُنَيَّ) (يا بُنَيَّ) في (بنيّ)

قُل وسوى هذين ممنوعُ لدى(٩)

ومن شواهده في المفضليات قول عبدة بن الطبيب(١٠) :

---

(١) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٢٤ .

(٢) سورة هود آية ٤٢ .

(٣) سورة يوسف آية ٥ .

(٤) (٥) (٦) سورة لقمان آية ١٣ ، ١٦ ، ١٧ .

(٧) سورة الصافات آية ١٠٢ .

(٨) إتحاف فضلاء البشر ٢٥٦ .

(٩) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٢٣ .

(١٠) المفضلية ٢٧ : ١ .

أبُنَيَّ إنِّي قَدْ كبرتُ ورابنــــي

بصـرى ،وفيَّ لمَصْلـحٍ مُستَمتَـــعُ

ولسنا مع ابن مالك في منع الوجه الثالث (بُنيْ) بسكون الياء ،لورودها في قراءة ابن كثير وهو من القُرَّاء السبعة ،وقراءته جاءت متمشية مع القاعدة " إذا التقى ساكنان أولهما حرف علة يُحذف " وعليه جاء قوله تعالى ﴿ ويَمْحُ البَاطِلَ ﴾ (١) وقوله عز وجل ﴿ يَوْمَ يُنادِي المُنَادِ ﴾ (٢) وقوله تبارك وتعالى ﴿ سَنَدْعُ الزَّبانِيَة ﴾ (٣).

القسم الرابع :

وهو ما عدا ما تقدم وليس أبا ولا أما ،نحو " يا غلامي " ففيه ست لغات : فالأكثر حذف الياء والاكتفاء بالكسرة نحو ﴿ يا عبادِ فاتّقُونِ ﴾ (٤) (٥) أُجرى المنفصل من كلمتين مُجْرَى المتصل في كلمة واحدة نحو ﴿ واللّيلِ إذا يَسْرِ ﴾ (٦) (٧)

ثم ثبوت الياء ساكنة ،نحو ﴿ يا عِبادِي لا خَوْفٌ عَلَيْكُم ﴾ (٨) (٩)

---

(١) سورة الشورى آية ٢٤.

(٢) سورة ق آية ٤١.

(٣) سورة العلق آية ١٨ وانظر البحر المحيط ٧ :٥١٧/ ٨ : ١٣٠، ٤٩٥.

(٤) سورة الزمر آية ١٦.

(٥) أوضح المسالك ٤: ٣٧.

(٦) سورة الفجر آية ٤.

(٧) التصريح ٢ :١٧٧.

(٨) سورة الزخرف آية ٦٨.

(٩) أوضح المسالك ٤: ٣٧.

وذلك على الأصل في البناء[١] ثم ثبوتها مفتوحة ،نحو ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾[٢].

ثم قلب الكسرة فتحة ،والياء ألفا ،نحو ﴿ يَا حَسْرَتَا ﴾[٣] وذلك لتحركها وانفتاح ما قبلها ،لأنّ الألف أخف من الياء ،والأصل (يا حسرتي) بفتحهما[٤] ومنه قول العرب (ياعماه هل كنت أعور قط) وقولهم (ياحُرزا وأبتغي النوافلَ) وأصله يا حرزي ،ويجوز أن يكون مندوبا وأصله يا حرزاه ،وقولهم (يا عماه هل يتمطط لبنكم كما يتمطط لبننا)[٥].

وأجاز الأخفش والفارسي والمازني حذف الألف المنقلبة عن الياء والاجتزاء بالفتحة عنها ،فتقول : يا حسرةً كقوله :

وَلَسْتُ بِرَاجِعٍ مَا فَاتَ مِنِّي
بلهفَ ولا بِليْت ولا لو أنّي[٦]

والوجه الأخير " الاكتفاء من الإضافة بنيّة وجعل الاسم مضموماً كالمُنادَى المفرد ،ومنه قراءة بعض القُرَّاء ﴿ رَبُّ السِّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾[٧].

---

(١) شرح التصريح ٢ : ١٧٧ .
(٢) سورة الزمر آية ٥٣ .
(٣) أوضح المسالك ٤ : ٣٧ .
(٤) شرح التصريح ٢ : ١٧٧ .
(٥) أنظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
(٦) شرح التصريح ٢ : ١٧٧ .
(٧) سورة يوسف آية ٢٢ .

وحكى يونس عن بعض العرب (يا أمّ لا تَفْعَلي) وبعض العرب يقول : (يا ربُّ اغفرلي) و (يا قومُ لا تفعلوا)".[(١)]

قال الشيخ أحمد البنّاء " (يا قومُ) بضم الميم وهو في سبعة وأربعين موضعا ".[(٢)]

ومن شواهده في المفضليات قول الشنفرى الأزدي :[(٣)]

فَيَا جَارَتِي وأنتِ غيرُ مُليمةٍ
إذا ذُكِرتُ ، ولا بذات تَقَلُّبِ

وقول المُرَقِّش الأصْغَر:[(٤)]

تبصَّر خَلِيلي هل ترى مِنْ ظَعَائِنٍ
خَرَجْنَ سِراعاً واقْتَعدنَ المفائِما

القسم الخامس :

وهو الأب والأم ، وفيه لغات عشر ، فيه الست المتقدمة ، وأربع لغات أخرى :

---

(١) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٢٣ . انظر الكتاب ٢ : ٢٠٩ .
(٢) إتحاف فضلاء البشر ١٣٦ .
(٣) المفضلية ٢٠ : ٥ .
(٤) المفضلية ٥٦ : ٧ .

الأولى : يا أبتِ ، ويا أمّتِ ، والتاء فيهما بدل من ياء المتكلم عند البصريين ، بدليل أنهم لا يجمعون بينهما ، وتاء تأنيث عند الكوفيين ، وياء الإضافة مُقدّرة بعدها ، ودليل كونها للتأنيث انقلابها هاء في الوقف . ولو كان الأمر كما قالوا لسُمِع : يا أبتي ويا أمتي أيضا .(١) وورد منه قول الشاعر :

أيا أبتي لا زِلتَ فينا فإنّما
لنا أملٌ في العيشِ ما دُمتَ عائشا

ذلك عند البصريين جمع بين العوض والمعوض منه .(٢)

" والفرّاء يقف عليهما بالتاء لأنها ليست للتأنيث المحض كما في أخت وبنت ، والأولى الوقف بالهاء لانفتاح ما قبلها كما في ظُلمة وغُرفة ... "(٣) واستعمالها على هذه الصورة هو الأكثر .(٤)

الثانية : يا أبتَ ، ويا أمّتَ ، وفُتِحت لأنها بدل عن ياء حركتها الفتح فتحريكها بحركة أصل هو الأصل في القياس ، وقيل : لأنّ الأصل يا أبتا (٥) ويردّه ما ردّ قول الفرّاء .(٦)

---

(١) شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٨ وانظر التصريح ٢ : ١٧٨ .

(٢) عدة السالك ٤ : ٣٩ .

(٣) شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٨ .

(٤) أوضح المسالك ٤ : ٣٨ .

(٥) الذى قاله الأندلسي ورد قول الفرّاء في التصريح ٢ : ١٧٨ " في الوجه الأول : القول بأن الياء في النيّة ، ردّه الزجاجي بأنه لا يقال : يا أبتي " .

(٦) التصريح ٢ : ١٧٨ .

قال الأندلسي : " أصل يا أبتَ ويا أمتَ يا أبتا ويا أمتا فحذف الألف ، وهو ضعيف ، لأنَّ الألف خفيفة لا تُستثقل فتحذف ".(١)

وقيل : إنهما رُخما بحذف التاء ، وترك ما قبلها على حركته ، ثم أُقحمت التاء وحُركت بالفتح إتباعا لحركة ما قبلها.(٢)

قال الشيخ البنّاء (واختلف في " يا أبت " هنا ومريم والقصص والصافات فابن عامر وأبو جعفر بفتح التاء في السور الأربعة).(٣) وهذا الوجه هو الأقيس.(٤)

الثالثة : يا أبتُ ، ويا أمتُ ، على التشبيه بنحو ثبه و هبه ، وهو شاذ.(٥)

" وزعم الخليل رحمه الله أنه سمع من العرب من يقول : يا أُمَـةُ لا تفعلي ".(٦)

" وأجازه الفرّاء والنحاس و منعه الزجاج ، وقد قُرِئ بهن ، فبالكسر قرأ الجميع و بالفتح قرأ ابن عامر و بالضم قرئ في الشواذ ".(٧)

---

(١) شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٨ .

(٢) انظر شرح المفصل ٢ : ١٢ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٨ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢ .

(٤) أوضح المسالك ٤ : ٣٨ .

(٥) شرح التصريح ٢ : ١٧٨ .

(٦) الكتاب ٢ : ٢١١ .

(٧) شرح التصريح ٢ : ١٧٨ .

الرابعة : يا أبتا ، ويا أمتا ، بالجمع بين التاء والألف ، وعليه قوله :

* يَا أَبَتا علَّك أوعَسَاكَا *

وهو جمع بين العوض والمعوض فهو كقوله :

* أقول يا اللَّهُمَّ يا اللَّهُمَا *

وسبيل ذلك الشعر ، وزعم ابن مالك أنَّ الألف في يا أبتا هي التي يُوصل بها آخر المندوب والمُنادى البعيد والمستغاث وأنها ليست بدلا من الياء. والأول قول ابن جني.

ورُبَّما قيل : يا أباتُ وعليه قوله :

* كأنَّكَ فينا يا أباتُ غريبُ *

فقيل : أراد : يا أبت ثم أشبع . وقيل أراد يا أبتا ثم قلب ، وقيل أراد يا أبا على لغة القصر ثم قدّر إلحاق الياء وأبدل منها التاء.(١)

وهو جمع بين العوضين عند الرَّضي.(٢)

وشواهد المضاف إلى ياء المتكلم في المفضليات : وليس مفردا في قول ذي الإصْبَع العَدواني :(٣)

وإنَّني سَوْفَ أَبْتَدي بِكمــــا

يا صاحبيَّ الغـداةَ فاستَمِعَـا

---

(١) شرح التصريح ٢ : ١٧٨، ١٧٩ / انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٢٧ / الخصائص ١ : ٣٣٩.

(٢) شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٨.

(٣) المفضلية ٢٩ : ١٧ ذكره التبريزي في شرحه ٢ : ٥٨٣.

وقول المُرَقِّش الأكبر :(١)

يا صاحبيَّ تَلَوَّما لا تَعْجَلا

إنَّ الرحيلَ رهينٌ أنْ لا تَعْذُلا

وقول عبد المسيح بن عسله :(٢)

يا صاحبيَّ ترحَّلا وتقرَّبا

فلقَدْ أنى لمسافرٍ أنْ يَطْرَبا

فالمضاف إلى ياء المتكلم فيما تقدم مُثنى ، وأصله " يا صاحبين لي " حذف اللام تخفيفا والنون للإضافة .

المضاف إلى مضاف إلى ياء المتكلم :

إذا كان المنادى مضافا إلى مضاف إلى الياء ، فالياء ثابتة لا غير ، كقولك " يا ابنَ أخي " و " يا ابن خالي ".(٣)

قال سيبويه : وتثبت فيه الياء لأنّه غيرُ منادى ، وإنما هو بمنزلة المجرور في غير النّداء ، فذلك قولك : يا ابنَ أخي ، ويا ابنَ أُمي ، يصير بمنزلته في الخبر . وكذلك يا غلام غلامي . وقال الشاعر أبو زبيد الطائي :

يا ابنَ أُمي ويا شُقَيِّقَ نفسي

أنتَ خلَّيتني لدهرٍ شديدِ(٤)

---

(١) المفضلية ٤٥ : ١ .
(٢) المفضلية ٨٢ : ١ .
(٣) أوضح المسالك ٤ : ٤٠ .
(٤) الكتاب ٢ : ٢١٣ .

ويخرج من هذا العموم " يا ابن أمي ، ويا ابن عمي ، ويا ابنة أمي ، ويا ابنة عمي ، ويا بنت أمي ، ويا بنت عمي " ففيها أربعة أوجه.[١]

الأول : يا ابن أمَّ ، ويا ابن عمَّ ، بالفتح .

قال سيبويه " وقالوا : يا ابنَ أمَّ ويا ابن عَمَّ ، فجعلوا ذلك بمنزلة اسم واحد ، لأنّ هذا أكثر في كلامهم من يا ابن أبي ويا غلام غُلامي ".[٢] فالفتح هنا إذ جعل ذلك بمنزلة اسم واحد ، أي أن " ابن أم " تركبتا معا فأصبحتا اسماً واحداً .

وقال ابن يعيش : يجوز أن يكون فتح الثاني إتباعا لفتحة النون في ابن وموضع أم وعم خفض بالإضافة .[٣]

وقيل الأصل : عما وأما بقلب الياء ألفا فحذفت الألف وبقيت الفتحة دليلا عليها والأول قيل : هو مذهب سيبويه والبصريين ، والثاني قول الكسائي والفراء وأبي عبيدة وحُكِي عن الأخفش.[٤]

الثاني : يا ابن أمِّ ، ويا ابن عمِّ ، بالكسر .

قال سيبويه " وقد قالوا أيضا يا ابن أمِّ ويا ابن عمِّ ، كأنهم جعلوا الأول والآخر اسما ، ثم أضافوا إلى الياء كقولك : يا أحد عشر أقبلوا - وإن شئت قلت : حذفوا الياء لكثرة هذا في كلامهم ".[٥]

---

(١) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٨ ، همع الهوامع ٢ : ٥٤ .
(٢) الكتاب ٢ : ٢١٤ .
(٣) شرح المفصل ٢ : ١٢ .
(٤) شرح التصريح ٢ : ١٧٩ .
(٥) الكتاب ٢ : ٢١٤ .

فالكسر إمّا على التركيب ثم إضافة المُركَّب إلى الياء وهو منسوب لأصحاب أبي حيان في الارتشاف[١] أو أنه لا تركيب فيه ، وإنما اجتُزئ بالكسرة عن الياء المحذوفة ، وهو منسوب إلى الزجاجي[٢].

قال الشيخ البنّاء* الدمياطي / واختلف في (ابن أم)[٣] هنا وفي طه فابن عامر وأبو بكر و حمزة والكسائي وخلف بكسر الميم فيهما بناءً عند البصريين لأجل ياء المتكلم ، والباقون بفتحها فيهما لتركيبهما تركيب خمسة عشر.[٤]

الثالث : إثبات الياء ، يا ابن أمي ، ويا ابن عمي ، وعليه ما تقدم من قول الشاعر :

يا ابنَ أُمي ويا شُقيِّق نَفْسي

أنت خَلَّيْتَني لِدَهْرٍ شَديدِ[٥]

الرابع : يا ابنة عما ، ويا ابن أما ، بقلب الياء ألفا ، ومنه قول أبي النجم :

* يا ابنة عمّا لاَ تَلُومي وَاهْجَعِي *[٦]

والوجه الثالث والرابع يُعدّان ضرورة.[٧]

---

(١) التصريح ٢ : ١٧٩.

(٢) التصريح ٢ : ١٧٩.

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٠.

(٤) إتحاف فضلاء البشر ٢٣١. وانظر الآية ٩٤ من سورة طه ٣٠٧.

(٥) الكتاب ٢ : ٢١٣ وانظر شرح ابن يعيش ٢ : ١٢.

(٦) الكتاب ٢ : ٢١٤.

(٧) التصريح ٢ : ١٧٩ / شرح الأشموني ٢ : ١٥٨، ١٥٩ / أوضح المسالك ٢ : ٤٠ / همع الهوامع ٢ : ٥٤.

قال سيبويه : " واعلم أن كل شيء ابتدأته في هذين البابين أولا فهو القياس وجميع ما وصفناه من هذه اللغات سمعناه من الخليل رحمه الله ويونس عن العرب ".(١)

---

(١) الكتاب ٢ : ٢١٤ .

نداء ما فيه أل

منع جمهور النحاة نداء ما فيه[(١)] أل ، عدا صور أربع :

١ - أن يكون المُنادى اسم الله تعالى ، وفيه لغات : تقول (يا أَللهُ) بإثبات الألفين ، و (يا لله) بحذفهما ، و (يا لله) بحذف الثانية فقط[(٢)] [(٣)] وذلك لأن الألف واللام لا يفارقانه فصارت كحروفه الأصلية[(٤)] ويُحذف حرف النّداء ويعوض منه الميم فيقال (اللّهُمَّ) ويُجمع بينهما في الضرورة النادرة ، كقوله :

* أقول يا اللّهمّ يا اللّهُمَّا *[(٥)]

ومنه قوله تعالى * اللّهمّ فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرضِ *[(٦)].

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ١٩٥ / المقتضب ٤ : ٢٣٩ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٥ / همع الهوامع ١ : ١٧٤ / التسهيل ١٨١ / أوضح المسالك ٤ : ٣١ .

(٢) وعليه يلزم التقاء الساكنين وهو مستساغ هنا إذا كان بعد الألف حرف مشدد أوله ساكن مثل (الضّالّين) ، (الطّامّة) ، (الصّاخة) ، (العادون) .

(٣) أوضح المسالك ٤ : ٣١ وانظر التصريح ٢ : ١٧٢ .

(٤) انظر الكتاب ٢ : ١٩٥ / التصريح ٢ : ١٧٢ / همع الهوامع ١ : ١٧٤ .

(٥) انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ٣٠٧ / أوضح المسالك ٤ : ٣١ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٦ .

(٦) سورة الزمر آية ٤٦ .

وفي (ياالّلهمّا) حديث طويل نرى أنْ لا بُد من عَرضه :

قال سيبويه : " وقال الخليل رحمه الله : اللهمّ نداءٌ والميم ها هنا بدل من يا ، فهي ها هنا فيما زعم الخليل رحمه الله آخر الكلمة بمنزلة يا في أوّلها ، إلاّ أنّ الميم ها هنا في الكلمة كما أنّ نون المسلمين في الكلمة بُنيت عليها . فالميم في هذا الاسم حرفان أولُهما مجزوم ، والهاءُ مرتفعة لأنه وقع عليها الإعراب .

وإذا أُلحقت الميم لم تصف الاسمَ من قبل أنه صار مع الميم عندهم بمنزلة صوت كقولك : يا هَناهْ . وأمّا قوله عز وجل * اللّهُمَّ فَاطِرَ السَّمواتِ والأَرْضِ * (١) فعلى يا ، فقد صرَّفوا هذا الاسم على وجوه لكثرته في كلامهم ، ولأنّ له حالاً ليست لغيره ". (٢)

وقال الفرّاء في قوله تعالى * قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلكِ * (٣) :
"(اللَّهُمَّ) كلمة تنصبها العرب . وقد قال بعض النحويين : إنما نصبت إذ زيدت فيها الميمان لأنها لا تُنادى بيا ، كما تقول : يا زيدُ ، ياعبدَ الله ، فجعلت الميم فيها خلفا من يا . وقد أنشدني بعضهم :

وما عليكِ أنْ تَقولي كُلَّما صلَّيتِ أو سبَّحتِ يا اللّهم يا
أُرْدُدْ علينا شَيْخَنا مُسَلَّما

---

(١) سورة الزمر آية ٤٦ .
(٢) الكتاب ٢ : ١٩٦ ، ١٩٧ .
(٣) سورة آل عمران آية ٢٦ .

ولم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الأسماء إلّا مخففة، مثل الفم وابنم وهم، وترى أنها كانت كلمة ضُم إليها، أُمّ، تريد يا الله أُمّنا بخير، فكثرت في الكلام فاختلطت. فالرفعة التي في الهاء من همزة أُمّ لما تركت انتقلت إلى ما قبلها.

ونرى أنّ قول العرب (هلُمَّ إلينا) مثلها، إنما كانت (هل) فضم إليها أُمّ فتركت على نصبها، ومن العرب من يقول إذا طرح الميم: يا ألله اغفر لي، ويا أَلله اغفر لي، فيهمزون ألفها ويحذفونها ...

... وقد كثرت (اللّهمّ) في الكلام حتى خُفِّفت ميمها في بعض اللغات، أنشدني بعضهم:

كحلفةٍ مِنْ أَبِي رياح   يسمعها اللَّهُمَ الكُبار

وانشاد العامة، لاهه الكبار. وأنشدني الكسائي:

يسمعها اللّه واللّه كبار ". (١)

قال أبو جعفر النّحاس تعليقا على قول الفرّاء المتقدم " هذا عن البصريين من الخطأ العظيم حتى قال بعضهم: هذا إلحادٌ في اسم الله عز وجل. قال أبو جعفر: القول في هذا ما قاله الخليل وسيبويه أن الأصل يا أللهُ ثم جاءوا بحرفين عوضا من حرفين وهما الميمان عوضا من (يا) والدليل على هذا أنّه ليس أحد من الفصحاء يقول " ياأللّهمَّ " لأنهم لا يجمعون بين الشيء وعوضه، والضمةُ التي في اللّهُمَّ عندهما هي

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١: ٢٠٣، ٢٠٤.

ضمة المنادى المرفوع . فأما قول الفراء : ان الأصل يا الله آمّنا فلو كان كذا لوجب أن يقال : أو مُمْ وأن يدغم فيضم و يكسر وكان يجب أن تكون ألفُ وصل لا حكم لها . وكان يجب ان يقال : يا اللّهمَّ ، وأيضا فكيف صحّ المعنى أن يقال : يا الله أمّنا منك بخير ". (١)

" قال الزجاج : محال أن يترك الضم الذى هو دليل على النّداء المفرد ، وأن يجعل في اسم ضمة أم ، هذا الحاد في اسم الله تعالى . قال ابن عطية : وهذا غلو من الزجاج ، وزعم أنه ما سمع قط يا ألله أم ، ولا تقول العرب يا اللهم . وقال الكوفيون : انه قد يدخل حرف النداء على " اللهم " وأنشدوا على ذلك قول الراجز :

* غفرتَ أو عذّبتَ يا اللّهما *

آخر :

وما عليك أن تقولي كلّما

سبّحتِ أو هلّلتِ يا اللّهُمَّ ما

أردد علَيْنَا شيْخنا مُسَلّمَا

فإنَّنا مِن خَيْرِه لَنْ نُعْدَمَا

آخر :

إنّي إذا ما حَدَثٌ ألمّا

أقولُ يا اللّهُمّ يا اللّهُمّا

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١ : ٣٦٤ .

قالوا : فلو كان الميم عوضا من حرف النّداء لما اجتمعا . قال الزّجاج : وهذا شاذّ ولا يُعرَف قائله ،ولا يترك له ما كان في كتاب الله وفي جميع ديوان العرب ،وقد ورد مثله في قوله :

هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ من فمويهما
على النّابح العاوي أشدَّ رِجَامِ

قال الكوفيون : وإنما تُزاد الميم مخففة في فم وابْنُم ،وأما ميم مشددة فلا تُزاد . وقال بعض النحويين : ما قاله الكوفيون خطأ ،لأنه لو كان كما قالوا كان يجب أن يُقال " اللّهُمّ " ويُقتصر عليه لأنّه معه دعاء . وأيضا فقد تقول : أنت اللّهُمّ الرازق . فلو كان كما ادّعو لكنت قد فصلت بجملتين بين الابتداء والخبر ".(١)

إنّ الكثيرَ الشائع في لسان العرب أن لا يجمعوا بين العوض والمعوض منه كما ورد في الأبيات سالفة الذكر غير أنا نجد في ذلك مسألتين :

الأولى : من قبيل البدل على القول بمغايرته التعويض أو من التعويض على القول بأنّ كل عوض بدل والعكس وذلك كالجمع بين الميم والواو في "فمويهما" من قول الفرزدق السابق . فالنحاة يرون أنّ الفرزدق قد جمع بين العوض وهو الميم والمعوض منه وهو الواو . وهذا من النوادر على القول بتعويض الميم من الواو .

قال سيبويه :" ... وأما فم فقد ذهب من أصله حرفان ،لأنّه كان في الأصل (فَوَه) فأبدلوا الميم مكان الواو فهذه الميم بمنزلة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤:٥٣، ٥٤ .

العين نحو ميم دَم، ثبتت في الاسم ... فمن ترك دم على حاله إذا أُضيف ترك (فم) على حاله، ومن ردّ إلى دم اللام ردّ إلى فم العين فجعلها مكان اللام كما جعلوا الميم مكان العين في فم". (١)

وقال أبو علي في البغداديات " وأمّا قول الفرزدق (فمويهما) فإنه قيل : أنّه أبدل من العين الذى هو واو الميَم كما تُبدل منه في الإفراد، ثم أبدل من الهاء التي هي لام " الواو" وبدل الواو من الهاء غير بعيد، ويدل على سوغ ذلك أنهما تعاقب الكلمة الواحدة كقوله عضة، فإنّ لامه قد يُحكم عليها بأنها هاء لقولهم "عضاه" وقد يُحكم عليها بأنها واو لقولهم " عضوات " ومثل ذلك في سنه يقال فيها : سنوات وسنهات.

وذهب ابن جنى في سرّ الصناعة إلى أن فمويهما مُثنى (فما) قال في قول الشاعر :

* يَا حَبَذَا عَيْنُ سُلَيْمَى والفَمَا *

يجوز أن يكون (الفما) في موضع رفع وهو اسم مقصور بمنزلة (عصى) وعليه جاء بيت الفرزدق :

* هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا *

ويتبين مما سبق أن في (فمويهما) أربعة آراء :

---

(١) الكتاب ٣ : ٣٦٥.

الأول : الجمع بين البدل والمبدل منه ،والثلاثة الأخيرة لا جمع فيها بين البدل والمبدل منه .(١)

وقيل الميم من بقايا التنويم في الحميرية القديمة ،وعليه فلا جمع كذلك .(٢)

المسألة الثانية : نص في التعويض مثل (وِعده) فقد ورد عن بعض العرب أنهم قالوا : وعده بالجمع بين العوض (الهاء) والمعوض عنه وهو (الواو) وهما يتعاقبان .

وقال الحَرَسي : " ومن العرب من يخرجه على الأصل فيقول : وِعده ووِشهه .(٣)

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾.(٤)

---

(١) انظر ذلك في درة الغواص للحريرى ، ت / محمد أبو الغضل إبراهيم ٩١ ، ٩٢ / سر صناعة الإعراب ١ : ٤١٣-٤١٨/ ٢ : ٤٨٥/ الدرر اللوامع : ١ : ٢٦/ الإنصاف ١ : ٣٤٥ فما بعدها / كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه ٥٠ /ت/ أحمد عبد الغفور عطّار ٢١٦ فمابعدها / وشواهد الشافية للبغدادي ٢ : ١١٥/ شرح الشافية للرضي ت / محمد محي الدين عبدالحميد وآخرون ٢ : ٦٦ / خزانة الأدب ت / عبد السلام هارون ٢ : ٢٦٩ فما بعدها / تاج العروس ٩ : ٤٠٤ مادة (فوه) الإنتصاف من الإنصاف لمحي الدين عبد الحميد ١ : ٣٤٥ ومابعدها / التبصرة والتذكرة ٢ : ٨٦١.

(٢) محاضرات في فقه اللغات السامية للدكتور حامد عبد القادر بحث ما بين العدنانية والحميرية القديمة .

(٣) انظر شرح الشافية للرضي ٣ : ٨٩ ، ٩٠ / الأشباه والنظائر للسيوطي ١ : ١٠٨.

(٤) سورة البقرة آية ١٤٨.

والوِجهة حقيقتها البقعة التي يُتوجَّه إليها ،فهي على وزن (فِعلة) بكسر الفاء مؤنث فِعل الذي هو بمعنى مفعول ،مثل ذِبح بمعنى مذبوح ، ولكونها اسم مكان لم تحذف الواو الذى هو فاء الكلمة عند اقتران الاسم بهاء التأنيث ، لأنَّ حذف الفاء في (فِعلة) إنما يكون في (فِعلة) بمعنى المصدر.(١)

ما تقدم يدل على جواز الجمع بين العوض والمعوض عنه لوروده في أفصح الكلام ،ومنه الجمع بين (الميم) و (يا) في (ياأللَّهمَّ) في قول أبي خُراش الهُذلي :

إنّي إذا ما حَدَثٌ ألمّا
أقولُ يا أللّهُمّا يا أللّهُمّا

قال النحاة : الميم في آخر اللَّهمَّ ،وهي عوض عن/ حرف النِّداء (يا).(٢)

* وفي ذلك كلام كثير وتخريجات لا مفرّ من عرضها للاستفادة منها ، كما أن لي موقفا سأعرض له بعد عرض أقوال النحاة في ذلك قال الدكتور عبدالرحمن اسماعيل في ذلك ..

أولا : قال الخليل وسيبويه وجميع البصريين إنّ أصل (اللّهمَّ) يا ألله فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذى هو (يا) جعلوا بدله هذه الميم المشددة فجاؤوا بحرفين وهما الميمان عوضا من حرفين هما الياء والألف ،والضمة في الهاء هي ضمة الاسم المُنادى المفرد كما سبق أن ذكرت.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد بن الطاهر عاشور ط/عيسى الحلبي البابي ٢ :٣٨.

(٢) انظر الكتاب ٢ :١٩٦، ١٩٧ / النوادر لأبي زيد ١٦٥/ الإنصاف ١ :٣٤٣ فما بعدها / ورسالة الصبان على البسملة ٣٥ / شرح بانت سعاد ٣١ / أسرار العربية ٢٣٢، ٢٣٣/ سر صناعة الإعراب ١ :٤١٩.

وذهب الفرّاء والكوفيون إلى أن الأصل (يا ألله أُمّنا بخير) فحذف وخلط الكلمتين :أي أنها منحوتة من الكلمات الثلاث ،وأن الضمة التي في الهاء هي الضمة التي كانت في همزة (أُم) فلما حذفت الهمزة انتقلت الحركة اليها .

قال النحاس : هذا عند البصريين من الخطأ العظيم ...

وقال الكوفيون : إنّه قد يدخل حرف النداء على اللّهُمّ وأنشدوا على ذلك قول الراجز :

* غَفَرت أوعَذَبت يااللّهُمّا *

وقول الآخر :

وَما عَلَيْـك أنْ تَقولِي كُلّمّـا

سَبّحْـت أوْهَلّلـت ....

وعليه فليست الميم عند الكوفيين عوضا من حرف النداء ،إذ لو كان كذلك لما صحّ الجمع بينهما (١) .

ثانيا : إنّ الجمع بين العوض والمعوض منه في اللّهُمّ فيه إشكالان إذا سلّمنا بقول البصريين :

الأول : ينشأ من نداء ما فيه الألف واللام وهو مرفوض في مقاييسهم النحوية غير أنّه يُمكن دفعه بأن أل في لفظ الجلالة ليست للتعريف كما يُتوهم ،بل هي عوض عن الفاء المحذوفة من (إله) و (أل)

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٤ :٥٣ ، ٥٤ / شرح الأشموني ٢ :٧ :١٤٧، ١٤٨ / التبصرة والتذكرة ١ :٣٤٦ / الإنصاف ١ :٣٤٣ / الخصائص ١ :٧٠ / شرح الكافية الشافية ٣ :١٣٠٧ .

عرضية لا تعاقب حرف النّداء بل تصاحبه وتوءاخيه . أو أن (أل) لما لزمت لفظ الجلالة في لسان العرب ولم تنفصم عنه إلاّ نادراً نُزلت منزلة الجزء منه ،وعليه يصح مجامعتها حرف النّداء ، حيث عُدت من حروفه الأصلية أو أجريت مُجْراها .

الثاني : منشوءهقول البصريين بعوضية الميم في آخر (اللَّهُــمَّ) عن حرف النّداء (يا) في أوله ،فإذا دخلت عليه (يا) لزم منه الجمع بين العوض والمعوض منه ويمكن دفع ذلك بالآتي :

١ - يحتمل أن تكون (يا) في (يااللّهمّا) حرف تنبيه لا حرف نداء ،وعليه فلا جمع بين العوض والمعوض عنه.

٢ - أنّ الجمع بين حرف النّداء والميم في (اللّهُمّ) مما توسعت فيه العرب وأعجز أهل القياس أن يقعدوا له ،فتراهم يحكمون بشذوذه تارة و يقدرونه أخرى وهو مما يُحفظ ولا يُقاس عليه في الكلام بل يُستفاد منه ،كما استفادت منه العرب من قبلنا ونستعمله كما استعملوه.

٣ - أنهم جمعوا بين حرف النداء والميم في (اللّهُمّ) لأن الميم في حكم الزائد الذى هو في نية الطرح وعليه فليست الميم عوضا بل حرف زِيد في لفظ الجلاله للتعظيم كما زيد في (ستهم) لكبير الاست و (زرقم) للمبالغة في الزرقة .

٤ - وعلى القول بأن (يا) للنّداء والميم عوض عن (يا) فالجمع بين حرفي نداء إنما الغرض منه التأكيد والجمع بين حرفين لمعنى واحد ، لا مانع منه إذا اختلفا لفظا وقد ورد من أمثال

ذلك كثير في اللغة.(١)

٢ - الجملة المحكية : كأن يقال (يا المنطلق زيد) إن سُمّي بذلك . قال سيبويه " ولو سمّيته الرجلُ مُنطَلِقٌ ،جاز أن تناديه فتقول : يا الرجلُ مُنطَلِقٌ ،لأنك سميته بشيئين كل واحد منهما اسم تام "(٢) وقال ابن مالك :

وفي الذى ك (الشَّهِمِ زيدٌ) علما
عمرو بجمع (يا) و(أل) قد حكما(٣)

وزاد المُبَرِّد الموصول المبدوء بأل إنْ سُمي به كالذى والتي(٤) ومنعه سيبويه وذلك قوله " وإذا سميت رجلا : الذى رأيته والذى رأيت ، لم تغيره عن حاله قبل أن يكون اسما ،لأنّ الذى ليس مُنتهى الاسم ،وإنما مُنتهى الاسم الوصل ، فهذا لا يتغير عن حاله كما لم يتغير ضارب أبوه اسم امرأة عن حاله ،فلا يتغير الذى لمّا لم يتغير وصله. ولا يجوز لك أن تناديه كما لا يجوز لك أن تنادى الضارب أبوه إذا كان اسما ،لأنّه بمنزلة اسم واحد فيه الألف واللام "(٥) ووافق ابن مالك

---

(١) انظر التعويض وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبدالرحمن إسماعيل ١٣ ، ١٤ ، ١٠٣ فمابعدها ،ط / الأولى ١٤٠٣هـ.
(٢) الكتاب ٣ : ٣٣٣.
(٣) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٠٦.
(٤) انظر المقتضب ٤ : ٤١.
(٥) الكتاب ٣ : ٣٣٣ ،وانظر همع الهوامع ١ : ١٧٤/ شرح التصريح ٢ : ١٧٣.

المُبَرِّد في جواز نداء ماسُمي به من الموصول المبدوء بأل (١) واستشهد له بقول الشاعر :

مِن أجلكِ يا التي تيمّتِ قلبي

وأنتِ بخيلةٌ بالوُدِّ عنّي (٢)

٣ - اسم الجنس المشبه به : كأن يقال " يا الخليفة هيبة " و" يا الأسد شدة " استثناه محمد بن سعدان ووافقه ابن مالك ،لأن تقديره : يا مثل الأسد ويا مثل الخليفة فحسن لتقدير دخول (يا) على غير الألف واللام (٣) وقال الشاطبي تعليقا على قول ابن مالك : " وفيما قاله نظر إذ ليس تقدير مثل بمزيل القبح / وهو الجمع بين (يا) و (أل) وإلاّ لجاز : يا القريـة ،لأنه في تقدير : يا أهل القرية. وذلك لا يقول به ابن مالك وابن سعدان فدل على أنه غير صحيح " وقال الشيخ خالد الأزهرى " وعندى أن تقدير ابن مالك صحيح ومزيل للقبح بدليل قولهم : قضية ولا أبا حسن لها فإنّ تقديره : ولا مثل أبي حسن فلولا أن تقدير مثل مزيل لقبح دخول لا على المعرفة لما كان لهذا التقدير وجه وللزم عمل لا في المعرفة والشاطبي لا يقول بعمل لا في المعارف ". (٤)

---

(١) انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٠٨.

(٢) انظر المقتضب ٤ : ٢٤١/ شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٠٨/ الإنصاف ١ : ٣٣٦/ همع الهوامع ١ : ١٧٤ / شرح المفصل ٢ : ٨/ خزانة الأدب ت/ عبد السلام هارون ٢ : ٢٩٣.

(٣) همع الهوامع ١ : ١٧٤/ وانظر شرح الأشموني ٢ : ١٤٧/ التسهيل ١٨١/ أوضح المسالك ٤ : ٣٢ .

(٤) شرح التصريح ٢ : ١٧٣.

٤ - الضرورة الشعرية : كقول الشاعر :

عبّاسُ يا الملكُ المُتوَّج والـذى

عرفت له بيتَ العُلا عدنـان

وقوله :

فيا الغُلَامـان اللّذان فـرّا

إيّاكُما أنْ تُعقِبانا شَـرّاً

وفي هذا خلاف . فالبصريون وابن سعدان من الكوفيين على أنه ضرورة والكوفيون والبغداديون على جوازه.(١)

وابن مالك على أنّ المُنادَى محذوف والتقدير في البيت :

فيا الغلامان ...

فيا أيها الغلامان.(٢)

---

(١) انظر الإنصاف ١ : ٣٣٥-٣٤٠ / شرح الأشموني ٣ : ١٤٦، ١٤٧ أوضح المسالك ٤ : ٣٢ / عدّة السالك ٤ : ٣٢، ٣٣ / شرح التصريح ٢ : ١٧٣ / المقتضب ٤ : ٢٤٣ / همع الهوامع ١/ ١٧٤/ شرح المفصل ٢ : ٩ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٦ / .

(٢) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٠٨ .

أنواع أساليب النّداء في لسان العرب

هذا الباب مما توسعت فيه العرب ، فتارة يذكرون المُنادى والحرف معا ، وهذا هو الأصل ، وعليه أغلب أبيات المفضليات ، حيث جاء على هذه الصورة خمساً وعشرين مرة علما مفرداً ، وخمساً وعشرين مرة مضافاً ، فمن شواهده مع الهمزة بغير ترخيم حال كونه مفرداً قول ثعلبة بن عمرو (١) :

أ أسماءُ لم تسألي عن أبيـك والقومُ قدْ كان فيهم خُطوب

وقيل : ومن شواهده مرخما قول الحادرة (٢) :

أسميَّ ويْحكِ هَلْ سَمِعتِ بغدرةٍ رُفِع اللواءُ لنا بها في مَجْمَعِ

وقول الحُصَين بن الحمام (٣) :

أثعلبَ لو كُنْتم مواليَ مثلها إذاً لَمَنَعْنا حوْضَكم أنْ يُهدَّمـا

ومن شواهدها مع (يا) بغير ترخيم ، قول تأبط شرا (٤) :

---

(١) المفضلية ٦١ : ١ .

(٢) المفضلية ٨ : ٩ .

(٣) المفضلية ١٢ : ١٧ وبقية الأبيات في المفضلية ١٥ : ١٢ / ٢٤ : ١٥ / ٥٦ : ١٥ ، ١٨ / المفضلية ٧٦ : ١١ / ٩٠ : ١٠ / ٩١ : ١٣ / ١١٦ : ١ ولم تذكر هذه الأبيات لسبق ورودها في أنواع المنادى . ص ١٣٧ .

(٤) المفضلية ١ : ١ وبقية الأبيات في المفضلية ١٤ : ١ / ٣١ : ١٩ ، ٣٥ / ٧٢ : ١ / ٨٢ : ٥ / ٨٧ : ٤ / ولم تذكر كسابقتها .

يا عبدُ مالك مِنْ شوقٍ وإيراقِ

ومَرِّ طيفٍ على الأهوالِ طرَّاقِ

ومن شواهده مرخما مع (يا) قول مُتَمِم بن نُوَيْرَة : (١)

جُذِّي حِبالَكِ يا زُنيبَ فإنَّني

قَدْ أستبِدُّ بوصلِ مَنْ هُوَ أقطَعُ

ومن شواهده مضافا مع (يا) قول الحُصَين بن الحمام : (٢)

وقُلتُ لهم يا آلَ ذُبيانَ مالَكُم

تَفَاقدتُم لا تَقْدمون مُقدَّما

وقول مُزرد بن ضرار : (٣)

فيا آلَ ثوبٍ إنَّما ذَوْدُ خالِدٍ

كنارِ اللَّظَى ، لا خيْرَ في ذودِ خالِدِ

ومن شواهده مع الهمزة قول عبدة بن الطبيب : (٤)

أبَنِيَّ إنّي قَدْ كَبِرتُ ورابني

بَصَرِي ، وفيَّ لمُصلِح مُسْتَمتَعُ

---

(١) المفضلية ٩ : ٣ / وبقية الأبيات في المفضلية ٥ : ١٥ / ١٥ : ٣٥ ، ٥١ : ٥ / ٥٦ : ١٤ / ١٠٧ : ٧ / ١٠٩ : ١٢ ولم تذكر لورودها فيما سبق مع أنواع المنادى .

(٢) المفضلية ١٢ : ٢٥ .

(٣) المفضلية ١٥ : ٢٤ / وبقية الأبيات في المفضلية ١٦ : ٤ / ٢٢ : ١ شرح التبريزى للمفضليات ١ : ٤٤٥ / ٢٣ : ٤ / ٤٢ : ٢ / ٥٧ : ٦ ، ٢٢ / ٦٤ : ١ / ٨٥ : ١ / ٩٠ / ١١ / ١٠٩ : ١ ، ٢ / ١٢٨ : ١ / ٢٠ : ٥ / ٢٩ : ١٧ / شرح المفضليات للتبريزى ٢ : ٥٨٣ / ٤٥ : ١ ٨٢ : ١ / ٩٠ : ١ / .

(٤) المفضلية ٢٧ : ١ .

وقول عبد يغوث بن وقاص:(١)

أقولُ وَقَدْ شَـدُّوا لِسَاني بنسْعَـةٍ
أمعشـرَ تيمٍ أطْلِقوا عن لِسانيـا
أمعشرَ تيمٍ قد ملكْتُم فأَسْجِحـوا
فإنَّ أخاكُـم لم يكُـن مِنْ بوائِيـا

هذا هو الأصل، وقد يعدلون عنه تخفيفا لكثرته في الكلام، وإذا كثر الشيء في لسانهم عمدوا إلى تخفيفه بحذف بعض أجزائه، وكان موضع تغير، ألا ترى قول سيبويه " وغيّروا هذا لأنَّ الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله. ألا ترى أنك تقول: لم أكُ ولا تقول لم أقَ إذا أردت أقل. وتقول: لا أدرِ كما تقول: هذا قاضٍ، وتقول لم أُبَل ولا تقول: لم أُرَمْ تريد لم أرام. فالعرب مما يغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره ".(٢)

فأحيانا تحذف العرب الأداة في هذا الباب ويبقى المنادى دليلا عليه، وجاء المنادى محذوف الأداة في إحدى وعشرين موضعا، وشواهده في المفضليات قول الحادرة:(٣)

فسُمَيَّ ما يُدريكِ أنْ ربَّ فتيـةٍ
باكرتُ لذَّتهم بأدكنَ مُتْـرَعِ

أي: يا سميّ.

---

(١) المفضلية ٣٠: ٨، ٩ / وبقية الأبيات في المفضلية ٣٣: ١/ ٨٨: ٧/ ١٠٢: ١ وسبق ذكرها مع أنواع المنادى. ص ١٣٩.
(٢) الكتاب ٢: ١٩٦.
(٣) المفضلية ٨: ١٦.

وقول معاوية بن مالك :(١)

وإذا نُوافِقُ جُرأةٌ أونجـدة

كُنَّا سُمَيَّ بها العدوَّ فكيـدُ

أي : كُنَّا يا سُمَيَّ .

وقول الحُصين بن الحُمام :(٢)

ولولا رجالٌ من رزامٍ بن مـازنٍ

وآل سُبيعٍ أوأسوءَك علقمـا

أي :ياعلقما .

وقول مُزَرّد بن ضرار :(٣)

فقلتُ ،ولم أملك رزامَ بن مـازنٍ

إلى ابـقٍ فيها حياءُ الخرائـدِ

أى : يا رزام .

---

(١) المفضلية ١٠٤ : ٨.

(٢) المفضلية ١٢ : ١٨.

(٣) المفضلية ١٥ : ١٣ ،وبقية الأبيات في قول عبدالله بن سلمة ١٨ : ٥ .

على ما أنهـا هَزِئت وقَالَـتْ

هنونَ أجُنَّ ؟ منشأَ ذا قريبُ

أي : يا هنون . وقول يزيد بن الخَذّاق ٧٨ : ٣

نعمانَ إنَّك خائنٌ خَـدِعٌ

يُخفِي ضميرُك غير ما تُبـدى

أي : يا نعمان . وقول بشر بن أبي خازم ٩٧ : ١٣.

===

وقد استثنى النحاة بناء على تتبعهم كلام العرب حذف حرف النداء من المسائل الآتية ،فلا يحذفون الأداة معها ، فما ورد من ذلك يكون على سبيل الشذوذ :

=== فبات يقولُ أصبحْ ليلُ ،حتى
تجلَّى عن صريمتهِ الظَّلامُ

أي : يا ليل ،وقوله ١١٣ : ١
تذكرتَ ،والذكرى تهيجُكَ زينبَا
وأصبحَ باقي وصلِها قدْ تَقَضَّبَا

أي : يا زينبا ،وقول عوف بن عطية ١٢٤ : ٣٢
فكادت فزارةُ تَصْلَى بنا
فأولى فزارةُ أولى فزارا

أي : أولى يا فزارة ،وقول مزرد بن ضرار ١٥ : ٦
وقالت ألا تَشْوِى فتقضي لُبانةً
أبا حسنٍ فينا وتأتي مواعدي

أي : يا أبا حسن ،وقول عبد يغوث بن وقّاص ٣٠ : ١
أحقاً عبادَ اللّه أنْ لستُ سامعاً
نشيدَ الرِّعاء المعزبينَ المتاليا

أي : يا عباد الله ،وقول المُرقّش الأصغر ٥٦ : ٧ .
تبصّر خليلي هل تَرَى من ظعائنٍ
خرَجْنَ سِراعا واقْتَعدْنَ المفائما

أي : يا خليلي ، وقول يزيد بن الخذّاق ٧٩ : ٩
أقيموا بني النُعمانَ عنّا صُدوركُم
وإلاّ تُقيموا كارهينَ الرؤوسَا

أي : يا بني النعمان ،وقوله ٧٩ : ١١
ألا ابنَ المُعلىَ خِلْتنا وحسِبْتَنا
صراريَّ نُعطي الماكِسين مُكوسَا

===

١ - المضمر . كما في قول الشاعر :

يا مُرَّ يا ابنَ واقِعٍ يا أنتَ
أنتَ الذي طلقتَ عامَ جعتَ

=== أي : يا ابن المعلى ، وقول راشد بن شهاب ٨٦ : ٤

فمهلاً أبا الخنساءَ لا تَشْتُمنَّني
فتقرعَ بعدَ اليومِ سنَّك من ندم

أي : يا أبا الخنساء ، وقول الحارث بن ظالم ٨٨ : ٣

حسبتَ أبا قابوس أنَّكَ سالمٌ
ولما تُصِبْ ذُلاً ، وأنفُك رَاغِمُ

أي : يا أبا قابوس ، وقول عامر بن الطفيل :

قالوا لها : فلقدْ طَرَدْنا خَيْلَهُ
قُلحَ الكلابِ ، وكنْتَ غيرَ مُطَرَّدِ

أي : يا قلح الكلاب ، وقول المُرَقّش الأصغر المفضلية ٥٦ : ١ ، ١٦ ، ١٧ :

ألا يا اسلمي لا صُرمَ لي اليومَ فاطما
ولا أبداً ما دام وصلُك دائما

أراد : يا فاطما .

ألاَ يا اسلمي بالكوكبِ الطلق فاطِما
وإنْ لم يكُن صرفُ النوى مُتلائِما

ألاَ يا اسلَمي ثُمَّ اعلمي أنّ حاجتي
اليكِ ، فردّي من نوالِك فاطِمُا

أراد : يا فاطما . وقول عبد المسيح بن عسله ٨٣ : ١

ألاَ يا اسلَمي على الحوادثِ فاطِما
فإنْ تَسْألِيني تَسْألِي عالِما

أراد : يا فاطما .

والسبب في منع الحذف معه هو الخلاف في جواز النداء معه.

٢ - المستغاث : يمنع الحذف في باب الاستغاثة ،لاحتياج المستغيث إلى رفع الصوت لشدة اللغت والتنبيه.

٣ - المندوب : للمبالغة في إظهار الحزن والترنم ،والانتقال من النّداء الحقيقي إلى المجازى ،لامتناع إجابة المندوب للنداء .

٤ - لفظ الجلالة : حيث يُمنع الحذف معه ويُترك التعويض ، لوجود (أل) فيه ،فلو حُذف لالتبس فيه الأمر هل هو مُنادى أم لا ؟ ولكثرته في الكلام لم يُتوصل لندائه بأي أو باسم الإشارة كما هو معروف فيما كان فيه (أل) فكان حذف الحرف معه إجحافا لحذف الوصله.

٥ - البعيد لاحتياجه لإطالة الصوت ،والحذف ينافيه .

٦ - المتُعجب منه ،لاستدعائه إطالة الصوت ،ولكونه منادى على سبيل المجاز .

٧ - اسم الإشارة ،وفيه خلاف. فالبصريون على المنع ،للإبهام ، ولكونه موضوعاً لما يشار إليه لغير المخاطب ،وكونه غير مخاطب في الإشارة ،ومخاطبا في النّداء وفيه تباعد . فاحتيج في النّداء إلى علامة تجعله مخاطبا ومن هنا كان لا بد من الحرف .

والكوفيون على جوازه اعتماداً على قوله تعالى * ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ * .(١)

---

(١) سورة البقرة آية ٨٥.

وقول ذي الرُّمة :

إذا هَمَلَتْ عينيَّ لها قال صاحِبي

بمثلك هذا لوعةٌ وغرامْ

وقول الآخر :

ذا ارعواءً ،فليسَ بعد اشْتعال الر

أسِ شيباً إلى الصبا من سبيلِ

والتقدير : : ثم أنتم يا هؤلاء ، وبمثلك يا هذا ، ويا ذا ارعواء.(١)

وصَّحه ابن مالك ،وذكر له شاهدا آخر ،وهو قول الشاعر :

إنَّ الأولى وُصِفُوا قَوْمِي لهم فَبِهِم

هذا اعتصِمْ تلق مَنْ عاداكَ مخذولا(٢)

أي : يا هذا ،أما قوله تعالى * ثُمَّ أنتم هؤلاء * فقد قيل فيه :

" (قال ابن عطية) وقال الأستاذ الأجل أبو الحسن (٣) بن أحمد

شيخنا : هؤلاء : رفع بالابتداء وأنتم: خبر مقدم ..."(٤)

---

(١) انظر هذه المسائل في الكتاب ٢ : ٢٢٠ ، ١٩٥ .
شرح الكافية للرضي ١ : ١٦٠ / همع الهوامع ١ : ١٧٣ ، ١٧٤ /
المقتضب ٤ : ٢٥٨-٢٦٠ /شرح الأشموني ٢ : ١٣٦-١٣٨ /شرح
المفصل ٢ : ١٦ / شرح التصريح ٢ : ١٦٥ / الدرر اللوامع
١ : ١٥٠ / شرح الكافية الشافية ٣ : ١٢٩١ ، ١٢٩٢ / الإنصاف
١ : ٣٣٥ -٣٣٩ .

(٢) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٢٩١ ، ١٢٩٢ .

(٣) وهو المعروف بابن الباذش البحر المحيط ١ : ٢٩٠ .

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ : ٢٢٧ ، ٢٣١ .

وهذا وجه ضعيف ،ولم يمش على منهج العربية ،حيث أن المبتدأ يُشترط فيه أن يكون أعرف من الخبر ، والضمير أعرف من اسم الإشارة . قال ابن مالك :

والأصلُ في الأخبار أن تؤخرا
وجوزوا التقديم إذ لا ضرر
فامنعه حين يستوى الجزءان
عرفاً ، ونكرا ، عادمي بيان (١)

فامتنع التقديم عند استواء الجزئين تعريفا وتنكيرا ،فمن باب أولى أن يمتنع تقديم الخبر مع دونه.

٨ - اسم الجنس . وفي حذف الحرف معه خلاف . فالبصريون على منعه ،وذلك لاعتبار حرف النّداء معه حرف تعريف ،فلو حذف لظُن فيه البقاء على التنكير والكوفيون على جوازه قياسا مطردا ،لوروده في قول النبي صلى الله عليه وسلم (ثوبي حجر) وذكر السيوطي أنّه لم يثبت كونه بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ،وفي قوله عليه السلام (اشتدى أزمة تنفرجي) وقول العرب (أطرق كرا) ، و (افتد مخنوق) و (أصبح ليل) ويجريان مَجرى الأمثال . ووافقهم ابن مالك في ذلك. (٢)

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ :٢٢٧ ،٢٣١ .

(٢) انظر شرح الكافية الشافية ٣ :١٢٩٠ ، ١٢٩١ / همع الهوامع ١ :١٧٤ / التصريح ٢ :١٦٥ / حاشية الخضرى ٢ :٧٢ / من وظائف الصوت اللغوى للدكتور أحمد كشك ١٠٣ / شرح الأشموني ٢ :١٣٧ / الكتاب ٢ :٢٣١ / اللُّمع ١٧١ / أوضح المسالك ٤ :١٧ الأشباه والنظائر ٢ :١٣٢ ،١٣٣ / مغني اللبيب ٢ :٦٤١ /حاشية الدسوقي ٢ :٢٦٩ .

وشاهده في المفضليات قول بشر بن أبي خازم :(١)

وبـاتَ يقولُ أصبح ليلُ حتـى

تجلّى عنْ صريمتِه الظـلامُ

ومن حذف حرف النِّداء قول بعض العرب (أعذِر عجبُ) أراد :
يا عجبُ .(٢) (أطرق كراإنَّ النعامةَ في القرى) أى : أطرق ياكرا .
وقولهم (افتد مخنوق) أي : يا مخنوق .(٣)

وقول الخُنيفس بن خشرم الشيباني بعد أن قتل أُبيد بن المُعَشر
الضبي الذي علّق امرأته في غيبته . قال :

وإنّك قد لَهوتَ بجارتَيْنـا

فهـاتَ أُبيدُ لا قـال القريـنُ

ستعلمُ أيّنا أحمـى ذِمـاراً

إذا قصرتْ شمالُك واليميـنُ

لهوتُ بهـا فقد بُدِّلتَ قبـراً

ونائحةً عليك لـهـا رنيـنُ

أراد : فهاك يا أُبيدُ بالترخيم.(٤)

ومن ذلك قول العرب (أعورُ عينَك والحجرَ ، أي : يا أعورُ احفظ عينك
واحذر الحجر أو راقب الحجر.(٥)

---

(١) المفضلية ٩٧ : ١٣ .
(٢) مجمع الأمثال ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ١ : ٤٣٤ .
(٣) مجمع الأمثال ٢ : ٢٢ .
(٤) مجمع الأمثال : ٤٣٠ ، ٤٣١ .
(٥) مجمع الأمثال ١ : ٤١٤ .

فجائز

أمّا الحذف فيما عدا ذلك/، وعليه قوله تعالى * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا *(١) أي : يا يوسف . وقوله تعالى * أَنْ أَدّوا إليّ عبادَ اللّه *(٢) والتقدير : يا عبادَ اللّه .

وقوله تعالى * رَبَّنا إِنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِي وما نُعْلِن *(٣) أي : يا ربنا .

وإذا حُذِف حرفُ النّداء فالجمهور على أنه لا يكون إلاّ (يا) .

---

(١) سورة يوسف آية ٢٩ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٣٣ .
(٣) سورة آل عمران آية ٢٦ .

حذف المُنَـــادَى

ومن ضروب الحذف في باب النِّداء حذف المنادى وبقـــاء الأداة دليل عليه ، ومنه في القرآن الكريم ﴿ أَلَا يا اسجُدوا لِلّه ﴾ (١) على قراءة الكسائي (٢) أما شواهده في المفضليات فجاءت على أنواع :

أ - ما دخلت فيه (يا) على الأفعال ،وله شواهد خمسة وهـــي قول المُرَقِّش الأصغر : (٣)

أَلَا يا اسْلَمِي لا صُرْمَ لي اليومَ فاطِمَـا
ولا أَبداً ما دَامَ وَصْلُكِ دائِمـــا
أَلَا يا اسْلَمِي بالكَوَاكِبِ الطُّلْقِ فاطِما
وإنْ لم يَكُنْ صَرْفُ النَّوى مُتلَائِمــا
أَلا يا اسْلَمِي ثمَّ اعْلَمِي أنَّ حاجتي
إليكِ ، فَرُدِّي من نَوَالِكِ فاطِمَــا

وقول عبد المسيح بن عسله : (٤)

أَلا يا اسْلَمِي على الحَوادِثِ فَاطِمَا
فإنْ تَسْأَلِيني تَسْأَلِي بِيَ عالِمَـــا
فأنَا أَخُو قُرْطٍ ولَسْتُ بِسَاخِـــرٍ
فَقُولَا لهُ يَا اسْلَمْ بِمَبَرَّة سالِمَـــا

---

(١) سورة النمل آية ٢٥.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢ :٣٣٧.

(٣) المفضلية ٥٦ : ١، ١٦، ١٧.

(٤) المفضلية ٨٣ : ١، ٦.

في الأبيات المتقدمة دخلت (يا) على فعل الأمر.

ب : ما دخلت فيه (يا) على أسماء الاستفهام، وشاهده قول ذي الإِصْبَع العُدواني : (١)

يا مَنْ لقلبٍ شديدِ الهَمِّ محزونِ
أمسى تذكَّرَ ريّا أمَّ هارونِ

جـ : ما دخلت فيه (يا) على لهف وويح، وشواهده في المفضليات في قول تأبط شرا : (٢)

ولا أقولُ إذا ما خلةٌ صَرَمَتْ
يا ويْحَ نفسي مِنْ شوقٍ وإشفاقِ

وقول مُتَمِم بن نُوَيْرَة : (٣)

يا لهفَ من عرفاءَ ذاتِ فليلةٍ
جاءت إليَّ على ثلاثٍ تَخْمَعُ

وقول مُزرد بن ضرار : (٤)

فيا لَهفي أن لا تكونَ تعلَّقَتْ
بأسبابِ حَبْلٍ لابن دارةَ ماجِدِ

وقول مُرَّة بن همَّام : (٥)

---

(١) المفضلية ٣١ : ١ .

(٢) المفضلية ١ : ٩.

(٣) المفضلية ٩ : ٣١.

(٤) المفضلية ١٥ : ٢٨.

(٥) المفضلية ٨٢ : ٩.

لِلّه عوفُ لا بسـاً أثوابـــــه

يا لهفَ نَفْسي قِرنَ ما أن يُغْلَبـــا

د : ما دخلت فيه (يا) على الحرف ، وهو إمّا (رُبَّ) وجاء أربع مرات في قول ذي الأصبع العدواني :(٢)

يا رُبَّ ثـوبٍ حواشـيه كأوسطِهِ

لا عيبَ في الثـوبِ مِنْ حُسْنٍ ومن لين

وقوله :(٢)

يا ربَّ حيٍّ شديدِ الشغبِ ذي لجب

دعوتهم راهنٌ منهم ومرهـــونُ

وقول المُرَقِّش الأكبر :(٣)

فيا رب شلوٍ تَخْطر فَتَـــه

كريـمٍ لدى مَزْحَفٍ أو مَكَـــرِّ

وقول ربيعة بن مقروم :(٤)

فيا رب خَصمٍ قد كفيتُ دفاعــه

وقوّمت منه دِرأهُ فَتَنَكَّبـــا

أو على ليت ، وشاهده قول أفنون التغلبي :(٥)

فَلاَ خيْرَ فيما يكذبُ المرءُ نَفْسَــهُ

وتقوالِهِ للشيءِ : يا ليْتَ ذا لِيـــا

---

(١) المفضلية ٣١ : ٢٠٣٠ .

(٢) ٣٠ : ٣٥ ذكره التبريزى في شرح المفضليات ٢ : ٦٠٥ .

(٣) المفضلية ٥٢ : ٦ .

(٤) المفضلية ١١٣ : ٥ .

(٥) المفضلية ٦٥ : ٢ .

والخلاف هنا بين النحاة في (يا) هل هي للنداء والمنادى محذوف ، أو للتنبيه ؟

قال سيبويه : " وأمّا (يا) فتنبيه ألا تراها في النّداء في الأمر كأنك تنبه المأمور ،قال الشاعر ،وهو الشمّاخ :

ألا يا اسقياني قبلَ غارة سنجالِ
وقبل منايا قد حضرن وآجالِ " (١)

وقال الفرّاء : " وقوله (ألا يسجدوا لله) تُقرأ (ألا يَسْجدوا) ويكون (يسجدوا) في موضع نصب ،كذلك قرأه حمزة ،وقرأها أبو عبد الرحمن السُلَمي والحسن وحُمَيْد الأعرج مخففة (ألا يسجدوا) على معنى ألا يا هؤلاء اسجدوا فيُضمر هؤلاء ،ويكتفي فيها بقوله (يا) قال : وسمعت بعض العرب يقول : ألا يا ارحمانا ،ألا يا تصدقا علينا . قال يعنيني وزميلي . وقال الشاعر - وهو الأخطل :

ألا يا اسلمي يا هندُ هِندَ بني بدر
وإن كان حيّانا عِدى آخِر الدّهر " (٢)

قال ابن السرّاج " وقد تحذف العرب المُنادى المستغاث مع (يا) لأنّ الكلام يدل عليه ، وقال أبو عمرو قولهم " يا ويل لك " يا ويح لك " كأنّه نبّه إنسانا ثم جعل الويل له. (٣)

---

(١) الكتاب ٤ : ٢٢٤ وانظر ٢٢٠.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢ : ٢٩٠.

(٣) الأصول في النحو ١ : ٣٥٤.

وقال ابن جني في قوله تعالى * أَلَا يا اسْجُدوا * وقول غيلان :

* ألا يا اسلمى يا دارَميّ على البلى *

وقوله :

* يا دار هندٍ يا اسلمى ثم اسلمي *

إنّ (يا) فيها جُرِّدت من معنى النِّداء وخَلُصت تنبيها.(١)

وقال ابن عصفور في قول الشاعر :

يا لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلهم

والصالحين على سمعانَ مِنْ جارِ

" لو كانت لعنة الله مُنادى لكانت مفتوحة ، لأنها مضافة ".(٢)

وابن هشام على أنّ (يا) قبل الفعل والحرف والجملة الاسمية للنداء والمنادى محذوف . وقيل تنبيه لئلا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلها.(٣)

وقال ابن فارس " ويا للتلهف والتأسي نحو قوله جل ثناؤه : * يَا حَسْرَةً عَلَى العباد *(٤) وتكون تنبيها كقوله :

يا شاعراً لا شاعرَ اليوم مثلَه

جرير ولكن في كليب تواضع

وعلى هذا يتأول قوله جل ثناؤه (أَلَا يا اسجدو).

---

(١) الخصائص ٢ : ٢٧٨.

(٢) شرح الجمل ٢ : ١١١.

(٣) مغني اللبيب ٢ : ٣٧٣ ، ٣٧٤.

(٤) سورة يس آية ٣٠ .

و " يا " تكون للتلذذ نحو قوله : " يَا بَرْدَها عَلى الفُؤادِ ".[1] (٢)

وذكر في موضع آخر قوله تعالى * أَلَا يَا اسْجُدُوا * وقول الشاعر :

* ألا يا أسلمي يا دارَ ميَّ على البِلى *

مشيراً إلى أنَّ المُنادى محذوف .(٣)

والزَّجاج على جواز الحذف في مثل قوله تعالى * يَا لَيْتَنَا نُرَدّ *(٤) و * يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُون *(٥) وقوله عز وجل * أَلَا يَا اسْجُدوا *.

وذهب أبو علي إلى أنّ (يا) هنا أخلصت للتنبيه ، وأن الجملة كأنها المنادى في الحقيقة ، وقال : فقد يجوز ألا يريد منادى في نحو قوله (أَلَا يسجدوا) كما يريد المنادى في :

يا لعنةَ اللّهِ والأقوام كلهم .... (٦)

وقال التبريزى في بيت تأبط شرا :

.... يا ويحَ نَفْسِي من شوقٍ وإشفاقِ

---

(١) وإن كان هذا مما ليس نحن بصدده فالمُنادى مذكور وهو مضاف .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) انظر الصاحبي في فقه اللغة ٢٣١ ، ٢٣٢ . لابن فارس / ت : مصطفى الشويمي - مؤسسة بدران بيروت لبنان .

(٤) سورة الأنعام آية ٢٧ .

(٥) سورة يس آية ٢٦ .

(٦) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢ : ٦٥٠ و ٦٥١ .

" المنادى محذوف في قوله " يا ويح " كأنه قال : يا قوم ، ويح نفسي ،وانتصب ويح بفعل مضمر ، كأنّه قال يا قوم ،ألزمني اللّهُ ويحاً لما يعروني من الشوق والإشفاق . ولا يمتنع أن يكون دعا الويح نفسه كقوله تعالى ﴿ لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوْرَاً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبوراً كَثِيرا ﴾[1] "[2]

وقال في بيت مُرَّة بن هَمّام :

.... يا ويح نَفْسي قِرنَ ما أن يُغْلبـَا

" يجوز أن يكون نادى نفس اللهف ،ويجوز أن يكون المنادى محذوفا "[3].

والزمخشري[4] ،وابن يعَيْش على أنّ المنادى محذوف.[5]

قال القُرطبي " وقرأ الأزهرى والكسائي وغيرهما " ألا يااسجدوا لله " بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا ،لأنْ " يا " يُنادى بها الأسماء دون الأفعال ...

وحكى بعضهم سماعا عن العرب : ألا يا ارحموا ،ألا يا اصدّقوا ، يريدون : ألا يا قوم ارحموا اصدقوا ، فعلى هذه القراءة اسجدوا في موضع جزم بالأمر والوقف على (ألا يا) ثم تبتدىء فتقول : " اسجدوا " قال الكسائي : ما كنت أسمع الأشياخ يقرؤنها إلّابالتخفيف على نية الأمر ...

---

(١) سورة الفرقان آية ١٤.

(٢) شرح المفضليات للتبريزى ١:٢٨ ،٢٩.

(٣) شرح المفضليات للتبريزى ٢:٩ ٦ ٠ ١.

(٤) المفصل ٤٨.

(٥) شرح المفصل ٢ : ٢٤.

وقال الجرجاني : هو كلام معترض من الهدهد أو سليمان أو من الله : أي : ألا ليسجدوا ، . . . ، أى ليس ها هنا نداء " .(١)

وقال ابن منظور " ويُقال نادى لهفه إذا قال : يا لهفي ".(٢)

مما تقدم نجد أنّ النحاة كانوا على مذاهب ثلاثة في (يا) التي تقدمت ،

الأول : من يجعل (يا) نداء والمُنادى محذوفاً .

والثاني : من يجعلها تنبيها .

الثالث : وهو ما قاله ابن فارس من أنها للتلذذ .

وبعد ،فهذه خلاصة لابن مالك في (يا) حين تخرج في الظاهر عن اختصاصها من الدخول على الأسماء ،وذلك كما في قول ورقة بن نوفل : يا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أومخُرجي هم ؟).(٣)

قال ابن مالك : " قلتُ يظن أكثر الناس أن (يا) التي تليها ليست حرف نداء والمُنادى محذوف فتقدير قول ورقة على هذا : يامحُمد ليتني كنت حيا .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣ : ١٨٦، ١٨٧ .

(٢) لسان العرب ٩ : ٣٢٢ مادة (لهف) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيح مسلم بشرح النووى ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٠ هـ/ كتاب بدء الوحي ٢ : ٢٠٣/ ٢٠٤ .

وتقدير قوله تعالى * يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ * (١) يا قومي ليتني كنت معهم . وهذا الرأى عندي ضعيف لأنَّ قائلا (يا ليتني) قد يكون وحده فلا يكون معه منادى ثابت ولا محذوف كقول مريم عليها السلام * يَا لَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَذَا * (٢) ،ولأنّ الشيء إنما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضع الذي ادعى فيه حذفه مستعملا فيه ثبوته كحذف المُنادى قبل أمر أو دعاء فإنه يجوز حذفه لكثرة ثبوته فإنّ الآمر والداعي يحتاجان إلى توكيد اسم المأمور والمدعو بتقديمه على الأمر والدعاء ،واستُعمل ذلك كثيرا حتى صار موضعه منبها عليه إذا حُذف فَحَسُن حذفه لذلك.

فمن ثبوته قبل الأمر : * يا آدمُ اسكُنْ أنت وزوجُكَ الجَنّة * (٣)، * يَا بَنِي إِسْرَائِيل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ * (٤) و * يَا بَنِيْ آدمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ * (٥) و * يا إبراهيمُ أَعرِضْ عَنْ هذا * (٦) و * يَا يَحْيَى خُذْ الكتابَ بقوة * (٧) و * يا بُنَيَّ أَقِمِ الصلاةَ * (٨) و * يا أيُّها النبي اتقِ اللّه * (٩) .

---

(١) سورة النساء آية ٧٣ .
(٢) سورة مريم آية ٢٣ .
(٣) سورة البقرة آية ٣٥ .
(٤) سورة البقرة آية ٤٠ .
(٥) سورة الأعراف آية ٣٠ .
(٦) سورة هود آية ٧٦ .
(٧) سورة مريم آية ١٢ .
(٨) سورة لقمان آية ١٧ .
(٩) سورة الأحزاب آية ١ .

ومن ثبوته قبل الدعاء ﴿ يَا مُوسَى ادْعُو لَنَا رَبَّكَ ﴾ (١) ،
﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (٢) ، ﴿ يا مالكُ ليقضِ علينا ربُّكَ ﴾ (٣) ،
ومنه قول الراجز :

يَا رَبِّ هبْ لي من لدنك مَغْفِرة

تمحو الخطايا وأَلْقَى المعـذرة

ومن حذف المنادى المأمور قوله تعالى في قراءة الكسائي ﴿ أَلَا يسجدوا ﴾
أراد : ألا يا هؤلاء اسجدوا ، ومثال ذلك في الدعاء قول الشاعر :

ألا يا اسلمي يا دارَ ميَّ على البِلى

ولا زال مُنْهَلاً بجرعائِك القَطْرُ

فحسن حذف المنادى قبل الأمر والدعاء اعتياد ثبوته في محل اعتياد
الحذف بخلاف (ليت) فإنَّ المُنادى لم تستعمله العرب قبلها ثابتا ،
فادعاء حذفه باطل لخلوه من دليل فتعيَّن كون (يا) التي قبلها
لمجرد التنبيه كما في نحو قول الشاعر :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هل أبيتنَّ ليلةً

بوادٍ وحولي إذْخِرٌ وجليلُ

ومثل (ها) في قوله تعالى ﴿ هَا أَنْتُم أُولَاءِ تُحِبُّونَهُم وَلَا يُحِبُّونَكُم ﴾ (٤)
وفي قول السائل عن أوقات الصلاة (ها أنذا يا رسولَ الله) وقد يُجْمَع
بين ألا ويا توكيدا للتنبيه كما جُمع بين كي واللام ومعناهما واحد في قول
الشاعر :

---

(١) سورة الأعراف آية ١٣٤ .

(٢) سورة يوسف آية ٩٧ .

(٣) سورة الزخرف آية ٧٧ .

(٤) سورة آل عمران آية ١١٩ .

أردتَ لكيما أن تطيرَ بقربتي

فتتركها شناً ببيداءَ بَلْقَعِ

فكي هنا إنْ جُعلت جارة فقد جمع بينها وبين اللام مع توافقهما وهو الأظهر ،وإن جُعِلت الناصبة بنفسها فقد جمع بينها وبين (أنْ) مع توافقهما عملا ومعنى ... ومثل (يا) الواقعة قبل ليت في تجردها للتنبيه (يا) الواقعة قبل حبذا في قول الشاعر :

يا حبّذا جبلُ الرّيّان من جبلٍ

وحبّذا ساكنُ الرّيّان مَنْ كانَ

وقبل (ربّ) في قول الراجز :

يا رُبّ سارٍ باتَ ما توَسّدَا

إلاّ ذِراعَ العيسِ أو كفِ اليدَا" (١)

ومن حذف المنادى قول العرب (يا ليتني المحعْيِ عليه) وقولهم (يا ربّ هيجاء هي خيرمن دعه) (٢) وقول العرب (يا ربما خان النصيحُ المؤتمن) (٣) وقولهم (يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة) وقولهم (ياحبذا التراث لولا الذلة) (٤).

---

(١) انظر شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ٤-٩ مطبعة دار العروبة القاهرة / تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ،وانظر شفاء العليل ٢ : ٨٠٣ .

(٢) مجمع الأمثال ٢ : ٣٤٢.

(٣) مجمع الأمثال ٢ : ٣٣٨ .

(٤) مجمع الأمثال ٢ : ٣٣٩.

حذف المُنادى والحرف معا

مما تقدم نرى أن العرب تحذف الأداة ويبقى المنادى دليلا عليها ، وتحذف المُنادى وتبقى الأداة دليلا عليه ، وهذا مما كثر وشاع وله أساليبه ومواطنه التي سبق أن ذكرناها ، أمّا حذف المنادى وأداته فهذا من المعميات أو المقبورات التي تُعَدّ ضربا من الغيب ، هذا ولم يتوصل البحث إلى حذفهما معا إلاّ فيما حُمل على المعنى من نحو قول المُثَقّب العَبْدِي . (١)

فأنْعِم أبيتَ اللَّعنَ أنك أصْبَحت

لديك لُكيز كهلها ووليدها

" حكى ثعلب عن الفَرّاء : إنّ المشيخة كانوا يضيفونه إلى الغلط ، لأنه اذا أضافه خرج ذما ، فيقول (أبيت اللعن) شبهوه بالإضافة على الغلط . وقال : أراد (أبيت اللعن) أي : يا من هو بيت اللعن ". (٢)

وليس له نظير في كلام العرب مطردا ولا قليلا . وهو من النادر .

---

(١) المفضلية ٢٨ : ٢٧ .

(٢) شرح المفضليات لابن الأنباري ٣١١ .

الترخيـــــم

تعريف الترخيم :

الترخيم لغة ترقيق الصوت وتسهيله ، ومنه قول الشاعر :

لها بشرٌ مثلُ الحرير ، ومنطـــقٌ

رخيمُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَـزْرُ (١)

أمّا في الإصطلاح فهو " حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفا " (٢) وقيّده ابن السرّاج بالأعلام (٣) وابن جِنِّي بالأسماء المضمومة (٤) وقيل هـو حذف بعض الكلمة على وجه مخصوص. (٥)

والترخيمُ ضرب من ضروب الحذف في هذا الباب للتخفيف ، ويعد فيما سواه ضرورة ، وله أنواع ثلاثة : ترخيم التصغير ولا حاجة بنا إليـه هنا لأنه من باب الصرف ، وترخيم الضرورة ونشير إليه فيما بعد ، وترخيم النّداء وهو ما نحن بصدده .

شروط المرخم :

١ - أن يكون المرخم معرفة (٦) ، لعدم سماع ترخيم النكرة عـن العرب ، ولعدم تأثرها بالنّداء ، فما لها إعراب قبل النداء وبعده ،

---

(١) انظر اللسان ١٢ : ٣٤ مادة (رخم) / عدة السالك ٤ : ٥٥ / التصريح ٢ : ١٨٤ / حاشية الصّبّان ٣ : ١٧١ .

(٢) الكتاب ٢ : ٢٣٩ .

(٣) الأصول في النحو ١ : ٣٥٩ .

(٤) اللمع ١٧٦ .

(٥) التصريح ٢ : ١٨٤ .

(٦) التصريح ٢ / ١٨٤ ، السيرافي في هامش الكتاب ٢ : ٢٤٠ / التسهيل ١٨٨ / شرح الأشموني ٢ : ١٧٥ / أوضح المسالك ٤ : ٥٥ .

والترخيم تغير سهله النّداء .[١]

٢ - عدم الإضافة عند البصريين ، والكوفيون على جوازه ، ووافقهم ابن مالك[٢] ونسبه ابن يعيش للكسائي والفرّاء[٣] ودليل جوازه ورود في قول زهير :

خذوا حظّكم يا آلَ عكرمَ واحفظوا

أواصِرنا ، والرّحمُ بالغيب تُذْكَرُ

وقول الآخر :

أبا عروَ لا تَبْعُد فكلُّ ابن حرةٍ

سيدعوه داعِي ميتةٍ فيجيب

وعلة البصريين في المنع : عدم السماع ، وعدم التغير بالنّداء ، وزاد الرضي عدم امتزاج المضاف بالمضاف إليه امتزاجا تاما مما يبيح حذفه أو حذف آخره ، ولم ينفصل عنه انفصالا تاما بحيث يصح حذف آخر المضاف بالتنوين ، ودليل الأول إعراب المضاف ، ودليل الثاني حذف التنوين لأجل المضاف إليه ، فهو متصل بالمضاف إذا نظرنا إلى سقوط التنوين من المضاف ، منفصلا عنه لبقاء الإعراب على المضاف ، فامتنع ترخيم أحدهما .[٤]

---

(١) التصريح ٢ : ١٨٤ / السيرافي في هامش الكتاب ٢ : ٢٤٠ / التسهيل ١٨٨ / شرح الأشموني ٢ : ١٧٥ / أوضح المسالك ٤/ ٥٥ .

(٢) التسهيل ١٩٠ .

(٣) شرح المفصل ٢ : ٢٠ .

(٤) شرح الكافية للرضي ١ : ١٥٠ .

ويُحذف للمضاف التاء من آخر المضاف إليه ،كما في قول الشاعر :

أبا عُـرْوَ لا تبعد فكلُّ ابن حُرَّة .... (١)

وقول الآخر :

خُذُوا حظّكمْ يا آل عكـــرِمَ .... (٢)

والمضاف إليه بتمامه ،كما في قول الشاعر :

يا عبدَ هـل تذكُرُني ســاعــــةً

في موكبٍ أو رائداً للقنيـــصِ (٣)

أراد : يا عبد هند .

وتُحذف التاء من آخر المضاف ،كما في قول الشاعر :

يا عِلقَمَ الخيرِ قَدْ طَالَتْ إقامَتُنا .... (٤)

٣ - عدم التركيب الإسنادى ،لأنهما يحيكيان على حـــال إعرابهما قبل العلمية ،ومنعه سيبويه في موضع وأجازه في آخر ، قال في المنع " واعلم أنّ الحكاية لا تُرخم لأنك لا تريد أن ترخم غير مُنـــادى وليس مما يغيره النداء ".(٥)

---

(١) انظر شرح المفصل ٢ : ٢٠ / شرح التصريح ٢ : ١٨٤ / الإنصاف ١ : ٣٤٨/ خزانة الأدب ت/ عبدالسلام هارون ٢ : ٣٣٦.

(٢) انظر الكتاب ٢ : ٢٧١ همع الهوامع ١ : ١٨١ / خزانة الأدب ت / عبد السلام هارون ٢ : ٣٢٩/ شرح المفصل ١٢ : ٢٠ / شرح الأشموني ٢ : ٣٢٩.

(٣) شرح الأشموني ٢ : ١٧٩/ شرح التصريح ٢ : ١٨٤/ شواهد العيني ٤ : ٢٩٨، ٢٩٩ ط بولاق .

(٤) شرح الأشموني ٢ : ١٧٥ / شفاء العليل ٢ : ٨٣٣،وانظر منع ترخيم المضاف من الكتاب ٢ : ٢٤٠/أوضح المسالك ٤ : ٥٥/همع الهوامع ١ : ١٨١/ الإنصاف ١ : ٣٤٧-٣٥٦.

(٥) الكتاب ٢ : ٢٦٩.

وقال في الجواز : " ... وذلك قولك في تأبط شرا تأبطي .
ويدلك على ذلك أنّ من العرب من يغرد فيقول : يا تأبط أقبل ،فيجعل الأول مفردا . فكذلك تغرده في الإضافة "أي أنّه رخمه بحذف العجز وعامله معاملة المفردات . وتبعه ابن مالك في الجواز ،وإن كان بقلة ، وذلك قوله :

والعجز احذف من مُرَكّبٍ ،وَقَلّ
ترخيمُ جملةٍ ،وذا عمرو نقل (٢)

٤ - ألا يوقع الترخيم في لبس فلا ترخم " زيدون " لأنّ الحذف يساويه بالمفرد ،ولا " فتاه " لأنّ الترخيم يلبسه بالمذكر. (٣)

ولعل سيبويه لا يعقد بالإلباس حيث أجاز ترخيم مسلمون ، وذلك قوله " وكذلك ترخيم رجل يقال له مسلمون ،بحذف الواو والنون جميعا". (٤) شأنها شأن زيدون ،فلو رخم زيدون لقيل فيه (يا زيدُ) وكذلك مسلمون يقال فيها (يا مسلمُ) ولعل الإلباس يكون عند انعدام القرينة ،ومتى وجدت قرينة مقامية أو مقالية فلا مانع من الترخيم.

٥ - عدم البناء ، كحذامِ وخمسة عشر ،لعدم تأثير النّداء فيها . (٥)

---

(١) الكتاب ٣/٢٧٧.
(٢) انظر التسهيل ١٨٨/ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٢٩١
وانظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٥٢/ التسهيل ١٨٨ / .
(٣) حاشية الخضرى ٢ : ٨٦ / حاشية الصبان على الأشموني ٣ : ١٧٧.
وانظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٥٢.
(٤) الكتاب ٢ : ٢٥٩.
(٥) همع الهوامع ١ : ١٨٢.

٦ - ألا يكون من الأسماء الملازمة للنداء، لملازمتها للنداء، ولكونها على حرفين كفُل وفُله، ولجعله على وزن فعل و فعلان وهي من أوزان الخفة فلا تخفف.(١)

٧ - أن لا يكون مستغاث، لعدم ظهور أثر النداء في حالة الجر، ومنافاة الحذف للزيادة فيما كانت فيه الاستغاثة بزيادة الألف، وقول الشاعر :

كلما نادى منادٍ منهمُ

يا لتيم الله قلنا : يا لمالِ

أراد لمالك . يعد ضرورة .

وأجاز ابن خروف ترخيمه إذا لم يكن فيه اللام كقوله :

تمنَّاني ليلقاني لقيطٌ

أعامِ لك ابنَ صَعْصَعَةَ بنَ سَعْدِ

أراد : أعامر .

وابن الضائع على أنه ضرورة.(٢)

٨ - ألا يكون مندوبا، لأنّ الغالب فيه زيادة الألف لإظهار التوجع، وهذه الزيادة تنافي الحذف، ولأنه غير مُنادى على حقيقته.(٣)

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ٢٤٨/ حاشية يس على التصريح ٢ : ١٨٤/شرح الأشموني ٢ : ١٨٠.

(٢) انظر الكتاب ٢ : ٢٤٠، ٢٣٨/ شرح التصريح ٢ : ١٨٤ /حاشية ياسين على التصريح ٢ : ١٨٤ / شرح الأشموني ٢ : ١٨٠ .

(٣) انظر الكتاب ٢ : ٢٤٠ / شرح الأشموني٢: ١٨١ / وانظر هذه المسائل

===

فإن لم يكن المنادى أحد ما تقدم وكان مختوما بتاء تأنيث فالترخيم جائز فيه جوازا مطلقا (١) واشترط المبرّد كونه علما فلا ترخم النكرة المقصودة (٢) ، وأخرج ابن عصفور "صلمعة بن قلمعة" لأنه كناية عن المجهول الذي لا يُعرف . قال الشاعر :

أصلمعةُ بنَ قلمعة بن فقع
لهنّك لا أبا لك تَزْدَرِيني (٣)

فإنْ لم تكن فيه تاء التأنيث فلا يُرخم إلاّ إنْ كان علما ، فلا يُرخم اسم الجنس والإشارة والموصول ، وأجازه البعض قياسا على : أطرق كرا ، ويا صاح . والجمهور على أنه شاذ .

والشرط الثاني أن يكون زائدا على ثلاثة أحرف ، والكوفيون إلاّ الكسائي على جوازه متى كان الوسط محركا ، فيقال : يا حك في حكم ، ونقل ابن بابشاذ موافقة الأخفش للكوفيين (٤) .

= التي يمتنع معها الترخيم في الكتاب ٢ : ٢٤٠ ، ٢٧١ / أوضح المسالك ٤ : ٥٦ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٤٩ ، ١٥٠ / همع الهوامع ١ : ١٨١ ، ١٨٢ / شرح التصريح ٢ : ١٨٤ ، ١٨٥ حاشية يس على التصريح ٢ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

(١) الكتاب ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) المقتضب ٤ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٣) همع الهوامع ٢ : ١٨٢ .

(٤) انظر شرح الأشموني ٢ : ١٧٨ ، ١٧٩ / حاشية الصبان على الأشموني ٢ : ١٧٥ / شرح التصريح ٢ : ١٨٥ / الإنصاف ١ : ٣٥٦ - ٣٦٠ .

وقال ابن عصفور " فإنْ كان الثلاثيّ ساكن الوسط كهِنْد وعَمْرو لم يجز ترخيمه قولا واحدا ،أمّا عند أهل البصرة فلأنّ أقل ما يبقى عليه الاسم بعد الترخيم ثلاثة أحرف ،وأما عند أهل الكوفة فلئلا يبقى الاسم على حرفين ثانيهما ساكن فيشبه الأدوات نحو : من وعن .

قال أبوحيان : وليس كما ذكر بل الخلاف فيه موجود . حكى أبو البقاء العكبرى في كتاب التبيين أن بعض الكوفيين أجازوا ترخيمه ونقله ابن هشام الخضراوى عن الأخفش فقال ما نصه : أجاز الفرّاء وجماعة ترخيم الثلاثي المتحرك الوسط وأجاز أبو الحسن وحده ترخيم الساكن الوسط من الثلاثي ".(١)

واستثنى الجرمى من العلم الزائد على ثلاثة (طامر بن طامر) لكونه كنايه عمن لا يُعرف ولا يُعرف أبوه فمنع ترخيمه ،وأجيب بأنّهم رخموا فلانا وفلانة أعن الأعلام فرُخم كما رُخم العلم.(٢)

وامتنع ترخيم المثنى عند سيبويه لأنّ التثنية كالتنوين(٣) ومنع الكوفيون ترخيم ما سُمي به من مثنى وجمع تصحيح .(٤)

أمّا المركب المزجي ففيه خلاف .

---

(١) انظر شرح الجمل ٢ :١١٣-١١٥/ همع الهوامع ١ :١٨٢/حاشية الصبان على الأشموني ٣ :١٧٥.

(٢) همع الهوامع ١ :١٨٣.

(٣) الكتاب ٢ :٢٤١.

(٤) همع الهوامع ١ :١٨٣.

الجمهور على جوازه ، وأكثر الكوفيين على منع ترخيم ما آخره "ويه"
ومنع الفرّاء ترخيم مركب العدد إذا سُمي به .

والبصريون يرخمون المركب المزجي بحذف الثاني فيقال " ياحَضْرَ - وياخمسةَ ويا سيبَ " في حضرموت وخمسة عشر وسيبويه .

وابن كيسان على حذف حرف أو حرفين فقط ، فيقال : يا حضرمُ - ويا بعلبُ في حضرموت وبعلبك ، وذلك أدلّ عنده على المحذوف من حذف الثاني بأسره حيث يلتبس بالمفردات ، وأجيب بأنه يزول بالانتظار .

والفرّاء على حذف الهاء فقط ثم قلب الياء ألفا فيما آخره ويه.(١)

أما ما سُمي به من " اثنا عشر واثنتا عشر " فيُرخم بحذف العجز والألف ، فيقال " يا اثنَ ويا اثنةَ " في ترخيمهما .(٢)

ما يحذف للترخيم :

١ - يحذف من المرخم حرف واحد وهو الغالب ، ومنه قراءة ابن مسعود (وَنَادَوا يَا مَالُ) (٣) بحذف الكاف .

---

(١) وهذا عندي نظير طائي في طيشي بقلب الياء الساكنة المفتوح ما قبلها ألفا اكتفاء بأحد جزئي العلة .

(٢) انظر الكتاب ٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، همع الهوامع ١ : ١٨٣ / شرح التصريح ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٣) سورة الزخرف آية ٧٧ انظر شرح التصريح ٢ : ١٨٦ وانظر الكتاب ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٤ .

٢ - أو يُحذف منه حرفان ، قال سيبويه : " ومن حذف الزوائد مع الهاء فإنه ينبغي له أن يقول في فاطمة : يا فاطُ لا تفعلي ، من قبل أنّ الهاء لو لم تكن بعد الميم لقلت يا فاطِ كما تقول يا حارِ ، فأنت قد تحذف ما هو من نفس الحرف كما تحذف الزوائد .. "(١)

فالحذف جائز إن بقي الاسم على ثلاثة أحرف أو أكثر و منه قول الشاعر :

* أحارِ بن بدرٍ قَدْ وُلِّيتَ وِلاَيَةً *

أراد : حارثة .

وقول الآخر :

* يا أرطُ إنَّك فاعلٌ مَا قُلْتَـــه *

يريد : يا أرطأة ، وقوله :

* إنَّك يا مُعاوِيَا ابنَ الأفْضَل *

يريد : يا معاوية ويا ابن الأفضل . وهو قليل عند أبي حيان .

ومما يُحذف منه حرفان أيضا ما كان فيه قبل الآخر حرف لين ساكن ، زيد قبله أكثر من حرفين وحركه تجانسه سواء كان الآخر صحيحا أصليا أم زائدا أم حرف علة ، على أن لا يكون هاء تأنيث : فيقال : يا منصُ ويا مسكِ ويا مرْوَ ويا أسمُ ويا زيدُ ويا هندُ فيمن اسمه منصور و مسكين و مروان وأسماء وزيدان وزيدون و هندات .(٢)

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٤٥ .

(٢) انظر همع الهوامع ١ : ١٨٣ ؛ ١٨٤/ الدرر اللوامع ١ : ١٥٩/ شرح التصريح ٢ : ١٨٦ .

ولم يشترط الفرّاء كون ما قبل الآخر زائدا فأجاز : يا قِمَ في قمطر .(١)

والجرمي والفرّاء لا يشترطان المجانسه فيقال : يا فِرْعَ ويا غُرْنَ في فرعون وغرنيق وما قبل الواو والياء مفتوح .

ولم يشترط الأخفش زيادة حرف اللين فيقال يا مُخْتَ ويا مُنْقَ في مختار ومنقاد والألف في كل منهما أصلية .

وأجاز الفرّاء حذف حرفين مع بقاء الاسم على حرفين فيقال : يا سَعُ ويا عِمُ ويا ثمُ في سعيد وعماد وثمود على اللغتين في سعيد وعماد وعلى لغة من لا ينتظر في ثمود .(٢)

ومنه أيضا ما سمي به من جمع المذكر السالم كما في مصطفون ومصطفين ، يقال في ترخيمهما : يا مُصْطَفُ(٣) وما سُمي به من طَائِفيّ بلحاق ياء النسب وما شابهها ، وألف ونون نحو : سكران ، وألف تأنيث كما في حمراء ، والواو والتاء في " ملكوت ورهبوت ".(٤)

وهمزة الإلحاق مع الألف التي قبلها كما في حرباء وعلباء.(٥)

---

(١) انظر شرح الأشموني ٢ : ١٨١.

(٢) انظر شرح التصريح ٢ :١٨٧/ شرح الأشموني ٢ : ١٨١، ١٨٢/ همع الهوامع ١ :١٨٣.

(٣) شرح الأشموني ٢ : ١٨٢ .

(٤) انظر همع الهوامع ١ : ١٨٤.

(٥) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ١٥١.

ويُحذف منه ثلاثة أحرف ، وذلك فيما آخره ثلاث زوائد مما قبل آخره حرف علة ، كحَوْلَايا وبَرْدَرايا ، على قول الكوفيين ، والبصريون لا يحذفون إلاّ الأخير.(١)

وتُحذف كلمة بأكملها وذلك في التركيب المزجي والعددي ، ومثله المركب الإسنادي عند من أجاز ترخيمه .

وتحذف كلمة وحرف وذلك في اثنا عشر واثنتا عشر.(٢)

لغتا الترخيم :

للترخيم لغتان :

الأولى : لغة من ينتظر ، وهي الأكثر ، وهي : أن يبقى الحرف بعد الحذف على حاله قبله ، فنقول : يا حارِ في حارث ، ويا جَعْفَ في جعفر ، وهي مع كثرتها أقيس ، ومما جاء عليها قول زهير :

يا حارِ لا أُرمينْ منكم بداهيةٍ

لم يلْقها سُوقةٌ قبلي ولا مَلِكُ

وقول مهلهل بن ربيعة :

يا حارِ لا تجْهل على أشياخنا

إنّا ذوو السَّورات والأحلام

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ٢٦١ / همع الهوامع ١ : ١٨٤ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٥٢.

(٢) انظر همع الهوامع ١ : ١٨٢ ، ١٨٣ / شرح التصريح ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٥٣.

وقول امرىء القيس :

أحارِ ترى برقا أُريك وميضَـــــه

كلمعِ اليدين في حُبِيٍّ مُكلَّـــــلِ (١)

وجاء المنادى علما مفردا مرخما في سبعة عشر شاهدا في المفضليـــات رُخِّم على هذه اللغة في أربعة عشر موضعا ،منه ما جاء والاداة (يا) ، وشواهده قول الكلحبة العرني : (٢)

فإنْ تنجُ مِنْها يا حُزيمَ بن طارقٍ

فَقَدْ تَرَكْتْ ما خَلْفَ ظَهْرِكَ بَلْقَعَـا

ولو لم ينو لقال : (يا حزيمُ) ،وقول سلمة بن الخرشب : (٣)

وإنَّكَ يا عَـامِ بن فارِس قُـرْزُلٍ

مُعِيـدٌ عَلَى قِيلِ الخَنا والهَواجِـرِ

وحقه على اللغة الأخرى (يا عامُ) ،وقول مُتَمم بن نُوَيْرَة : (٤)

جُذِّى حبالَك يا زُنَيْبَ فإنَّنــــي

قَدْ أستَبِدُّ بوصلِ مَنْ هو أقْطَـعُ

وعلى غير الانتظار يُقال فيه (يا زنيبُ) وقول المُرَقِّش الأكبر : (٥)

---

(١) انظر همع الهوامع ١ : ١٨٤/ شرح التصريح ٢ : ١٨٨/ التسهيل ١٨٩/ شفاء العليل ٢ : ٨٢٩/ شرح المفصل ٢ : ٢٢ / الدرر اللوامع ١ : ١٦٠ / الكتاب ٢ : ٢٥١ ، ٢٥٢.

(٢) المفضلية ٢ : ١ .

(٣) المفضلية ٥ : ١٥.

(٤) المفضلية ٩ : ٣ .

(٥) المفضلية ٥٦ : ١٤.

وإنّي وإنْ كلّتْ قلوصي لَرَاجِــمٌ
بها وبنَفْسي ، يا فُطيمَ ، المَرَاجِمـا

ولو لم ينتظر لقال (يا فُطيمُ).

ومنه ما جاء مع الهمزة ، وشواهده في قول الحادرة :(1)

أسُمَيَّ ويْحَكِ هَلْ سمعت بِغَدْرَةٍ
رُفعَ اللّوَاءُ لنا بِها في مَجْمَـعِ

وحقه (أسُمَيّ) على اللغة الآخرة ، وقول الحُصين بن الحمام :(2)

أثَعْلَبَ لو كنتم مَوَالِيَ مِثْلِها
إذاً لَمَنَعْنا حَوْضَكمْ أنْ يُهدَّمـا

ولو رخمه على لغة من لا ينتظر لقال (أثعلبُ) وقول مُزَرِّد بن ضرار :(3)

أزُرْعَ بنَ ثَوْب إنَّ جارات بَيْتِكم
هُزِلْنَ وألْهاكَ ارْتِغاءُ الرَّغائِـدِ

وبقية الأبيات في قول عامر بن الطفيل ١٠٧ :٧
يا أسمَ أختَ بني فزارة انّني
غازٍ ، وإنّ المرءَ غيرُ مُخلَّـدِ
ويقال فيه (يا أسمُ) على اللغة الأخرى ، وقول الجميح
١٠٩ :١٢
يا نَضلَ للضيفِ الغريب وللـ
جار المُضيمِ وحامِلِ الغرم
ولو ناداه على لغة من لا ينتظر لقال (يا نَضلُ)

(1) المفضلية ٨ :٩ .

(2) المفضلية ١٢ :١٧.

(3) المفضلية ١٥ :١٢.

وحقه (أزرعُ) على لغة التمام ، وقول ثعلبة بن صعير: (١)

أسُميَّ ما يُدريكِ أنْ رُبَّ فتيَــةٍ

بيض الوُجُوه ذَوِى نَدىً ومآثِــرِ

ويقال فيه (أسُمُّ) على لغة من لا ينتظر ، وقول المُرقّش الأصغر : (٢)

أفاطِمَ إنَّ الحُبَّ يَعْفُو عَنْ الْقِلَــى

ويُجْشِمُ ذا العِرْضِ الكريمَ المَجَاشِما

أفاطِمَ لَوْ أنَّ النِّسَاءَ بِبَلْــــدَةٍ

وأنْتِ بأُخْرَى لاتَّبَعْتُكِ هائِمــاَ

ولو ناداها على لغة من لا ينتظر لقال (أفاطمُ) .

ا<u>لثانية :</u> لغة من لا ينتظر ، وتسمى لغة التمام ، وهي أن تعطي آخر الاسم المُرخَّم حقه من الإعراب فيكون اسما برأسه ، فتقول : يا حارُ ، ويا جعفُ في حارث ، وجعفر . كما يعطى ما يستحقه من صحة وإعــلال ، فيقال : يا ثمي ، في ثمود بقلب الواو ياءً لتطرفها بعد ضمة ، وهو مما ليس له نظير ، ويا كرا في كروان بقلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلهــا ،

---

(١) المفضلية ٢٤ : ١٥ .

(٢) المفضلية ٥٦ : ١٥ ، ١٨ .

وبقية الأبيات في قول الحُصَين بن الحُمام ٩٠ : ١٠

مَوَالِيَ مَوالِينَا لِيَسْبُوا نِسـاءَنــا

أثَعْلَبَ قَدْ جِئْتمَ بَنكْرَاءَ ثَعْلَبَــا

وعلى اللغة الأخرى ، يقال فيه (أثعلبُ) ومنه بحذف حرف النداء قول معاوية بن مالك ١٠٤ : ٨

وإذا نُوَافِــقُ جُرْأَةً أونَجْــدَةً

كُنَّا ، سُمَيَّ بِها العَدُوَّ نَكِيــدُ

ويا سقاء في سقاية لتطرفها بعد ألف زائدة [١] وشواهده في المفضليات قول المُثَقّب العَبْدِي : [٢]

أفاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتّعيني
ومَنْعُك ما سألْتُ كأنْ تبَيني

وقول الخصفي المُحارِبي : [٣]

أثعلَبُ لَوْلا ما تَدَعَوْنَ عِنْدَنا
مِنَ الحِلْفِ قَدْ سُدّى بَعقْدٍ وأُلْحِمَا

وقول عبد قيس بن خفّاف : [٤]

أجُبيلُ إنّ أباكَ كاربُ يومُهُ
فإذا دعيتَ الى العظائمِ فاعجلِ

ولم يثبت كون المنادى فيها على لغة التمام حيث حُرّك كل منادى بالضم على لغة التمام والفتح على لغة الإنتظار ،وجاء على لغة التمام قولا واحدا في قول الحادرة : [٥]

فسُميَّ ما يُدريكِ أنْ رُبَّ فتيَةٍ
باكَرْتُ لذّتَهم بِأدْكَنَ مُتْرَعِ

---

(١) انظر : شفاء العليل ٢ : ٨٣٠ / شرح التصريح ٢ : ١٨٨، ١٨٩، همع الهوامع ٢ : ١٨٤ ، ١٨٥ / شرح الكافية للرضي ١ : ١٥٥.

(٢) المفضلية ٧٦ : ١.

(٣) المفضلية ٩١ : ١٣.

(٤) المفضلية ١١٦ : ١.

(٥) المفضلية ٨ : ١٦.

وتلزم اللغة الأولى في مسائل :

١ - في مثل عمرة وحفصة وضخمة ،لئلا يلتبس بعمرو وحفص علمين وضخم صفة لمذكر . قال أبوحيان : " وفصل شيوخنا فلم يعتبروا اللبس في الأعلام واعتبروه في الصفات ". (١)

٢ - في مثل طيلسان ،فلا يقال فيه إلاّ : يا طيلَس بالفتح ولا يجوز الضم ،لعدم وجود "فَيْعِلُ " بكسر العين في الصحيح العين وهو بناء مهمل ،فامتنع لكونه مؤديا في حال التمام إلى وجود مالا نظير له . قال أبوحيّان هذا مذهب الأخفش وسائر النحويين أجازوا فيه التمام .(٢)

٣ - لا يجوز في حُبْلَوَى علماً ،لاستلزامه في تقدير التمام قلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .(٣)

٤ - ما سمي به من مثنى ومجموع نحو " زيدان وزيدين " لئلا يلتبس بالمفرده وأجازه ابن مالك.(٤)

أما اللغة الثانية فتلزم فيما كان قبل آخره ساكن كهرقل وقمطر، عند الكوفيين لئلا يوجد اسم متمكن ساكن الآخر .(٥)

---

(١) انظر شفاء العليل ٢ :٨٢٩/ المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٥٥٥ همع الهوامع ١ : ١٨٤، ١٨٥ .

(٢) انظر المساعد ٢ : ٥٥٦ / همع الهوامع ١ :١٨٤ / التسهيل ١٨٩ شرح الجمل ٢ : ١٢٠، ١٢١ .

(٣) انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٦٥ .

(٤) انظر حاشية الخضرى ٢ : ٨٦/ التسهيل ١٨٩/ المساعد ٢ : ٥٥٥/ شرح الكافية الشافية ٣ : ١٢٦٦ .

(٥) انظر همع الهوامع ١ : ١٨٥/ شرح الأشموني ٢ : ١٨٤ .

الترخيم في قافية البيت :

ورد الترخيم في قافية البيت في المفضليات وشواهده ،في قول الحُصين بن الحمام:(١)

ولولا رجالٌ من رزامٍ بن مَازنٍ
وآلِ سُبَيْعٍ أو أسوءَك عَلْقَمَا

أي : يا علقما ،وقول المرار بن مُنْقِذ :(٢)

فتلك لنا غِنىً والأجرُ باقٍ
فغُضي بعضَ لومكِ يا طُعينا

وقول المُرَقِّش الأصغر :(٣)

ألا يا اسْلَمِى ثمَّ اعْلَمي أنَّ حاجَتِي
إليكِ ، فرُدِّي مِنْ نَوالِكِ فاطِمَا

أي : يا فاطما ، وقول عوف بن عطية :(٤)

فكادَتْ فَزَارةُ تَصْلَى بِنَا
فأَوْلَى فَزَارةُ أَوْلَى فَزَارَا

أي : يا فزارا ،وورد في عجز البيت ،وشواهده قول المُرَقِّش الأصغر:(٥)

ألاَ يا اسْلَمِي لاَ صُرْمَ لي اليوْمَ فاطِمَا
ولا أبَداً ما دَامَ وَصْلُك دَائِمَا

---

(١) المفضلية ١٢ : ١٨.
(٢) المفضلية ١٤ : ١١.
(٣) المفضلية ٥٦ : ١٧.
(٤) المفضلية ١٢٤ : ٣٢.
(٥) المفضلية ٥٦ : ١، ١٦.

ألا يا اسْلَمِي بالكَوْكَبِ الطَّلْقِ فاطِمَا

وإنْ لم يَكُنْ صَرْفُ النَّوَى مُتَلَائِمَـــا

أراد : يا فاطما ، وقول عبد المسيح بن عسله : (١)

ألا يا اسْلَمِي على الْحَوَادِثِ فَاطِمَا

فإنْ تَسْأَلِينِي تَسْأَلي بِي عالِمَــا

أي : يا فاطما .

قال سيبويه : " واعلم أنّ الشعراء إذا اضطروا حذفوا هـذه الهاء في الوقف ، وذلك لأنّهم يجعلون المدة التي تلحق القوافي بدلا منها ، وقال الشاعر ، ابن الخرع :

كـادت فـزارةُ تَصْلَى بنَـــــا

فـأولـــى فــزارةُ أولى فـــــزارا

وقال القُطامي :

* قِفِي قبْلَ التفرّقِ يا ضُباعا *

وقال هدبه :

* عُوجِي علينا واربعي يافَاطِما *

وإنما كان الحذف ألزم للهاءات في الوصل ، وفيها أكثر منه في سائر الحروف في النّداء ، من قبل أن الهاء في الوصل غير النّداء تبدل مكانها التاء ، فلما صارت الهاء في موضع يحذف منه لا يُبدل منه شيء تحقيقا ، كان ما يُبدَل ويُغيَّر أولى بالحذف ، وهو له ألزم ، وجعلوا تغييره الحذفَ في موضع الحذف إذ كان متغيرا لا محاله ". (٢)

---

(١) المفضلية ٨٣ : ١ .

(٢) الكتاب ٢ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ وانظر الأصول في النحو ١ : ٣٦٢ .

وقال ابن عصفور " ولم يبقْ من أحكام الترخيم إلاّ ما آخره التاء نحو : عائشة . فتقول إذا رخمته : يا عائش اقبلي ،فإن وقفت عليه قلت : يا عائِشةْ . ولا بُدّ من الهاء لأنهم عزموا على حذف التاء وهي حرف معنى فكرهوا أن تذهب الجملة ،فأرادوا أن يكون في الوقف بدلا منها ،ولا يجوز عدم التعويض إلاّ في ضرورة شعر ". (١)

وقال أبوحيان : " وحاصله أنّ الترخيم لا يكون إلاّ في الوصل فإذا وقفوا فلا ترخيم . قال وظاهر كلام سيبويه الثاني . قال : ومحل زيادتها ما إذا رُخم على لغة الانتظار أمّا إذا رُخم على لغة التمام فلا لأنّه نقض لما اعتمدوا عليه من جعله اسماً تاما حين بنوه ،وقد يجعل بدل الهاء ألف الاطلاق عِوضاً منها في الضرورة ". (٢)

وقال البَغدادي في قول الشاعر :

قفي قَبْلَ التَفرّقِ يا ضِبُاعَـا

ولا يكُ موْقفٌ منْك الوِدَاعَـا

" على أنه مرخم (ضُباعة) فحذفت الهاء للترخيم ،ألف الترخيم تغني عنها ".

وقال الدماميني في شرح التسهيل " قد يُقال لا نُسلّم أن هذه الألف عوض عن التاء المحذوفة ،بل هي ألف الإطلاق ،وهذه المسألة لا يُستدل عليها بالشعر ،فإن ثبت في النثر مثل ذلك تمّت الدعوة ، وإلاّ فلا ". (٣)

---

(١) شرح الجمل ٢ : ١٢٣.

(٢) همع الهوامع ١ : ١٨٥.

(٣) خزانة الأدب / ت عبد السلام هارون ٢ : ٣٦٧.

ترخيم الضرورة :

إذا اضطرت الشعراء رخمت بغير نداء ، ولكن بشروط ، وهي : أن يكون الاسم صالحا للنداء ، وترتب عليه إخراج قول الشاعر :

* أو الفا مكّةَ من وُرْقِ الحَمَى *

والأصل الحمام ، فلم يجعلوه على الترخيم ، فالشاعر لمّا حذف الألف والميم الثانية كسر الميم الأولى لإصلاح القافية .

ومن شروطه أن يكون بتاء تأنيث أو زائدا على ثلاثة ، علما كان أو غيره ، ومن غير العلم :

* ليس حيٌّ على المنون بخالِ *

أي : بخالد ، وفيه ردّ على من قصر الترخيم في غير الضرورة على العلم . والشرط الأخير أن يكون في الضرورة فلا يأتي في سعة الكلام ويُرخم على لغة الانتظار والتمام ، والمبرّد قَصَرَ ترخيمه على لغة التمام .

وذهب بعضهم إلى أنّه إذا رُخم في غير النّداء عُوِّض المحذوف بياء ساكنة ومنه قول الشاعر :

* مِنَ الثعالي ووخزٌ من أرانيبها *(١)

أراد : من الثعالب .

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ٢٦٩ - ٢٧٤ / المقتضب ٤ : ٢٥١ ، ٢٥٢ / التسهيل ١٨٩ ، ١٩٠ / الإنصاف ١ : ٣٥٢ ، ٣٥٦ / همع الهوامع ١ : ١٨١ / شرح الأشموني ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ / شرح التصريح ٢ : ١٨٩ / خزانة الأدب تحقيق عبد السلام هارون ٢ : ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

الاستغاثـــــــة

تعريف الاستغاثة :-

الاستغاثة هي " نداء من يخلّص من شدة أو يعين على مشقة ".(١)
ويكون معها من الأدوات " يا " ، لكون المنادى فيها مصحوبا بطلب العون والتخليص من الشدة ، ولمد الصوت ، ولتميزه مما سواه وليس فيه معنى استغاثة ولا تعجب(٢) إلا ما سبق ذكره عن ابن خروف من قول الشاعر :

أعامِ لكَ ابنَ صعصعة ابن سعد *(٣)

و (وا) بقلة كقول عُمَر لعمرو بن العاص : واعجبا لك يا بن العاص(٤)
وللاستغاثة أركان وهي : مُستغِيث ومُستغاث به ومُستغاث له واستغاثة ولام المُستغَاث به والمستغَاث له ، ولكل من المُستغَاث به والمستغَاث له صور فيأتي المُستغَاث به والمستغاث له أسماء كما في قول عمر رضي الله عنه " يالَلّهِ للمسلمين " ويكون الأول اسماً ، والثاني ضمير كما في " يا لزيدٍ لك " ويأتي العكس فيكون المُستغَاث به ضمير والمستغاث له ظاهر

---

(١) شرح التصريح ٢ : ١٨٠ وانظر المساعد على تسهيل الغوائد : ٢ : ٥٢٥/ شرح الكافيــة الشافية ٣ : ١٣٣٤ . ص ٢١٨ .
(٢) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ١٦٠ / شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٣٤ / الكتاب ٢ : ٢١٨ / المساعد ٢ : ٥٣٣ .
(٣) انظر شرح التصريح ٢ : ١٨٤ .
(٤) المساعد ٢ : ٥٣٣ .

كأن يُقال " يا لي لزيد " ويكون المُستغَاث به والمُستغَاث له ضميرين كما في " يالكَ لي "(١) وعلى هذا يكون المُستغَاث به والمُستغَاث له اسمين ظاهرين ، أواسمين مضمرين ، أو الأول مضمراوالثاني مظهرا ، أو العكس .

لام المُستغَاث به :

لام المُستغَاث به حكمها الفتح ، حيث إنَّ المُستغَاث به واقعٌ موقع المُنادَى ، والمُنادَى واقع موقع الضمير ، واللام مع الضمائر مفتوحة باستثناء ياء المتكلم . هذا إنْ كان مفردا ، فإنْ كان مكررا كأن يقال " يا لزيد يا لمحمد " وكقول الشاعر :

يا لَقَوْمي ويا لَأمثالِ قومي
لأُناسٍ عُتوهم في ازديادِ

فتُفتح اللام متى تكررت (يا) فإن كان المُستغَاث به معطوفا على مُستغَاث ولم تعد معه (يا) تُكسر فيقال " يا لَزيد ولِعمر للمسلمين " ، وكذلك حالها الكسر إنْ كان المُستغَاث به ياء المتكلم نحو " يالي "(٢) وسبب آخر لكونها مفتوحة هو الفرقُ بينها وبين لام المُستغَاث"

---

(١) انظر شرح التصريح ٢ : ١٨٠ ، ١٨١ / شرح الأشموني ٢ : ١٦٧ .

(٢) انظر الكتاب ٢ : ٢١٩ / أوضح المسالك ٤ : ٤٦ / شرح التصريح ٢ : ١٨١ / شفاء العليل ٢ : ٨١٥ / همع الهوامع ١ : ١٨٠ .

أمّا لام المُستَغاث له فمجرورة على الأصل ، إذ إنها حرف جر أصلي بخلاف الأولى فهي حرف جر زائد ، إلّا إنّ كان المُستَغاث له ضميراً غير ياء المتكلم فإنّ لامه مفتوحة .[1]

أصل لام المستغاث به :

اختُلف في هذه اللام فقيل :

١ - إنها بقية (أل) فحذفت الهمزة منها تخفيفاً ،فالتقت الألف بعدها بألف (يا) فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين . وهو قول الكوفيين .

٢ - إنها لام الجر ،وهي زائدة ،وفتحت للفرق بينها وبين لام المُستَغاث له .[2]

ما تتعلق به لام المُستَغاث به :

في ذلك قولان :

١ - أن تتعلق بالفعل المحذوف قاله سيبويه وإليه ذهب ابن عصفور.

٢ - أن تتعلق بحرف النداء واليه ذهب ابن جني[3] هذا على القول بعدم زيادتها .

---

(١) انظر شرح الأشموني ٢ : ١٦٧ / حاشية الصبان على الأشموني ٣ : ١٦٥/ شرح التصريح ٢ : ١٨١ .

(٢) انظر حاشية الخضرى ٢ : ٨٠ / المساعد ٢ : ٥٣٦، ٥٣٧ /شرح الجمل ٢ : ١٠٩/ همع الهوامع ١ : ١٨٠ .

(٣) انظر شرح الجمل ٢ : ١٠٩ / همع الهوامع ١ : ١٨٠.

أمّا على الزيادة فهي لا تتعلق بشيء . أمّا لام المُستغَاث لـه فمتعلقة بفعل محذوف تقديره : أدعوك قطع به ابن عصفور و قطـع ابن الضائع بتعلقها بفعل النّداء ، و ابن الباذش ، أنها تتعلـق بمحذوف في موضع الحال والأصل : يا لعمرو مدعواً لزيد .(١)

أحوال المستغاث به :

للمستغاث به أحوال ثلاثـة :

١ - أن يجر المُستغَاث به بلام مفتوحة ،ثم المُستغَاث له مجرورا بلام مكسورة و منه قول قيس بن ذُريح :

* فيا لَلنَّـاسِ لِلواشي المطـاعِ *

وقول الشاعر :

* يا لَقوْمي لِفرقة الأحبابِ *(٢)

وشواهده في المفضليات قول جابر التغلبي :(٣)

ألا يا لَقَـوْمي لِلْجَديدِ المُصَرَّمِ
وللحِلْمِ بعدَ الزَّلَّـةِ المُتَوَهَّـمِ

وقول بشر بن أبي خازم :(٤)

فيا لَلنَّاسِ لِلرَّجُـلِ المُعَنَّـي
بِطُـولِ الدَّهْـرِ إذْ طَـالَ الحِصَارُ

---

(١) انظر المساعد ٢ : ٥٢٨ .

(٢) انظر الكتاب ٢ : ٢١٩/ أوضح المسالك ٤ : ١٤ / شرح التصريح ٢ : ١٨٠ ، ١٨١ / المقتضب ٤ : ٢٥٦ .

(٣) المفضلية ٤٢ : ١ .

(٤) المفضلية ٩٨ : ١٧ .

٢ - أن يأتي المستغاث به وفي آخره ألف عوضاً عن اللام في أوله ، ومنه قول الشاعر :

يا يزيدا لآملٍ نيْل عــزٍ

وغنىً بعد فاقةٍ وهــوانِ

" فيزيدا مُستغَاث والألف فيه عوض من اللام ، ولآملٍ بكسر اللام مُستغَاث له ".(١)

٣ - أن يخلو المُستغَاث به من اللام في أوله ، ومن الألف في آخره ، ومنه قول الشاعر :

ألا يا قومِ للعجب العجيــب

وللغفلاتِ تَعرِض للأريــبِ(٢)

٤ - أن يُجر المُستغَاث له ب" من " كقول الشاعر :

يا للرجالِ ذوي الألْبابِ من نَفَرٍ

لا يبرحُ السَّفَهُ المُرْدِي لهم دِينا(٣)

---

(١) انظر شرح التصريح ٢ : ١٨١ / شرح الأشموني ٢ : ١٦٨/ شواهد العيني في الخزانة ٤ : ٢٦٢ / أوضح المسالك ٤ : ٤٨، ٤٦.

(٢) انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١٣٣٨/ شرح الأشموني ٢ : ١٦٨.

(٣) انظر شفاء العليل ٢ : ٨١٦ / شرح الأشموني ٢ : ١٦٧، ١٦٨/ شواهد العيني في الخزانة ٤ : ٢٧٠/ همع الهوامع ١ : ١٨٠ / الدرر اللوامع ١ : ١٥٦.

٥ - أن يُحذف المُستغَاث ويلي (يا) المُستغَاث من أجله ، كقول الشاعر :

يا لأُناس أبوْا إلاّ مثابـــــرةً
على التّوغُّلِ في بغيٍ وعـــدوان (١)

(٢)
٦ - أن يحذف المستغَاث من أجله ، وذلك إنْ عُلم سبب الاستغاثة ، كما في قول عدي بن زيد :

فهل مِنْ خالـــدٍ إمّا هلكنــا
وهل بالموتِ يـا للنّاسِ عــارِ (٣)

فكأنّه أراد : أن يقول يا للناس لي من دفع العار .

وقول الشاعر :

يا لتيـــمٍ ألا للّـــه درُّكـــم
لقــد رُميتُـم بإحدى المُصيبـاتِ (٤)

كأنه يستغيث بتيم لدفع المضرات ، أي أنّه يستغيـــث بهم لهم .

وشواهده في المفضليات ، في قول مزرد بن ضرار : (٥)

ألا يا لَقَوْمٍ والسَّفَاهةُ كَاسْمِها
أعائدتي مِن حُبِّ سَلْمى عَوائِـــدى

---

(١) انظر التسهيل ١٨١ / شفاء العليل ٢ : ٨١٦ / شرح الأشموني ٢ : ١٦٩ .

(٢) تسهيل الفوائد ١٨٤ .

(٣) همع الهوامع ١ : ١٨٠ / الدرر اللوامع ١ : ١٥٦ .

(٤) شفاء العليل ٢ : ٨١٦ .

(٥) المفضلية ١٥ : ١ .

قال التبريزي " ومعنى : يا لقوم : أنه يصور نفسه بصورة العدو لما تبعت هواها ،فقال يا لقومِ : استغاثة بهم ".(١)

وقول الحارث بن ظالم :(٢)

فَيَا لَلّهِ لم أكْسِبْ أثَامـاً
وَلَمْ أهْتِكْ لِذِى رَحِمٍ حِجَابَـا

كأنه قال : " ياالله لي ".

وربما كان المُستغَاث مستغاثا من أجله تقريعا وتهديدا.(٣)

ومنه قول الشاعر :

يا لَبَكْرٍ انشروا لي كُلَيبـاً
يا لبكرٍ أيْنَ أيـنَ الفِـرارُ(٤)

التعجب بصورة الاستغاثة :

يأتي المتعجب منه على الصور الذي جاء عليها المُستغاث ، وهو على قسمين :

١ - أن يرى أمرا عظيما فينادى جنسه كقولهم : يا لَلماءِ ويالَلدَّواهي ، إذا تعجبوا من كثرتهما.

---

(١) شرح المفضليات للتبريزى ١ : ٢٤٤.
(٢) المفضلية ٨٩ : ١٨.
(٣) تسهيل الفوائد ١٨٤.
(٤) شفاء العليل ٢ : ٨١٧ / المساعد ٢ : ٥٢٨، ٥٢٩.

٢ - أن يرى أمرا عظيما فيُنادي من له نسبة إليه و مكنة فيه نحو: يا للعلماء .

وتعاقب لام الاستغاثة والتعجب ألف كألف الندبة ، ومنه :

حتى يقولَ النّاسُ مما رأوا

يا عجبا للميْت الناشر

و تزاد هاء السكت حال الوقف فيقال : يا عجباه .

و ربما استغنى عن الألف فيهما فيقال : يا لزيد ، و يا للعجب. و يا زيدا ، ويا عجبا ، و يقال : يا زيد ، ويا عجب على صورة النّداء ، و منه :

* يا رِيّها اليوم على مبير *

يريد ناقته ، تعجب من كثرة ريها على الماء. (١)

---

(١) انظر المساعد ٢ : ٥٣١ - ٥٣٣/ شرح التصريح ٢ : ١٨١/ الكتاب ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ / همع الهوامع ١ : ١٨١ .

الندبـــة

تعريف الندبـة :

قال سيبويه " اعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه ".(١)

وقال ابن مالك " المندوب هو المذكور بعد " يا " أو " وا " تفجعا لفقده حقيقة أو حكما أو توجعا لكونه محل ألم أو سببه ".(٢)

فما كان متفجعاً عليه حقيقة ، كقول جرير :

حُمِّلتَ أمراً عظيماً فاصْطَبَرتَ لَـهُ
وقمتَ فيه بأمرِ اللّهِ يا عُمَـــرا

وما كان متفجعا عليه حكماً قول عُمَر رضي الله عنه وقد أُخبر بجدب شديد أصاب قوما من العرب : واعمراه واعمراه(٣) . وقول الخنساء : واصخراه واصخراه(٣) ، وصخر غائب لا يُرجى حضوره .

وما نُدِب لكونه محل ألم أو سببه ، قول قيس العامرى :

فَوَاكبدا مِنْ حُبِّ مَنْ لا يحبنـــي
ومن عبراتٍ ما لهُنَّ فنـــاءُ(٤)

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٢٠.

(٢) التسهيل ١٨٥.

(٣) كأن عمر نَزّل نفسه منزلة الميت ، وكذلك الخنساء أنزلت صخرا منزلة الميت.

(٤) انظر شرح التصريح ٢ : ١٨١ ، المساعد ٢ : ٥٣٤ .

ومنه في المفضليات قول الشنفرى الأزدي :(١)

فَوَاكَبِدَا على أُمَيْمَةَ بَعْدَ مـــــا

طَمِعْتُ ، فَهَبْهَا نِعْمَةَ العَيْشِ زَلَّتِ

ولم يأت في المفضليات شاهد غيره للندبة.

والمندوب ينادى بـ (وا) وشاركتها (يا) عند أمن اللبس(٢)

وشرط مجيئه بيا أمن اللبس ،قال السلسيلي "فتقول متفجعا على من مات واسمه زيد وفي حضرتك من اسمه زيد : وازيد ولا تقول : يا زيد لئلا يلتبس بنداء الحاضر ".(٣)

و مما جُعِل المنادى فيه مندوبا قول عبد يغوث بن وقاص:(٤)

فَيَا راكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَـــــنْ

نَدامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لا تَلَاقِيَـــا

وذلك على قول أبي عبيد.(٥)

و قيل في قوله تعالى ﴿ وَنَادَى نُوحُ ابنَه ﴾(٦) وقرأ السـدى ابناه بألف وهاء سكت ... و ذهبت فرقة إلى أنه على سبيل الندبـة والرثاء ".(٧)

---

(١) المفضلية ٢٠ : ٤.

(٢) انظر الكتاب ٢ : ٢٢٠/ التسهيل ١٨٥.

(٣) شفاء العليل ٢ : ٨٢ .

(٤) المفضلية ٣٠ : ٣.

(٥) اللسان ٧ : ١٧٣ وقد تقدم. ص ١٤٩.

(٦) سورة هود آية ٤٢.

(٧) البحر المحيط ٥ : ٢٢٦.

وأحسب هذا لا يُخَرَّج على رأي تلك الفرقة إلاّ على تأويل الكلام " ونادى نوح قائلا وابناه " وهذا وإن كان وجها إلاّ أنه من النوادر، حيث لم يُعهد حذف حرف الندبة . ووجه آخر أنَّه نزَّل فعل النّداء منزلة حرف النداء وإنْ كان ذلك غير شائع في العربية أيضا .

ما لا يصح أن يُندب :

١ - النكرة : فلا يقال : وارجلاه ،لفوات غرض الندبة وهو الإعلام بعظمة المندوب وهذا لا يتحقق في المُنَكَّر ،وأجاز الرياشي ندبة النكرة ،وفي الخبر : واجبلاه .

٢ - الموصول ،إن لم يكن معه صلة تبينه وهي معه كالعلم في الشهرة كما في (وامن حفر بئر زمزماه " ، و " وامن قلع باب خيبراه" ، وهو مقيس عند الكوفيين ،شاذ لا يقاس عليه عند أهل البصرة ، فإن كان في الموصول (أل) فالفريقان على منعه .

٣ - الضمير المبهم ،فلا يجوز " وأنتاه " .

٤ - اسم الاشارة فلا يجوز " واهذا " .

ومنع السيرافي ندبة المضاف لضمير المخاطب ،كما لا يجوز نداؤه ، وقال بعض المغاربة : ولم يسمع شاهد بخلاف قوله ،ومنع الكوفيون ندبة الجمع السالم.(١)

---

(١) انظر هذه المسائل في الكتاب :٢٢٧ ، ٢٢٨ / التسهيل ١٨٥/ المساعد ٢ : ٥٣٥ / شرح التصريح ٢ :١٨٢ / شفاء العليل ٢ : ٨٢٠ / همع الهوامع ١ : ١٧٩/ الإنصاف ١ :٣٦٢ - ٣٦٤، شرح الكافية للرضي ١ :١٥٨، ١٥٩ .

إلقاء علامة الندبة على الصفة :

وذلك كأن يقال " وازيد الظريفاه " وهذا ممنوع عند البصريين، وأجازه يونس بن حبيب البصرى والكوفيون وابن كيسان ، وحجة المانعين أنّ علامة الندبة إنما تلقى على ما يلحقه تنبيه لمد الصوت ، وليس ذلك موجود في الصفة ، وحجة المجوزين القياس على إلقائها على المضاف إليه في نحو " واعبد زيداه ، واغلام عمراه ".(١)

ألف الندبة :

قال سيبويه " اعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه ، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف ، لأنّ الندبة كأنهم يترنمون فيها ، وإن شئت لم تلحق كما لم تلحق في النداء ".(٢)

فأفاد أن زيادتها على سبيل الجواز . واشترط ابن مالك أن لا يكون آخر المندوب ألف وهاء(٣) فتقول إذا ندبت عبدالله : واعبدالله ، ولا تقول : واعبداللهاه ، للثقل الناشيء عن ذلك(٤) ، والمغاربة على جوازه(٥) . ولعل المغاربة قد غالوا في جواز هذا الوجه إذ فيه مع الثقل إضافة إلى لفظ الجلالة ما ليس فيها أصلا.

---

(١) انظر شرح الكافية للرضي ١: ١٥٨ ، ١٥٩ ، الإنصاف ١: ٣٦٤ ، ٣٦٥ / المساعد ٢: ٥٣٧ ، ٥٣٨.

(٢) الكتاب ٢: ٢٢٠ .

(٣) انظر التسهيل ١٨٥.

(٤) شفاء العليل ٢: ٨٢٢.

(٥) المساعد ٢: ٥٣٩.

النُدبة التنوين

ويحذف لالف/ والالف فيقال : واموساه واغلام زيداه ،فالتنوين يحذف لالتقاء الساكنين في (واغلام زيداه) وأجاز الفرّاء في المنون المندوب ثلاثة أوجه أخرى : " أحدها : فتحها لأجل ألف الندبة، والثاني : حذفها للساكنين ،واتباع المدة حركة ما قبلها نحو "واغلام زيديه " ... والثالث : كسرها للساكنين وإتباع المدة لكسرتها كما في مدة الإنكار ".(١)

أي أنه جائز فيه : " واغلام زيدناه " ،و" واغلام زيدنيه " وهذا قول الكوفيين ،كما أجازوا "واموسياه " بقلب الالف ياء ، و" واغلام زيديه " وهو قول الفرّاء ،والبصريون لا يجوزون إلاّ حذف التنوين(٢) كما يحذف التنوين من المضاف اليه كما في " وامن حفر بئر زمزماه " سواء اعتبرنا " زمزم " منصرفاً فيكون التنوين ظاهرا، أو اعتبرناه غير مصروف فيكون التنوين مُقدّراً.

و تبقى ألف التأنيث ،فيقال : واحمرآه ،والكوفيون يجيزون حذفها(٣) كما " يحذف لهذه الالف ما قبلها من ضمة بنائية نحو" وازيداه " و "وامنذاه " فيمن اسمه منذ ،أوكسرة إعرابية نحو : " واعبدالملكاه " أو بنائية نحو" واحذاماه ".(٤)

---

(١) شرح الكافية للرضي ١ :١٥٧.

(٢) انظر شرح التصريح ٢ :١٨٣.

(٣) انظر همع الهوامع ١ :١٧٩/ حاشية الخضرى ٢ :٨٢ /.

(٤) شرح التصريح ٢ :١٨٣.

فإن كان حذف الحركة من ضمة أو كسرة موقعا في لبس بقيا ، وجعلت الألف ياء بعد الكسرة ، نحو " واغلامكي " و واوا بعد الضمة نحو " واغلامهو " أو " واغلامكو "(١) .

وجاز زيادة هاء سكت بعد ألف الندبة حال الوقف ، ومنه قول الشاعر :

ألا يا عمرُو عمراه وعمرو بن الزُبَيْراه

و أجاز الفرّاء إثباتها حال الوصل (٢) وحمل ذلك على معاملة الهاء في الوصل معاملتها في الوقف ، ومنه قول المجنون :

فناديتُ يا ربّاه أوّلُ سُوءلتي
لِنَفْسي ليلى ثم أنت حَسيبُها

وقول الراجز :

واحَرحَبَاهُ بحمارِ ناجية
إذ أتى قرّبتُهُ للسانية

وقول المتنبي :

واحرَّ قلباه ممن قلبُهُ شَبِمُ
ومَن بجسمي وحالي عندَه سَقَمُ (٣)

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ٢٢٤/ شرح الأشموني ٢ : ١٧٢/ حاشية الخضرى ٢ : ٨٢ / أوضح المسالك ٤ : ٥٤ / شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٢٨٣ .

(٢) انظر شرح الأشموني ٢ : ١٧٢ ، ١٧٣ / أوضح المسالك ٤ : ٥٤/ همع الهوامع ١ : ١٨٠/ الكتاب ٢ : ٢٢٢ .

(٣) عدة السالك ٤ : ٥٤ .

نُدبة المضاف إلى ياء المتكلم :

١ - من قال (يا غُلامْي) له أن يقول في الندبة : واغلامِيا ، وواغلاما بحذف الياء لالتقاء الساكنين ، وهو قول المُبَرِّد ، وفتحها لأجل الألف وهو قول سيبويه .

٢ - من قال " يا غلامِ ، يا غلامَ ، يا غلامُ ، يا غلاما " يحذف فيقال في الجميع " واغلاما " بقلب الكسرة والضمة فتحة لأجل ألف النُدبة ، وإبقاء الفتحة في " غلامَ " وزيادة ألف الندبة ، وحذف الألف في " غلاما " - وهي منقلبه عن ياء المتكلم - وزيادة ألف الندبة .

٣ - من قال " يا غلاميَ " يندب قائلا " يا غلاميا ".(١)

نُدبة المضاف إلى مضاف إلى ياء المتكلم :

من قال " يا غلامَ غلامي " لم يجز في الندبة حذف الياء ، لأنّ المضاف اليها غير منادى ، فيقول : يا غلام غلاميا . وقيل يمكن الحذف باعتبارها ساكنة فتحذف لالتقاء الساكنين .(١)

والمندوب من حيث الإعراب يعامل معاملة المُنادى ، فيكون نصبا حالة كونه مضافا أو شبيها بالمضاف ، ويضم حال الإفراد ، والضم والنصب

---

(١) انظر أوضح المسالك ٤ : ٥٤ / المقتضب ٤ : ٢٧٠ ، ٢٧١ / الكتاب ٢ : ٢٢٣ / شرح التصريح ٢ : ١٨٣ ، ١٨٤ / شرح الأشموني ٢ : ١٧٣ / المساعد ٢ : ٥٣٧ .

حال الاضطرار الى التنوين .(١)

وفي كون المندوب منادى حقيقة أو مجازا ، قال سيبويه " اعلم أن المندوب مدعو "(٢) وقال ابن مالك :

ما للمنادى اجعل لمندوب ، وما
نُكِّر لم يُندب ، ولا ما أُبهما(٣)

وقال الرّضي " ... ، فاستعمل لفظ المُنادى في المندوب لاشتراكهما في معنى الخصوص وكثيرا ما يحمل العرب بابا على باب آخر مع اختلافهما لاشتراكهما في أمر عام ... "(٤)

وقال الشيخ خالد الأزهري " وصورة المندوب صورة المنادى المخاطب وليس منادى ، ألا ترى أنك لا تريد منه أن يجيبك ويقبل عليك ".(٥)

---

(١) انظر المساعد ٢ : ٥٣٥ ، ٥٣٦ .

(٢) الكتاب ٢ : ٢٢٠ .

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٢٨٢ وانظر شرح المفصل ٢ : ١٣ / حاشية الخضرى ٢ : ٨١ / همع الهوامع ١ : ١٧٩ .

(٤) شرح الكافية للرضي ١ : ١٥٦ وانظر ١٣١ .

(٥) شرح التصريح ٢ : ١٨١ .

الفصل الثالث

ظاهرة التعجب في ديوان المفضليات

التعجب

تعريف التعجب :

قال ابن منظور " العُجْبُ والعَجَبُ : إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده ،وجمع العجب : أعجاب ،.."(١)

وقال ابن السرّاج " التعجبُ كله مما لا يُعرف سببه ، فأمّا ما عرف سببه فليس من شأن الناس أن يتعجبوا منه ،فكلما أبهم السبب كان أفخم وفي النفوس أعظم ".(٢)

وقيل " والتعجب من مواضع الإبهام والبعد من الوضوح والبيان.."(٣)

وقيل : " هو انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه ".(٤)

أما سيبويه فمفهوم التعجب متسع عنده يتضح ذلك من قوله " والتعجب كقولك هذا الرجل تريد أن ترفع شأنه "(٥) فتعريف الطرفين أفاد عنده معنى التعجب .

---

(١) لسان العرب ١ : ٥٨٠ مادة (عجب) وانظر ٥٨١ والعجب مصدر ولا يجوز تثنيته أو جمعه إلاّ إذا أُريد به التنويع ،وإنما جمعه ابن منظور لكثرة أنواعه .

(٢) الأصول في النحو ١ : ١٠٢ .

(٣) المقتصد في شرح الإيضاح ١ : ٣٧٣ .

(٤) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٧ وانظر التبصرة والتذكرة ١ : ٢٦٥/ شرح التصريح ٢ : ٨٦/ شرح المفصل ٧ : ١٤٢ .

(٥) الكتاب ٢ : ٩٦ .

التعجب بين الخبر والانشاء :

التعجب من الأبواب التي اختلف فيها النحاة من حيث الخبـــر والإنشاء .

قال ابن الحاجب في رده على من قال بـأن "ما" فـــي "ما أفعله" استفهامية "وليس بجيد لأنّ صيغ الاستفهام لم يثبت فيها نقل إلى إنشاء آخر ، بخلاف صيغ الأخبار فإنها تُنقل إلـــى الإنشاءات كثيرا ".(١)

وقد يُعدل عن الإنشاء إلى الخبر ، وقد يعكس الأمر فيعدل عن الخبر إلى الإنشاء ، كما في قوله تعالى ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾(٣) إذ التقدير " تربصن وأرضعن " إلّا أنه عدل عن هـذا إلى الخبر وهو أبلغ .

وأشار ابن النحّاس إلى الخلاف فيه في حديثه عن " أفعل به " هو أمر كلفظه أو خبر ، وفي ذلك يقول " فذهب الكوفيون إلى أن معناه أمر كلفظه ، وذهب البصريون إلى أنّ معناه التعجب ، على الخلاف في التعجب هل هو إنشاء أو خبر ".(٤)

---

(١) الإيضاح في شرح المفصل ٢ : ١١١ وانظر شرح الكافية للرضي ٢ : ٣١٠.

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٨.

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٣.

(٤) الأشباه والنظائر في النحو ٢ : ٢٠٥.

وقال السيوطي " إنّ كونه خبراً أصح "[١] ثم عاد فذكره في أقسام الإنشاء[٢]، وقال في حديثه عن الموصول "إنْ قلنا إنّها إنشائية لم يوصل بها، وإن قلنا إنّها خبرية، فأجازه البعض ومنعه آخرون "[٣] وقيل إنّ لفظ الاستفهام إذا طرأ عليه معنى التعجب استحال خبرا[٤] وذكره الدكتور تمام حسان في أقسام الإنشاء.[٥]

" وقال الدنوشرى . قال المرزوقي في هذا أي (واها) مفارق لأخواته لأنّ أسماء الأفعال أكثرها جاء في الأمر والنهي وهذا جاء في التعجب والتعجب خبر" وقال ياسين " قوله التعجب خبر ممنوع ".[٦]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٩٩ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٠٣ .

(٣) الأشباه والنظائر ٢ : ١٩٣ .

(٤) الأشباه والنظائر ١ : ٢٧٦ وانظر الخصائص ٣ : ٣٦٩ .

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها ١٢٤ .

(٦) حاشية ياسين على التصريح ٢ : ١٩٧ .

أساليب التعجب

الأساليب السماعية :

المتتبع لكلام العرب يجدهم قد تعجبوا بصيغ كثيرة لا تنحصر تحت قاعدة معينة ،وليس لها ضابط يحكمها والتعجب بهذه الأساليب على سبيل المجاز أو التضمين ، ومما عبروا به عن التعجب :

١ - صيغ الاستفهام :

ومنه في القرآن الكريم ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾.(١)

قال الفرّاء " على وجه التعجب والتوبيخ ،لا على الاستفهام المحض، أي ويحكم كيف تكفرون . وهو كقوله : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾(٢)". (٣)

وقال القُرطبي "... ، " وقيل صحبه الإنكار والتعجب "(٤) لأنّ فيها معنى الاستفهام الذي معناه التعجب ".(٥)

وقال ابن هشام عن كيف " وهي إمّا للاستفهام الحقيقي أو تخرج مخرج التعجب ".(٦)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨.

(٢) سورة التكوير آية ٢٦.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٢٣.

(٤) البحر المحيط ١ : ١٢٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١ : ٢٤٨.

(٦) مغني اللبيب ١ : ٢٠٥.

وأفادت كيف التعجب في أبيات المفضليات وشواهد ذلك ، قول الحارث بن وعلة[(١)] :

يقولُ ليَ النّهديّ : إنّك مُردفي
وكيفَ رِدافُ الفَلِّ؟ أمُّكَ عابِرُ

فكأنه عجب منه كيف يردف منهزما ، ويؤكد هذا المعنى قوله داعيا عليه - أمك عابر - أي : باكية . وفي قول سويد بن أبي كاهل[(٢)] :

كيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا
لاحَ في الرّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَعْ ؟

قال التبريزى[(٣)] " لفظه استفهام ومعناه التعجب ، واستبعاد لحصول رجائهم "
وفي قول المُرَقّش الأكبر[(٤)] :

تعالَلْتُهَا وليْسَ طبعّي بِدَرِّها
وكَيْفَ الْتماسُ الدّرِّ والضّرْعُ يابسُ ؟

كأنه يعجب إن ظن فيه أنه يجهد راحلته من أجل لبنها ، فيقول كيف ألتمس لبنا في ضرع يابس .

ومن أساليب الاستفهام المفيدة للتعجب قوله تعالى :
﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴾[(٥)] .

---

(١) المفضلية ٣٢ : ٩ .
(٢) المفضلية ٤٠ : ٧٩ .
(٣) شرح المفضليات للتبريزى ٢ : ٧٣٧ .
(٤) المفضلية ٤٧ : ١٩ .
(٥) سورة الحاقة آية ١ ، ٢ .

قال الفرّاء [١] " والحاقة : مرفوعة بما تعجبت منه من ذكرها ".

وقال النّحاس " (ما الحاقة) مبتدأ وخبره هما خبر عن الحاقة ، وفيه معنى التعظيم ". [٢]

وقال ابن فارس " أن " ما " تكون للتفخيم كقوله جل ثناؤه : * الحاقّةُ ما الحاقّة * ومنه :

باتت لتحزننا عفاره يا جَارتا ما أنتِ جاره ؟

وذكر بعضهم أنّ " ما " هذه هي التي تذكر في التعجب إذا قلنا " ما أحسن زيدا ". [٣]

ومما جاءت فيه (ما) دالة على معنى التعظيم في القرآن الكريم قوله تعالى * فأصْحابُ المَيْمَنةِ ما أصْحابُ الميْمنة * [٤] و * وأَصْحابُ المَشْأَمَةِ مَا أَصْحابُ المَشْأَمَة * [٥] و * وأصحابُ اليَمِينِ مَا أَصْحابُ اليمين * [٦] و * وأَصْحابُ الشِّمالِ مَا أصْحابُ الشِّمالِ * [٧] و * القارِعَةُ ما القارِعةُ * [٨] و * عمَّ يتساءَلونَ عن النّبأِ العَظِيمِ *. [٩]

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٣ : ١٨٠ .

(٢) اعراب القرآن للنحاس ٥ : ١٩ وانظر الكشاف ٤ : ١٤٩ / الجامع لأحكام القرآن ١٨ : ٢٥٧ / البحر المحيط ٨ : ٣٢٠ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ١٧٢ .

(٤) سورة الواقعة آية ٨ .

(٥) سورة الواقعة آية ٩ .

(٦) سورة الواقعة آية ٢٧ .

(٧) سورة الواقعة آية ٤١ .

(٨) سورة القارعة آية ١ ، ٢ .

(٩) سورة عم ١ ، ٢ . وانظر البحر المحيط ٨ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٤١٠ ، ٥٠٦ .

وشواهدها في المفضليات قول السفاح اليربوعي :[١]

يا فارساً ما أنتَ مِنْ فارسٍ ؟

مُوَطَّأَ البَيْتِ رحيبَ الذِّرَاعْ

قيل فيها : " ما استفهامية تعجبية ،والمقصود التعظيم ".[٢]

وقول تأبط شرا :[٣]

يا عيدُ مالَكَ من شَوْقٍ وإيراقِ ؟

ومَرِّ طَيْفٍ علَى الأهوالِ طَرَّاقِ

قال التبريزى " مالك من شوق وإيراق : كما تقول : مالك من فارس ! قاتلك الله وأنت تمدحه ".[٤]

وقول الأسود بن يَعْفُر :[٥]

ما بَعْدَ زَيْدٍ في فَتَاةٍ فُرِّقُوا

قتْلاً ونَفْياً بعدَ حُسْنِ تآدِي

قال التبريزى " ما بعد زيد " استفهام على طريق التعجب والإنكار، والمعنى أي غاية بعدهم من العبر ".[٦]

---

(١) المفضلية ٩٢ : ٤ .

(٢) خزانة الأدب ت/ عبدالسلام هارون ٦ : ٩٥ وانظر الحديث عنها في التعجب في الأصول في النحو ١ : ١٠٩ / همع الهوامع ٢ : ٩٢ شرح الأشموني ٢ : ٢٠ .

(٣) المفضلية ١ : ١ .

(٤) شرح المفضليات للتبريزى ١ : ٦ وانظر ٧ .

(٥) المفضلية ٤٤ : ١٧ .

(٦) شرح المفضليات للتبريزى ٢ : ٧٩٦ .

ومن الاستفهام المفيد للتعجب أيضا قوله تعالى * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * (١).

قال الزمخشري : " * فأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ * استضلال لهم كما يقال لتارك الجادّة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب ؟ " (٢)
وشاهده في المفضليات قول الأسود بن يعفر: (٣)

أَيْنَ الذينَ بنوا فَطَالَ بناؤهم
وتَمَتَّعوا بالأهلِ والأولادِ؟

فكأنه تعجب مما آلوا إليه بعد أن ذكر حالهم ، ووصف ما كانوا فيه من نعيم .

ومن أساليب الاستفهام المفيدة للتعجب قوله تعالى * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ؟ * (٤) فيما ذكره السيوطي (٥) قال الفرّاء : " وقوله عز وجل * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ؟ * يعجب العباد من ذلك اليوم " (٦)

وقال أبوحيان : " لأى يوم أجلت؟ ، تعظيم لذلك اليوم وتعجيب لما يقع فيه من الهول والشدة " (٧) كما أفادت التعجب في قوله تعالى * فبأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُون *. (٨)

---

(١) سورة التكوير آية ٢٦ انظر معاني القرآن للفرّاء ١ : ٢٣ والتعجب في مثل (أين تذهبون) يحتاج إلى لون من النبر الذى يشير إلى نقل الأسلوب من حقيقته إلى مجازه .

(٢) الكشاف ٤ : ٢٢٦ .

(٣) المفضلية ٤٤ : ١٤ .

(٤) سورة المرسلات آية ١٢ .

(٥) همع الهوامع ١ : ٩٢ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٢٣ .

(٧) البحر المحيط ٨ : ٤٠٥ وانظر الكشاف ٤ : ٢٠٣ .

(٨) سورة المرسلات آية ٥٠ وانظر البحر ٤٠٨/٤ الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ١٦٨ .

ودلت " أي " على التعجب في المفضليات في قول أبي ذؤيب الهذلي :(١)

حتّى إِذَا جَزَرَتْ مِياهُ رُزُونِهِ
وبأيِّ حِينِ مُلاوَةٍ تَتَقَطَّعُ ؟

قال ابن الأنباري : وقوله " وبأي حين ملاوة " ليست باستفهام بل هو خبر فيه تعجب كقولك : (أي حين دهر انقطع عنه الماء حين لا يصبر عنه ، كما تقول : بأي حين مات ابنه حين رقّ عظمه وكبرت سنه).(٢)

وعبارة السيوطي : ومن ذلك (كيف ومن وما وأي في الاستفهام)".(٣) ولست أرى وجها لهذا التحديد فالاستفهام على إطلاقه يخرج من معناه الحقيقي إلى التعجب ، ومن ذلك في التنزيل ، قوله تعالى * أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوز *(٤) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟)(٥) وقوله تعالى * أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قد أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُم أَنَّى هَذَا *.(٦)

---

(١) المفضلية ١٢٦ : ٢١.

(٢) شرح المفضليات لابن الأنباري ٨٦١.

(٣) همع الهوامع ١ : ٩٢.

(٤) سورة هود آية ٧٢ انظر البحر المحيط ٥ : ٢٤٤.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٢: ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٦) سورة آل عمران آية ١٦٥ وانظر البحر المحيط ٣ : ١٠٧.

٢ - التعجب باسم الفعل :

للتعجب من أسماء الأفعال (وا) كقول الشاعر :

* وَا بِأَبِي أَنْتِ وفوكِ الأشنبُ * (١)

و (واها) كقول الشاعر :

* واهاً لسلمى ثم واهاً واهـاً * (٢)

و (وي) كما في قوله تعالى * وَيْ كَأَنَّ اللَّهَ يبسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ * (٣) وقوله تعالى * وَيْ كَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ *. (٤)

قال سيبويه " وسألت الخليل رحمه الله تعالى عن قولـه : (ويكأنّه لا يُفْلِحُ) وعن قوله تعالى جدّه (ويكأنَّ اللّه) فزعم أنهـا وي مفصولة من كأن ، والمعنى وقع على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نُبّهوا فقيل لهم : أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا ". (٥)

ف " وي " عند الخليل تنبيه ، و " كأن " تشبيه . ولعل الأمر قد التبس على الشيخ خالد الأزهرى فنسب إليها القول بأنّ " وي اسم فعل مضارع بمعنى أعجب ، والكاف حرف تعليل وأن مصدرية مؤكدة (أي أعجب لعدم فلاح الكافرين) ". (٦)

---

(١) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ٦٤٢/شرح الأشموني ٢ : ١٩٩ شواهد العيني ٤ : ٣١٠/ شرح التصريح ٢ : ١٩٧ / مغني اللبيب ٢ : ٣٦٩ .

(٢) انظر المساعد ٢ : ٦٥١ / شواهد العيني ٤ : ٣١١/أوضح المسالك ٤ : ٨٤/ شرح التصريح ٢ : ١٩٢/ شرح الأشموني ٢ : ١٩٩/مغني اللبيب ٢ : ٣٦٩/ شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٧٦.

(٣) سورة القصص آية ٨٢.

(٤) سورة القصص آية ٨٢.

(٥) الكتاب ٢ : ١٥٤.

(٦) شرح التصريح ٢ : ١٩٧.

وهي تقرير عند الفرّاء ،إذ نجده يقول : " وقوله : ويكأن الله في كلام العرب تقرير كقول الرجل : أما ترى إلى صنع الله . وأنشدني :

وَيْكأنْ مَنْ يكُن له نَشَبٌ يحَـ
بَبْ ومَنْ يفْتَقِر يعِش عيش ضُرٍّ

قال الفرّاء : وأخبرني شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك ويلك ؟ فقال « ويكأنه وراء البيت . معناه : أما ترينه وراء البيت . وقد يذهب بعض النحويين إلى أنها كلمتان يريد ويك أنه ، أراد ويلك ، فحذف اللام وجعل (أن) مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويلك اعلم أنه وراء البيت ،فأضمر (اعلم) . ولم نجد العرب تُعمِل الظن والعلم بإضمار مضمر في أن . وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين أو في آخر الكلمة ،فلمّا أضمره جرى مَجرى الترك ، ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن تقول : يا هذا أنك قائم ،ولا يا هذا أن قمت تريد : علمت أو أعلم أو ظننت أو أظن . وأما حذف اللام من (ويلك) حتى تصير (ويك) فقد تقوله العرب لكثرتها في الكلام قال عنترة :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وأبرأ سُقْمَها
قولُ الفوارِسَ وَيْكَ عنترَ أقدم

وقد قال آخرون : إنّ معنى (وي كأنّ) أن (وي) منفصلة من (كأن) كقولك للرجل : وي ،أما ترى ما بين يديك ، فقال : وي ، ثم استأنف (كأن) يعني (كأنّ اللّهَ يبسُطُ الرِّزْقَ) وهي تعجب ، و (كأنّ) في مذهب الظن العلم . فهذا وجه مستقيم. ولم تكتبها

العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة . وقد يجوز أن تكون كثُر بها الكلام فوصلت بما ليست منه ، كما اجتمعت العرب على كتاب (يا ابنَ أُمَّ) (يا بنؤُمَّ) قال : وكذا رأيتها في مصحف عبدالله . وهي مصاحفنا أيضا ". (١)

مما تقدم نرى أنَّ في هذا التركيب مذاهب :

الأول : (وي) تنبيه ، و (كأن) تشبيه ، وهو قول الخليل وسيبويه .

الثاني : (ويك) الكاف موصوله بـ (وي) و (أن) منفصلة عنها ، والمعنى تقرير ، وهو قول الفرّاء .

الثالث : (ويك) بمعنى ويلك ، حذفت اللام وفتحت (أن) باسم الفعل قبلها وهو مذهب الكسائي .

وأبو الحسن على أن الكاف حرف خطاب ، وقيل للتشبيه . (٢)

ومن شواهده في الشعر ، قول زيد بن عمرو بن نفيل :

سألتاني الطلاقَ إذ رأتاني ... قلَّ مالي ، قد جئتماني بنكرِ

ويكأنْ مَنْ يكُنْ له نشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ ومَنْ يَفْتَقِر يَعِش عَيْشَ ضُرِّ (٣)

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ : ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٢) انظر شرح التصريح ٢ : ١٩٧ / البرهان في علوم القرآن ٤ : ٤٤٣ ، ٤٤٤ / شرح الأشموني ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠ حاشية الصبان على الأشموني ٣ : ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣) انظر الكتاب ٢ : ١٥٥ / المساعد ٢ : ٦٤٢ / شرح الأشموني ٢ : ٢٠٠ / الصاحبي في فقه اللغة ١٧٧ .

وقد دلت " هيهات " و" شتان " على التعجب في المفضليات

وشاهد الأول قول الشنفرى الأزدي :[(١)]

خَرَجْنا مِنَ الوَادِي الّذي بينَ مِشْعَلٍ

وبيْنَ الجَبَاهَيْهاتَ أنشأْتُ سُرْبَتِي

قال التبريزى " قد تفيد مع البعد معنى التعجب ".[(٢)]

والشاهد الثاني قول عوف بن عطية :[(٣)]

فَشَتَّانَ مُخْتَلِفٌ بَالُنَا

يُرَعِّي الخَلَاءَ ونَبْغِي الغِوَارَا

قال التبريزى " أي شد ما اختلف أحوالنا ،لأن شتان يتضمن معنى التعجب ".[(٤)]

قال الرضيّ " ومنه شتان بمعنى افترق مع تعجب أي ما أشد الافتراق ".[(٥)]

ولعل التعجب آت لـ" شتان " و" هيهات " من المبالغة في معنييهما حتى تجاوزتا الحد الذي ينبغي أن يكون في مثلهما ، وهذا جزء من معنى التعجب ، قال ابن عصفور " وهو استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قلّ نظيره".[(٦)]

---

(١) المفضلية ٢٠ : ١٦ .

(٢) شرح المفضليات للتبريزى ١ : ٣٨٨ .

(٣) المفضلية ١٢٤ : ٢١ .

(٤) شرح المفضليات للتبريزى ٣ : ١٣٨٣ .

(٥) شرح الكافية للرضي ٢ : ٧٤ .

(٦) شرح الجمل ١ : ٥٦٦ وانظر شرح التصريح ٢ : ٨٦ .

٣ - التعجب بـ " الدعاء " :

ومنه التعجب بـ " ويل " في قول جبيهاء الأشجعي : (١)

وَيْلُمِّـها كانَتْ غَبُـوقَةَ طـــــارِقٍ

تَرَامَىٰ به بِيدُ الإِكامِ القَـــرَاوِحُ

وقول حاجب بن حبيب : (٢)

وَيْلُ امِّ قومٍ رَأَيْنـا أَمْسِ سَادَتَهُمْ

فِي حادِثاتٍ أَلَمَّـت خَيْرَ جيـــرانِ

قال ابن الأنبارى " العرب تقول للرجل ويلُهِ وويلِهِ تمدحه بذلك ، ويلمه ما أشجعه ما أحنقه ... " (٣)

وقال التبريزى " وذكر الويل هنا كذكر القتال في قولهم : قاتله الله ما أشجعه وما أفرسه " (٤)

والخلاف في " ويلمه " في الأصل الذي ترجع إليه " وي " اسم فعل و " لأمه " كما قيل في بيت امرىء القيس أن " ويك " (وي لك) وحذفت منها اللام ، أو " ويل لأمه ".

ومن استعمالاتها في التعجب قول امرىء القيس :

---

(١) المفضلية ٣٣ : ٦ .

(٢) المفضلية ١١١ : ١٠ .

(٣) شرح المفضليات لابن الأنبارى ٣٣٢ .

(٤) شرح المفضليات للتبريزي ٢ : ٦٢٢

ويلمها في هواء الجوّ طالبة

ولا كهذا الّذي في الأرض مطلوب (١)

قال ابن السّراج " وإذا قلت ويل أمه رجلا ومن رجل فهو تعجب ".(٢) وجاء في اللسان :ويرد الويل بمعنى التعجب .

وقيل " وي " كلمة مفردة ،و" لأمه " مفردة وهي كلمة تفجع وتعجب .(٣)

وذكر الرضي (٤) والسيوطي دلالة " ويله " على التعجب.(٥)

وجاء عن الخليل في حديثه عن " لن " أنها " لا أن " ، ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم كما قالوا ويلمه يريدون : وي لأمه.(٦)

وقال ابن جني : ويلمه إنما أصله ويل لأمه يدل على ذلك ما أنشده الأصمعي :

لأمّ الأرض ويْلٌ ما أجَنَّت

غداة أضرَّ بالحسنِ السبيلُ

فحذف لام " ويل " وتنوينه لما ذكرنا ،وحذفت همزة " أم " فبقي ويلمه فاللام الآن لام الجر ، كما حذف الجار من قولك: آلله افعل.(٧)

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٩٤ / خزانة الأدب ٤ : ٩٠ ، ٩١ ت عبد السلام هارون .

(٢) الأصول في النحو ١ : ١١٠ .

(٣) انظر لسان العرب ١١ : ٧٣٨ - ٧٤٠ مادة (ويل) .

(٤) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٧ .

(٥) همع الهوامع ٢ : ٩٢ .

(٦) الكتاب ٣ : ٥ .

(٧) الخصائص ٣ : ١٥٠ وانظر شرح الحماسة للتبريزي عالم الكتب /بيروت ٣ : ٣٥ .

وقال الفرّاء : الأصل وي للشيطان . أي حزن للشيطان من قولهم : وي لم فعلت كذا وكذا ورجل ويلُمه ، يريدون ويل امه ، كما يقولون " لا بالك " يريدون " لا أبا لك " فركّبوه وجعلوه كالشـــــي ء الواحد .

وقيل : " وي " كلمة مفردة ولامه مفردة . . . ، وحُذفت الهمزة من " أمه " تخفيفا وألقيت حركتها على اللام . (١)

" والخطيب التبريزى يرى أن أصل " ويلمه " ويل لأمه فالمصدر مبتدأ والجار والمجرور بعده خبر ، وقد حذف شيآن : اللام من ويل ، والهمزة من أم .

قال : " لفظة ويل إذا أُضيفت بغير اللام فالوجه فيها النصب ، فتقول : " ويل زيد" والمعنى ألزم الله زيداً الويل ، فإذا أُضيفت باللام فقيل ويل لزيد " فحكمه أن يُرفع فيصير ما بعده جملة ابتدىء بها وهي نكرة ، لأنّ معنى الدعاء منه مفهوم والمعنى الويل ثابت لزيد ، كأنه عده محصلا ، كما يقال : رحم الله زيداً ، فتجعل رحمة الله خبرا ، وإذا كان حكم ويل هذا قد ارتفع في قوله (ويلم لذات الشباب) فحذف من أم الهمزة ، واللام من ويل ، وقد ألقى حركة الهمزة على اللام الجارة فصار " ويلم " بضم اللام ، وقد قيل ويلِم بكسر اللام ، كما قيل الحمدُ لُله ، والحمدِ لِله ، بضم الدال وضم اللام إتباعا لها ، والثانية بكسر الدال إتباعا لكسرة لام الجر بعدها . (٢)

---

(١) انظر لسان العرب ١١ : ٧٣٩ ، ٧٤٠ مادة (ويل) .

(٢) شرح الحماسة للتبريزى ٣ : ١٠٩ ، فالضمة في اللام تحتمل أن تكون حركة إعراب أو نقل ، والكسرة حركة إتباع لا غير .

ومن شواهدها في الشعر قول الهذلي :

وَيْلُمِّه رجُلاً تأبى به غَبنَـــــا

إذا تجرَّد ، لا خالٌ ، ولا بَخِـلُ

وقول الآخر :

وَيْلُمِّهِ مِسْعَر حَـــرْبٍ إذا

أُلْقِيَ فيها وعليه الشليـلُ (١)

وقول ذو الرُّمة :

ويلُمِّها روحة والريحُ مُعْصِفةٌ

والغيثُ مُرتجز ، والليلُ مُقتربٌ (٢)

وقول علقمة بن عبده :

وَيْلُمِّ أيام الشبابِ معيشــة

معالكثير يُعطاه الفتى المُتلِف النَدى (٣)

وقول الهُذَلي :

فويلُ امِّ بزَّجرِّ شَعْلَ عَلَى الحَصَى

وَوُقِّرَ بَزٌ ما هُنالِك ضائِــعُ (٤)

والذي نميل إليه أنها تركبت من " ويل ولأمه " تركيبا أشبه ما يكون بالتركيب المزجي ، فأصبحت " ويلمه " صورة جديدة لا يبحث فيها

---

(١) الإنصاف ٢ : ٨٠٩ ، ٨١٠ .

(٢) شرح الكافية للرضي ١ : ٢١٨ وانظر الإنتصاف من الإنصاف ٢ : ٨١١ الخزانة ٣ : ٢٧٣ - ٢٧٨ ت . عبد السلام هارون .

(٣) انظر شرح الكافية للرضي ١ : ٢١٩ / شرح الحماسة ٣ : ١٠٩ / الإنتصاف من الإنصاف ٢ : ٨١١ ، خزانة الأدب : ٣ : ٢٧٩ ، ت. عبد السلام هارون .

(٤) لسان العرب ٤ : ١٢ مادة (بزز) .

عن " ويل " منفردة ،ولا عن "أم" منفردة بل يُنظر إليها على حالها من التركيب والامتزاج وأصبحت دالة على التعجب .

ودلالة الدُعاء على التعجب وارده في الاستعمال العربي ،فمن ذلك " قاتله الله من رجل ".(١)

وقول جميل بثينة :

رَمَى اللَّهُ في عَيْنَي بُثَيْنَةَ بِالقَــذَى

وفي الغُرِّ من أنيابِها بالقَـــوادحِ (٢)

ومنه : ويله رجلا (٣) ومن التعجب بالدعاء أيضا قولهم " لاشَلَّ عَشْرَهُ ".(٤)

ومنه أيضا " ويحك ، وويحه " قال سيبويه " ومع هذا أيضا أنك إذا قلت ويحه فقد تعجبت وأبهمت ،من أي أمور الرجل تعجبت ، وأيَّ الأنواع تعجبت منه ،فإذا قلت فارساً وحافظاً فقد اختصصت ولم تبهم ،وبينت في أي نوع هو".(٥)

---

(١) شرح الكافية للرضي ٢ :٣٠٧ .

(٢) ديوان جميل شاعر الحب ، جمع وتحقيق د/ حسين نصَّار ،دار مصر للطباعة ١٩٧٧/ ٥٣ .

(٣) همع الهوامع ١ :٩٢ .

(٤) شرح الكافية للرضي ٢ :٣٠٧ .

(٥) الكتاب ٢ : ١٧٤ .

٤ - التعجب بـ " الجار والمجرور ".

قال سيبويه " وبعضُ العرب يقول في هذا المعنى : لا ، فيجيء باللام ، ولا تجيء إلاَّ أن يكون فيها معنى التعجب ، قال أمية بن أبي عائذ الهذلي :

لَلّه يَبْقَى على الأيامِ ذو حَيَدٍ
بِمُشْمَخِرٍ بهِ الظيانُ والآسُ "[١]

ومن ذكر دلالتها على التعجب ابن السّرّاج [٢] ، وابن مالك [٣] ، والأشموني [٤] وابن هشام [٥] والتبريزى [٦] وابن منظور [٧] .

وقال ابن فارس في حديثه عن اللام " وتكون للتعجب نحو لله دره ". [٨]

وذكر السيوطي أنها للتعجب مع القسم . [٩]

---

(١) الكتاب ٣ : ٤٩٧ وانظر ٢ : ١٧٤ .
وفي نظرى أن هذا ليس فيه تعجب ، فاللام للقسم ويبقى جوابه ، حذفت منه اللام ، كما حذفت في قوله تعالى * تاللّه تفتوء تذكر يوسف * سورة يوسف آية ٨٥ .

(٢) انظر الأصول في النحو ١ : ١٠٩ .

(٣) شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٧٦ .

(٤) شرح الأشموني ٢ : ٢٠ .

(٥) أوضح المسالك ٣ : ٢٥٠ / مغني اللبيب ١ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٦) شرح الحماسة للتبريزى ٢ : ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٧) لسان العرب ١ : ٥٨١ ، مادة (عجب) .

(٨) الصاحبي في فقه اللغة ١٤٩ .

(٩) همع الهوامع ٢ : ٩٢ وانظر الاشباه والنظائر ٣ : ٢٢٢ .

ولها شواهد ستة في المفضليات ،في قول ذي الأصبع العَدْوانِي : (١)

لاهِ ابنَ عمِّكَ لاَ أفْضَلْتَ في حَسَبٍ

عَنِّي ،ولاَ أنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

وقال العيني " أصله لِلّهِ در ابن عمك وهذا يُقال في المدح ، ومعناه لله خير ابن عمك ،والدر : اللبن ، يقال في الذم : لا در دره ، أي لا كَثُر خيره ". (٢)

وقال الميداني " أي خيره وعطاؤه وما يؤخذ منه هذا هو الأصل ،ثم يقال لكل متعجب منه : لله دره ". (٣)

والأصل في قوله (لاه ابن عمك) لِلّه ابن عمك ، بلامات ثلاثة ، الأولى لام الجر ، والثانية لام التعريف ،والثالثة لام الكلمة فقيل فيه : " لاه ابن عمك " (٤) كضرب من التخفيف .

---

(١) المفضلية ٣١ : ٤.

(٢) شواهد العيني ٣ :٢٨٩ وانظر شرح الكافية للرضي ٢٢٣/١.

(٣) مجمع الأمثال للميداني ٢ :١٢٥.

(٤) الأصل إله على فِعال ، حُذفت الهمزة فصارت (لاه) على وزن (عال) ثم دخلت (أل) المعرفة تعويضا عن المحذوف ،فصارت (الله) ثم دخلت لام الجر فصارت لله ، اذن فالأولى لام الجر، والثانية لام التعريف والتعويض معا ،والثالثة عين الكلمة.

واختلف في المحذوف من هذه اللامات فقيل :

حذفت لام الجر ولام التعريف ، والباقية هي فاء الكلمة ، ودليل ذلك أن اللام الباقية مفتوحة ، ولام الجر مكسورة ، ولام التعريف ساكنة ، وهو مذهب سيبويه .(١)

وقيل المحذوف لام التعريف وفاء الكلمة ، والباقية هي لام الجر ، وكان الفتح فيها عارضا من أجل الألف ، إذ لو كُسِرت لانقلبت الألف ياء .

ودُلِّل على هذا بأن حرف الجر لا ينحذف ويبقى عمله إلاّ شذوذا ، وهو مذهب المُبَرِّد .(٢)

ورد قوله الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد بقوله " وهذا الكلام مردود بأنّ اللام قد فتحت وليس بعدها ألف في قولهم " لهِى أبوك " بمعنى لله أبوك ، فلو كانت هذه اللام هي الجارة لبقيت مكسورة حيث لا مقتضى لفتحها ، فلما رأيناهم فتحوها بكل حال ، وكنا نعلم أن لام الجر تفتح إلاّ إذا كان المجرور مضمرا أو مستغاثا به علمنا أنها مع هذا الاسم الظاهر ليس مستغاثا به ليست لام الجر ".(٣)

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ١١٥ ، ١٦٢ ، ١٦٣ / ٣ : ٤٩٨ .

(٢) انظر منع المُبَرِّد حذف حرف الجر في المقتضب ٢ : ٣٣٦ ، ٣٤٨ / ٣ : ٦١ .

(٣) عدة السالك ٣ : ٤٤ والبيت شاهد نحوى دار كثيرا في كتب النحاة انظر شرح المفصل ٨ : ٥٤ / مغني اللبيب ١: ١٤٧ / خزانة الأدب ت/ عبد السلام هارون ٧ : ١٧٣ - ١٧٧ / الإنصاف ١ : ٣٩٤ / الإنتصاف من الإنصاف ١ : ٣٩٤ / شواهد العيني ٣ : ٢٨٦ ، ٢٨٩ / الخصائص ٢ : ٢٨٨ .

وما ذهب إليه الشيخ محي الدين عبد الحميد جدير بالقبول ، إذ أنّ حذف حرف الجر مع بقاء عمله بعيد في القياس ، وقد بينت ذلك في فصل القسم وهو من توسعات العرب ، مثل قولهم : اللّهِ لأفعلن ، بحذف حرف القسم مع بقاء عمله .

ومن شواهده في المفضليات قول الأخنس بن شهاب :(١)

فلّلهِ قومٌ مِثلُ قَوْمِي سُوقَةً
إذا اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الملوكِ العصائبُ

وقول المُرَقِّش الأكبر :(٢)

للّهِ دَرُّكُما ودَرُّ أبيكُما
إنْ أفلَتَ الغُفَلِيُّ حتّى يُقْتَلا

وقول أفنون التغلبي :(٣)

إذ قَـرَّبُوا لابن سَوّارٍ أبا عِبرَهُم
لِلّهِ دَرُّ عطاءٍ كان ذا غبنِ

وقول مَرّة بن هَمّام :(٤)

للّهِ عوفٌ لا يَسـاً أثوابَهُ
يا لهفَ نَفْسِي رِقْنَ ما أنْ يُغْلَبا

---

(١) المفضلية ٤١ : ٢٥ .

(٢) المفضلية ٤٥ : ٠٤ .

(٣) المفضلية ٦٦ : ٠٧ .

(٤) المفضلية ٨٢ : ٩ .

وقول بشر بن أبي خازم :(١)

أَجَبْنَا بَنِي سَعْدِ بنِ ضَبّةَ إذْ دَعَوا

ولِلّهِ مولى دعوةٍ لا يُجِيبُهَا

٥ - التعجب بأسلوب النّداء :

قال سيبويه " وأمّا في التعجب فقوله ،وهو فرّار الأسدى :

لَخُطّابُ ليلى يا لَبُرْثُنَ مِنكُمُ

أَدَلُّ وأمضى من سُلَيكٍ المقانِبِ

وقالوا : يا للعجب ، ويا للغليقة ، كأنهم رأوا أمراً عجباً فقالوا : يا لبرثُن ،أي مثلكم دُعِي للعظائم.

وقالوا : يا للعجب ويا للماء ،لما رأوا أمراً عجباً أو رأوا ماءً كثيراً ،كأنّه يقول : تعال يا عجبُ أو تعال يا ماءُ فإنّه من أيامك وزمانك.

ومثل ذلك قولهم : يا للدواهي ،أي تعالين فإنّه لايُستَنكَر لَكُنَّ ،لأنه من أبّانكنّ وأحيانكن ".(٢)

ومن شواهده قول الشاعر :

يَا عَجَبًا لِهذِهِ الفليقةْ

هل تُذهِبَنَّ القُوباءَ الرِّيقةْ(٣)

---

(١) المفضلية ٩٦ : ٨ .

(٢) الكتاب ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨.

(٣) مغني اللبيب ٢ : ٣٧٢ .

وقول الشاعر :

فيالكَ مِن ليلٍ كأنَّ نجومَـــــه

بكلِّ مغارِ الفتلِ شُدَّت بيذبُـل (١)

وقول الآخر :

يا دينَ قلبك منها لستَ ذاكرها

إلاَّ ترقرق ماءُ العينِ أو دمَعَـــا (٢)

ويقال " ياللماء " و " يا للعشب " و " ياللعجب " كله علـــى معنى التعجب . (٣)

وإن كان التعجب ليس بالنّداء بل الأسلوب محتمل للنّداء والتعجب معا فهو تعجب بمصدر الفعل أعجب ، فكأنه قال : يا قوم اعجبوا للماء ، ويا قوم اعجبوا للعشب ، وعليه كل ما جاء من التعجب على هذه الصورة.

ومثله قول العرب (يا ضُلَّ ما تجرى به العصى) وتقدير الكلام : يا قومي ما أضلَّ ، أي : ما أهلك ما تجرى به العصى . (٤) وقول العـــرب: يا للأفيكة ويا للبهيمة ويا للعظيهة ،كلها يضرب عند المقالة يُرمـــى صاحبها بالكذب ،واللام في كلها للتعجب ، وهي مفتوحة. (٥)

---

(١) مغني اللبيب ١ : ٢١٥ .

(٢) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٤ : ٧٣ ، التَقَدُّم ١٣٢٣ .

(٣) انظر المقتضب ٤ : ٢٥٤ / مغني اللبيب ١ : ٢١٤ ، ٢١٥ / همع الهوامع ٢ : ٩٢ / المساعد ٢ : ٥٢٦ / شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٧ / شرح الفضليات للتبريزى ١ : ٧ / الأصول في النحو ١ : ١١٠ .

(٤) (٥) مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٣٣٣ .

والتعجب بلام الجر وحرف النداء كما في قول العرب (يا لَكَ مِنْ ضرسٍ للخبيثاتِ يَهْضِمَ) يضرب للفحّاش العيّاب.(١)

وقول العرب (يالهابِعة لو أنّ لي سِعة).(٢)

٦ - التعجب بأسلوب القسم :

كما في " تالله " وبالألفاظ المقترنة باسم الجلالة كما في : " سبحان الله " إذ تصحب أحيانا بالتعجب .

قال سيبويه " ... ،فكاليوم كقولك في اليوم ،لأنّ الكاف ليست باسم . وفيه معنى التعجب ،كما قال : تاللّهِ رجلا سبحان اللّه رجلا ،وإنما أراد تاللّه ما رأيت رجلا ،ولكنه يترك الإظهار استغناءً لأنّ المخاطب يعلم أنّ هذا الموضع إنّما يضمر فيه هذا الفعل ،لكثرة استعمالهم إياه ".(٣)

وقال المبرّد " وقد تقع التاء في معنى التعجب ".(٤)

ومما جاء بـ" سبحان الله " قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة (سبحان اللّه إنّ المؤمن لا ينجُس).(٥)

---

(١) مجمع الأمثال ٢ : ٢٥٢.

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٣٤١.

(٣) الكتاب ٢ : ٢٩٤.

(٤) المقتضب ٢ : ٣٢٤ وانظر الأصول في النحو ١ : ٤٣٠/ مغني اللبيب ١ : ١١٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ : ٦٦، ٦٧.

والأساليب المقترنة بلفظ الجلالة دالة على التعجب كثيرة ،فمنها (لا إلاه إلاّ اللّه) و (العظمة للّه من رب) و (للّه لا يؤخر الأجل).(١)

٧ - التعجب بأسلوب النفي :

قال سيبويه في قول جرير :

يا صاحبيّ دنا الرّواحُ فسيرا
لا كالعشيةِ زائراً ومزوراً

فلا يكونُ إلاّ نصباً ،من قبل أنّ العشية ليست بالزائر ،وإنما أراد : لا أرى كالعشية زائراً ،كما تقول : ما رأيت كاليوم رجلاً ، فكاليوم كقولك في اليوم ، لأنّ الكاف ليست باسم ،وفيه معنى التعجب .....

وتقول : لا كالعشية عشيةٌ ،ولا كزيدٍ رجلٌ ،لأنّ الآخر هو الأولُ ،ولأنّ زيداً رجلٌ ،وصار لا كزيد كأنّك قلت : لا أحدَ كزيد ، ثم قلت رجلٌ ،كما تقول : لا مال له قليلٌ ولا كثيرٌ على الموضع .

قال الشاعر ،امرؤ القيس :

وَيْلِمِّها في هواءِ الجوّ طالبةً
ولا كهذا الّذي في الأرضِ مطلوبُ

---

(١) انظر الكتاب ٢ :٢٩٣ / همع الهوامع ٢ :٩٢ / شرح التصريح ٢ :٨٦ / أوضح المسالك ٣ :٢٥٠ / شرح الأشموني ٢ :١٩/١ حاشية الصّبان على الأشموني ٣ :١٧ / حاشية ياسين على التصريح ٢ :٨٦ / الأصول في النحو ١ :١٠٩.

كأنه قال : ولا شيءٌ كهذا ، ورفَع على ما ذكرتُ لك ، وإن شئت نصبته على نصبه :

فَهَل في مَعَدٍّ فوق ذلك مِرْفَدا

كأنَّه قال : لا أحد كزيد رجلا ، وحمل الرجل على زيد ، كما حمل المرفد على ذلك ، وإن شئت نصبته على ما نصبت عليه لا مال له قليلاً ولا كثيراً (١).

ومما دل فيه النفي على التعجب ، قول الشاعر :

يا جَارَتا مَا أَنتِ جَارَه

عند من يجعل (ما) نافية . (٢)

وشاهد التعجب بطريق النفي في المفضليات قول الحارث بن حِلزة : (٣)

طَرَقَ الخيالُ ولا كليلةِ مُدلِجِ

سَدِكاً بأرحُلنا ولم يَتَعَرَّجِ

قال ابن الأنباري : وقوله " ولا كليلة مدلج " تعجب ، أي : لم أر كليلة هذا الخيال المدلج الَّذي سار الليل كلّه . (٤)

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وانظر شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٧ / همع الهوامع ٢ : ٩٢ / .

(٢) انظر حاشية الصبّان على الأشموني ٣ : ١٧ .

(٣) المفضلية ٦٢ : ١ .

(٤) شرح المفضليات لابن الأنباري ٥١٥ .

٨ - التعجب بالفعل الدال على إنشائه :

وذلك كأن ترى شيئا تنكره أو تظن أن لا نظير له فتقول (عجبا) وما حملوه على ذلك قول الأعشى :

تقولُ ابنتي حينَ جَدَّ الرَّحيــــلُ

فأبرحت ربأ وأبْرَحْتَ جـــــارا (١)

وهذه صيغة قياسية عند الكوفيين قال السيوطي " قال الكوفية وأفعـــل بغير " ما " مسندة إلى الفاعل نحو قوله : فأبرحت فارسا ، أي ماأبرحك فارساً ، وبعضهم وأفعل من كذا " (٢) واستشهد له بقول الشاعر :

ومُــرَّةُ تَحْمِيهم إذا ما تبــدَّدْا

وتطعَنُهم شَــزْراً فأبرحت فارســـاً

قال أبوحيان : وزاد الكوفيون أفعل بغير ما مسندة إلى الفاعل نحو قوله : ومرة تحميهم .. ألخ

قال بعض أصحابنا : وما ذكروه فيه معنى التعجب لكنه ليس من هذا الباب بل هو من باب لِلّهِ درُّه فارسا وكفى بك فارسا. (٣)

فقيل : معنى " أبرحت " عظمت أو أعجبت " (٤) وممن ذكرها في الأساليب الدالة على التعجب الشيخ الرضي (٥) ، وذكر السيـــوطي

---

(١) الكتاب ٢ : ١٧٥.

(٢) همع الهوامع ٢ : ٩٠ / وانظر شرح التصريح ٢ : ٨٩.

(٣) الدرر اللوامع ٢ : ١١٩.

(٤) انظر عدة السالك ٢ : ٣٦٧ ، ٣٦٨.

(٥) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٧.

" أعجبوا لزيد رجلا أو من رجل " ، في الدلالة على التعجب . بالإضافة إلى أساليب أخرى منها : إنك من رجل لعالم ، وكفاك به رجلا [١] مما يدل على أنّ أساليب التعجب السماعية كثيرة لا تندرج تحت قاعدة معينة ، وليس لها ضابط سوى المقام والإستعمال .

وزاد بعضهم صيغة (فَعُل) بضم العين كما في قوله تعالى ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً ﴾ [٢] وزاد البعض الاخر (أفعل) التفضيل تمسكا بقول سيبويه " أنّ أفعل وما أفعله وأفعل به بمعنى واحد [٣] ، وقال أبو عبيده في (كبرت) من الآية السابقة " نصب على التعجب أي : أكبر بها كلمة ، أي : من كلمة ". [٤]

---

(١) همع الهوامع ٢ : ٩٢ .

(٢) سورة الكهف آية ٥ .

(٣) انظر شرح التصريح ٢ : ٨٩ / شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٩٤
الكتاب ٤ : ٩٧ .

(٤) البحر المحيط ٦ : ٩٧ .

التمييزُ مع أساليب التعجب

بعض أساليب التعجب المتقدمة يصحبها التمييز ، إمّا منصوبا ، وإما مجروراً بـ " من " ومن هذه الأساليب :

١ - ويحه ، فيقال : ويحه رجلا ، ويحه من رجل .

٢ - لِلّه ، فيقول : لِلّه دَرّه رجلا ، ولِلّه دَرّه من رجل .

٣ - حسبك ، فيقال : حسبك به رجلا ، وحسبه من رجل .

٤ - ويلمه ، فيقال : ويلُمه رجلا ، ويلُمه من رجل .

٥ - " ما " ، فيقال : يا رجلا ما أنت من رجل ، ويا رجلا ما أنت رجلا .

٦ - " يا " ، فيقال : يا حسنه رجلا ، ويا حسنه من رجل .

ودخول " من " في هذه المواضع كدخولها في " كم " توكيدا .(١)

---

(١) انظر الكتاب ٢ : ١٧٤ / شرح التصريح ١ : ٣٩٨ - ٣٩٩ / أوضح المسالك ٢ : ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، شرح الكافية للرضي ١ : ٢١٨ ، ٢١٩ / ٢٢٠ / الأصول في النحو ١ : ١١٠ .

أساليب التعجب القياسية

للتعجب صيغتان قياسيتان ،وهما :

١ - ما أفعله .

٢ - أفعل به . وفي كل منهما خلاف كثير بين النحاة . ونعرض له فيما يلي :

أولا - ما أفعله :

اختلف في (ما) في هذه الصيغة ، فكان للنحاة فيها مذاهب وهي :

١ - أنها نكرة تامة بمعنى شيء ،وهذا قول سيبويه ،وعليه جمهور البصريين والأخفش في أحد أقواله.(١)

ولم تكن لها صلة ، لأنّ الصلة توضيح ،والتعجب إبهام ،ولم توصف لنفس السبب ،وابتدىء بها لتضمنها معنى التعجب(٢) ويضعف هذا القول أن استعمال (ما) نكرة غير موصوفة نادر نحو " فنعما هي " على قول ،ولم تسمع مع ذلك مبتدأ.(٣)

---

(١) الكتاب ١ : ٧٢ ،وانظر المساعد ٢ : ١٤٨ / المقتضب ٤ : ١٧٣ الأصول ١ : ٩٩ / اللمع ١٩٧ / عدة السالك ٢ : ٢٥١ / التبصرة والتذكرة ١ : ٢٦٥/ معاني الحروف ٨٧ / شرح المفصل ٧ : ١٤٩ / الإتقان ١ : ٢٢٩ ،المقتصد ١ : ٣٧٣ ، ٣٧٥ / شرح التصريح ٢ : ٨٧ .

(٢) انظر شرح التصريح ٢ : ٨٧/ حاشية الصبّان على الأشموني ٣ : ١٧/ المساعد ٢ : ١٤٨/ الكتاب ١ : ٧٢ / المقتضب ٤ : ١٧٣/مغني اللبيب ١ : ٢٩٧ / التبصرة والتذكرة ١ : ٢٦٥.

(٣) انظر شرح الكافية للرضي ٢ : ٣١٠.

٢ - أنّها نكرة موصوفة بأفعل ، وهو قول ثاني للأخفش ، وإليه ذهب بعض الكوفيين .

٣ - أنّها نكرة موصولة بمعنى الّذي ، ومابعدها صلة فلا موضع لها .

وعلى هذين الوجهين الخبر محذوف وجوبا تقديره : أي شيء عظيم .

وحذف الخبر هنا مردود لمخالفة النظائر ، فلا يُحذف الخبر دون شيء يسد مسده كما في لولا ، فما اقتضى هذه الدعوة لزوما باطلا لبطلانها ، والجهة الثانية التي خالف منها النظائر تقديم الإفهام بالصلة أو الصفة وتأخير الإبهام بالتزام حذف الخبر ، والمعتاد في مثل هذا تقدُّم الإبهام.[1]

٤ - أن تكون استفهامية ، وهو قول الفرّاء[2] وابن درستويه ، ومنسوب للكوفيين .[3]

قال الرضي " وهو قوى من حيث المعنى لأنه كان جهل سبب حسنه فاستفهم عنه . وقد يُستفاد من الإستفهام معنى التعجب نحو قوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾.[4]

---

(١) انظر المساعد ٢ : ١٤٨ ، ١٤٩ / شرح الأشموني ٢ : ٢٠/حاشية الصبّان ٣ : ١٨/ أوضح المسالك ٣ : ٢٥١ ، عدة السالك ٣ : ٢٥١ ، ٢٥٢/ شرح التصريح ٢ : ٨٧/ شرح الكافية للرضي ٢ : ٣١٠ .

(٢) انظر معاني القرآن للفرّاء ١ : ١٠٣ .

(٣) انظر الجنى الداني ١ : ٣٣٧/ المساعد ٢ : ١٤٨ / عدة السالك ٣ : ٢٥٢/ حاشية الصبّان ٣ : ١٧/ شرح الأشموني ٢ : ٢٠/شرح الكافية للرضي ٢ : ٣١٠/ شرح التصريح ٢ : ٨٧ .

(٤) سورة الانفطار آية ٧ .

وقيل : مذهبه ضعيف من حيث إنه نقل من معنى الاستفهام إلى التعجب فالنقل من إنشاء إلى انشاء مما لم يثبت ".[١]

وقال ابن مالك : " وهو موافق لقولهم باسمية أفعل فإنّ الإستفهام المشوب بالتعجب لا يليه إلاّ الاسماء نحو ﴿ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾[٢][٣] واستبعده ابن يعيش إعتمادا على أنّ التعجب خبر ، والاستفهام إنشاء.[٤]

وقال الأستاذ عبد السلام هارون :" والذى أرجحه من هذه الأقوال ما ذهب إليه الفرّاء وابن درستويه : أنها استفهامية مضمنة معنى التعجب، وذلك لأمرين : أحدهما معنوي والآخر صناعي .

أمّا المعنوى فلأنّ أبلغ أساليب التعجب ما كان منقولاً عن الاستفهام، تقول : ما هذا الجمال ، وما ذاك الحسن ! وفي هذا الأسلوب يسأل المُتعجِب عن سبب الحسن ، إشارة إلى أنّ للحسن أسبابا كثيرة تستدعي السؤال .

وأما الصناعي فلأنها وهي بمعنى الاستفهام لا تحتاج إلى تقدير محذوف ، وبمعنى الموصولة والنكرة الموصوفة تحتاج إلى تقدير الخبر ،

---

(١) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣١٠ .
(٢) سورة الواقعة آية ٢٧ .
(٣) شرح التصريح ٢ : ٨٧ وانظر عدة السالك ٣ : ٢٥٢ / همع الهوامع ٢ : ٦٠ .
(٤) شرح المفصل ٧ : ١٤٩ وانظر الإنصاف ١ : ١٣٧ .

أي شيء عظيم . ولا يخفى ما في ذلك من التكلف . وأمر آخر يدعم هذا الرأى فيما أرى ، وهو مراعاة التناسق بين هذه الصيغة وأختها ، أي صيغة أفعل به ، لتكون كل منهما صيغة إنشائية من جهة اللفظ والمعنى معا ، أو من جهة اللفظ فحسب ". (١)

والفرّاء أجاز فيها الاستفهام والتعجب ، قال في قوله تعالى ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (٢) " فيه وجهان : أحدهما معناه : فما الّذي صبّرهم على النار ؟ والوجه الآخر : فما أجرأهم على النار ". (٣)

والخلاف الثاني في هذه الصيغة في (أفعل) اسم أم فعل ؟

فالبصريون على أنها فعل بدليل لحاق نون الوقاية بها وهو من خواص الأفعال ، ولحاقها ببعض الحروف كلكن وليت وإنّ ليس على الأصل ، ولزومه للفتح ، ولو كان اسما لارتفع إذ وقع خبرا لما ، وعمله النصب في المعارف ، كما يعمله في النكرات ، ولو كان اسما لاختص بنصب النكرات على التمييز نحو " هو أقبح القوم عرجا ". ووافق البصريين في هذا الكسائي وهشام.

وذهب الكوفيون إلى أنها اسم ، بدليل جمودها ، والجمود من خواص الأسماء ، وتصغيرها كما في قول الشاعر:

---

(١) الأساليب الإنشائية لعبد السلام هارون ط/ الثانية ٩٦ ، ٩٧.
(٢) سورة البقرة آية ١٧٥.
(٣) معاني القرآن للفرّاء ١:١٠٣.

يَا مَا أُميلِحَ غزلاناً شَدَنَّ لنَا
مِنْ هؤليّائكنّ الضَالِ والسَّمُر

والتصغير من خواص الاسماء أيضا ،ومن أدلتهم أيضا صحة العين في نحو " ما أقومه وما أبيعه ،وهو من خصائص الاسماء ،وأنه لو كان فعلا لأصبح التقدير في (ما أعظم الله) : شيء أعظم الله ،والله تعالى عظيم لا يجعل جاعل.[1] والتصغير في (أميلح) شاذ ، وقد أجازه ابن كيسان قياسا مطردا ،وقاس (أفعل) عليه.[2]

والجدير بالقبول في هذا هو المذهب البصرى ، وقد أجيب قول الكوفيين : بأنها اسم بدليل جمودها بأنّ من الأفعال ما هو جامد ك (ليس) و (عسى) ،وإنما جمد فعل التعجب لأنه ليس له حرف يدل عليه ،فجعلوا له صيغة تلزم صورة واحدة لتدل على معناه[3] ، وأنه مضمن معنى ليس في أصله ،ولم يتصرف للمضارع لاحتمال المضارع الحال والاستقبال ،ولا يكون التعجب إلاّ فيما هو موجود ومشاهد ،وقد يتعجب من الماضي ،ولا يتعجب مما لم يكن ، فكرهوا أن يستعملوا لفظا يحتمل الإستقبال ، لئلا يصير الشك يقينا ، وكان استعمالهم لاسم الفاعل أكره لعدم اختصاصه بزمان بعينه .

---

(١) انظر الإنصاف ١٢٦:١-١٤٨ / شرح التصريح ٨٧:٢/٨٨ ، شرح المفصل ١٤٢:٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ / أوضح المسالك ٢٥٢:٣/ شرح الأشموني ٢٠:٢ ، ٢١/ أسرار العربية ١١٣-١١٩/ المساعد ١٤٧:٢ .

(٢) شفاء العليل ٦٠٢:٢ / المساعد ١٥٥:٢/ التسهيل ١٣١.

(٣) ذكر ابن مالك أن لزومه طريقة واحدة راجح على ليس من أربعة أوجه انظر شرح التسهيل -السفر الأول ٤٨٢:٢.

أمّا التصغير فيه فليس كالتصغير في الأسماء ،فالتصغير يتناولها من حيث اللفظ والمعنى فيأتي للتقليل والتحقير والتقريب والتعطف والتعظيم ،أمّا في التعجب فالتصغير تناول اللفظ فقط ، من حيث كان متوجها إلى المصدر ،ولم يذكر المصدر لأنّ فعل التعجب لا يؤكد به ،فصغروا الفعل لفظا ووجهوا التصغير إلى المصدر ،وتصغير المصدر بتصغير فعله جائز ، لأنّ الفعل يقوم في الذكر مقام المصدر.

والوجه الثاني أنّه دخله التصغير حملا على أفعل التفضيل ، لاشتراكهما في التفضيل والمبالغة ،وفي شروطه الصياغة.

والوجه الثالث : أنّه دخله التصغير لما لزم طريقة واحدة ، فأشبه الأسماء ،فدخله بعض أحكامها ،وحمل الشيء على الشيء في بعض أحكامه لا يخرجه عن أصله ،فمن ذلك حمل اسم الفاعل على الفعل في العمل ،وحمل الفعل المضارع على الاسم في الإعراب ، ولم يخرج الأول عن الأسماء ،والثاني عن الأفعال ،وكذلك فعل التعجب لم يخرجه التصغير عن الأفعال .(١)

وأضيف أن التصغير عارض فيه ،كما كان البناء عارضا في نحو (محمد) و (زيد) عند النّداء .

وشواهده في المفضليات في قول الحُصَين بن الحمام : (٢)

---

(١) انظر الإنصاف ١:١٣٨-١٤٢ / خزانة الأدب ١:٩٣-٩٥ تحقيق عبد السلام هارون / شواهد العيني ٣ : ١٤٤ / الأمالي الشجرية ٢: ١٢٩ وما يليها

(٢) المفضلية ١٢ : ٢٢ ، ٣٣ .

وَجَاءَتْ جِحَاشٌ قَضُّها بِقَضِيضِها

وجَمْعُ عوالٍ ما أدقَّ وألأَمَا

جزى اللهُ عنّا عبد عمرٍو ملامةً

وعدوان سهم ما أدقَّ وألأَمَا

والمتعجب منه محذوف ، وسيأتي الحديث عنه (*) ، وقول سُوَيد بن أبي كاهل : (١)

وكذاكَ الحُبُّ ما أَشْجَعَهُ

يَرْكَبُ الهولَ ويَعْصِي مَنْ وَزَعْ

وقول المُرَقِّش الأَصْغَر : (٢)

يا ابنةَ عَجْلانَ مَا أَصْبَرَنِي

عليَّ خطوبٌ كنحتٍ بالقَدُوم

وجاءت في التنزيل في قوله تعالى ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (٣) و ﴿ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ (٤) و ﴿ يَاأَيُّها الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٥) على قراءة ابن جُبير والأعمش (أغرّك) . (٦)

(*) ص ٢٩٢ .

(١) المفضلية ٤٠ : ١١ .

(٢) المفضلية ٥٧ : ٦ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٥ .

(٤) سورة عبس آية ١٧ .

(٥) سورة الانفطار آية ٦ .

(٦) البحر المحيط ٨ : ٤٣٦ .

وذهب معمر بن المثني والمُبَرِّد إلى أن (ما) في الآية الأولى إستفهامية على معنى التوبيخ ، وذهب قوم إلى أنَّها نافية ، أي : أن الله ما جعلهم يصبرون على النار (١) واحتمل في قوله تعالى (ما غَرَّك) أن يكون تعجبا وأن يكون استفهاما (٢) وكذلك قوله (ما أكفره). (٣)

ثانيا - أفعل به :

أفعل به فعل عند البصريين والكوفيين ، والخلاف فيها هل لفظه أمر ومعناه ماض ؟ أو أنه أمر في اللفظ والمعنى .

ذهب البصريون إلى أنّ صيغة (أفعل) أمر في اللفظ فقط ، ماض معنى أتى على صيغة الأمر مبالغة .

والباء فيها لازمة ، فقولك (أحسن بزيد) كان قبل نقله لإفادة التعجب : حسن زيد ، أي : صار زيد ذا حسن . فلمّا غُيرت الصيغة قبح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر فزيدت الباء في الفاعل ليصير على صورة المفعول ، كامرر بزيد ، وذهب الفرّاء والزمخشري وابن كيسان وابن خروف والزجاج إلى أنّ (أفْعِل) أمر لفظا ومعنى ، فإن قيل (أحسن بزيد) فهو أمر بأن يُجعل زيد حسن ، وذلك بأن يصفه بالحسن.

---

(١) انظر البحر المحيط ١ : ٤٩٤ ، ٤٩٥.

(٢) انظر البحر المحيط ٨ : ٤٣٦.

(٣) انظر البحر المحيط ٨ : ٤٢٨.

والهمزة للصيرورة عند البصريين ، وللنقل عند الكوفيين .

والباء زائدة عند البصريين ، وللتعدية عند الكوفيين .(١)

والضمير في (أحسن بزيد) للحسن عند ابن كيسان ، وللمخاطب عند غيره ، وهو ملتزم الإفراد لجريانه مَجرى المثل .

وينبني على هذا الخلاف أنّ الشاعر إذا اضطر فحذف الباء مع غير أن بعد أفعل لزمه أن يرفع على قول البصريين ، وأن ينصب على قول الفرّاء .

وأبطل ابن مالك قول الكوفيين إذ يلزم عليه محظور من خمسة أوجه :

١ - لو كان أمراً حقيقة ومعنى لوجب فيه استتار الفاعل إنّ كان مفردا مذكرا ، وبروزه فيما عدا ذلك ، فتقول : " اضرب يا زيد " فالضمير مستتر ، وتقول " اضربا ، اضربوا ، اضربي ، اضربن " فالضمير ظاهر . وفعل التعجب لا يظهر معه الضمير أبدا .

٢ - لو كان فعل أمر لما كان المتكلم متعجبا بل يكون آمرا ، وقد انعقد الإجماع على أن المتكلم مُتعجِب .

٣ - لو كان أمراً يصح أن يقترن جوابه بالفاء كما في " اصبر فتدرك مرادك" وقد صُرّح بأنه لا يجوز " أحسن بزيد فيُحسن إليك " وأنت تريد التعجب .

---

(١) يقول أهل العربية إنّ باء التعدية وهمزة النقل يتعاقبان ، فبناء عليه لزم على المذهب الكوفي اجتماع نظيرين لغير التوكيد .

٤ - لو كان أمرًا لما جاز أن يتصل بباء التعدية الواقعة بعد ضمير المخاطب ، فلا يجوز أن تقول : أحسن بك ، ولا أخلق بك أن تدرك مآربك ، لما قد تقرر من أنه لا يجوز أن يرفع فعل ضميرا متصلا ثم ينصب ضميرا متصلا معناه هو معنى الضمير المرفوع فلا يقال ضربتني - بتاء المتكلم - ولا يقال ضربتك - بتاء المخاطب ، إلاّ في باب ظن وأخواتها .

٥ - لو كان أمراً لوجب إعلال الأجوف منه بحذف العين قياسا على أقام وأعان وأبان ، حيث يقال فيها : أقم ، وأعن ، وأبن ، وتقول في التعجب : أقوم بزيد ، وأبين به ، فتبقى الياء والواو.

وأبطل المنتصرون للكوفيين مذهب البصريين من أوجه ثلاثة :

١ - يلزم على قولهم استعمال صيغة الأمر للدلالة على الماضي وهذا مما لم يعهد ، والمعهود عكسه ، أي استعمال الماضي للدلالة على الأمر كما في ، اتقى اللّهَ امرؤٌ فعل خيراً يُثب عليه .

٢ - لزم على قولهم جعل الهمزة في " أحسن " للصيرورة ، ودلالتها على الصيرورة قليل فالحمل عليه قليل .

٣ - لزم على قولهم أن الباء قد زيدت في الفاعل لزوما ، ولزوم زيادتها في الفاعل خلاف الأصل .

هذا ما دار بين النحاة من خلاف في صيغة (أفعل).[1]

---

(١) انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٢ : ١٤٩ ، ١٥٠ / شرح التصريح ٢ : ٨٨ ، ٨٩ / حاشية الصبّان ٣ : ١٩ ، ٢٠ / ===

والذي أراه في هذا ما ذهب إليه الكوفيون ليبقى المُتعجَب منه واحدا في الصيغتين (ما أحسن السماء) و (أحسن بالسماء) فلو جُعل فاعل في الصورة الثانية على قول البصريين لأصبح المتعجب منه مفعولا به في الصيغة الأولى وفاعلا في الصيغة الثانية.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضع أن ابن الأنبارى زعم أن (أفعل به) اسما لعدم لحاق الضمائر به ، وجوز هشام مجيء المضارع من (ما أفعل) فيقال (ما يحسن زيدا) ورُدَّا بعدم السماع.(١)

والمُتعجَب منه لا يكون إلاَّ مختصا معرفة أو قريب منها بالتخصيص لأنه مخبر عنه في المعنى ، ومنع الفرّاء ذا (أل) العهدية نحو : ما أحسن القاضي ، تريد قاضيا بينك وبين المخاطب فيه عهد ، ومنع الأخفش (أيا) الموصول بالماضي نحو (ما أحسن أيهم قال) فإن وصلت بالمضارع جاز اتفاقا.(٢)

=== أوضح المسالك ٣ : ٢٥٣ ، ٢٥٥ / عدة السالك ٣ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ / همع الهوامع ٢ : ٩٠ ، ٩١ / شرح الأشموني ٢ : ٢١ ، ٢٢ / حاشية الخضرى ٢ : ٣٩ / شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ١٤٨ / شفاء العليل ٢ : ٥٩٩ ، ٥٦٠ / شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٧٨.

(١) انظر همع الهوامع ٢ : ٩٠ / المساعد ٢ : ١٥٦.

(٢) انظر همع الهوامع ٢ : ٩١ / شرح التصريح ٢ : ٨٩ / عدة السالك ٣ : ٢٥٧ / المساعد ٢ : ١٥٢.

الحذفُ في أساليب التعجب

أولا - حذف المتعجّب منه :

إذا عُلم المتعجَّب منه جاز حذفه مطلقا ، وفي ذلك قال ابن مالك :

وحذف ما منه تعجبت استبح

إن كان عند الحذف معناه يضح (١)

والحذف لا يكون إلا إن دلّ عليه دليل وكان ضميرا في (ما أفعل)

وأن يكون أفعل معطوفا على آخر مذكور معه مثل ذلك المحذوف في (أفعل به) (٢) مع قيام الدليل على المحذوف.

ومن حذفه مع (ما أفعل) قول الشاعر :

جزى اللّهُ عنّا والجزاءُ بفضلِه

ربيعة خيرا ما أعفّ وأكرَما (٣)

أي: ما أعفهم وأكرمهم .

وقول الشاعر :

جَزى اللّهُ عنّا بُحْتَرِيا ورَهْطَه

بني عبدِ شمسٍ ما أعفّ وأمْجَدا (٤)

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ١٥٠ وانظر همع الهوامع ٢ : ٩١ / شرح التصريح ٢ : ٨٩ .

(٢) شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٧٩ / شرح الأشموني ٢ : ٢٣ / عدة السالك ٣ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٣) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ / أوضح المسالك ٣ : ٢٦٠ .

(٤) المساعد ٢ : ١٥٢ / شرح الأشموني ٢ : ٢٢ / الدرر اللوامع ٢ : ١٢١ .

(٥) شفاء العليل ٢ : ٦٠١ .

أي : ما أعفهم وأمجدهم. وقول الشاعر :

أَرَى أمَّ عمرٍو دمعها قَدْ تَحَدَّرا

بكاءً على عمرٍو وما كانَ أَصْبَرا (١)

أي : ما كان أصبرها.

وشاهداه في المفضليات قول الحُصَيْن بن الحُمام: (٢)

وجاءتْ جِحاشٌ قَضُّها بقضيضِها

وجمعُ عُوالٍ ما أدَقَّ والأَمَا

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عبد عمرٍو ملامةً

وعدوانَ سَهْمٍ ما أدَقَّ وألأَمَا

أي : ما أدقهم وألأمهم .

ومن حذفه مع (أفعل به) قوله تعالى * أَسْمِعْ بِهِم وَأَبْصِرْ * (٣)

وقول الشاعر :

اعززْ بِنَا واكتفِ إنْ دعينا

يوماً إلى نُصرةِ مَنْ يَلِينَا (٤)

أي : اكتف بنا ، وتوافر فيه شرط الحذف ففي (أفعل) معطوف على آخر مذكور معه مثل المحذوف .

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ١٥١.

(٢) المفضلية ١٢ : ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة مريم آية ٣٨ وانظر تفسير القرطبي ١١ : ١٠٨، ١٠٩ / البحر المحيط ٦ : ١٩٠، ١٩١

(٤) شرح التصريح ٢ : ٨٩.

" وقال الدنوشرى : هذا ليس من باب التعجب وقال أيضا : وهو بيان لهذا ما نصه إن كان من الاكتفاء فلا شاهد فيه ، لأنه على هذا التقدير فعل أمر لا فعل تعجب وفاعله مستتر فيه وجوبا". (١)

ومن حذفه مفردا ، قول الشاعر :

فذلكَ إنْ يلقَ المَنيةَ يَلقَها
حميداً وإنْ يستغنِ يوما فأجدِرِ

أي : فأجدر به .

وقيل إنَّ الحذف معه محمول على الشذوذ . (٢)

وربما أُكِد (أفعل) بالنون كما في قول الشاعر :

ومستبدلٍ من بعدِ غَضْبَى صريمةً
فأحرِ به بطول فقرٍ وأحريا

والأصل (أحرين) ثم أبدل النون ألفا . (٣)

والفارسي وقوم على أنَّ المُتَعَجب منه في صيغة (أفعل به) لم يُحذف ، بل حُذِف الحرف فاستتر الضمير . ورُدَّ بعدم بروزه ، فلا يقال : أسمع بالزيدين وأبصروا (٤) وإنَّما حُذِف مع كونه فاعلا للزومه حرف الجر فأشبه الفضلة . (٥)

---

(١) حاشية ياسين ٢ : ٨٩ .

(٢) انظر شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ / شرح الأشموني ٢ : ٢٣ / أوضح المسالك ٣ : ٢٦٠ / شفاء العليل ٢ : ٦٠١ / شواهد العيني ٣ : ٦٤٥ / شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٣) انظر شفاء العليل : ٦٠١ / الدرر اللوامع ٢ : ٩٨ / المساعد ٢ : ١٥٣ همع الهوامع ٢ : ٧٨ .

(٤) المساعد ٢ : ١٥٣ .

(٥) انظر شرح التصريح ٢ : ٨٩ / حاشية ياسين على التصريح ٢ : ٨٩ .

ثانيا - حذف حرف الجر من (أفعل به) :

قد تحذف (الباء) من (أفعل به) إن كان مع (أن) وصلتها ، فيجوز في : أجود بأن يكتب زيد : أجود أن يكتب زيد ، ومنه قول الشاعر :

وقال نَبِي المُسلِمينَ تَقَدَّموا
وأحبب إلينا أنْ تكونَ المُقدَّما (١)

وقول الشاعر :

لقد طرقَتْ رِحالَ القومِ ليلَى
فأبعِد دارَ مرتحلٍ مَزارا (٢)

واستشهد به الكوفيون على أنّ ما بعد (أفعل) منصوب ، فحُذف الجار ونصب ما بعده على إسقاط الخافض ، وردّه ابن مالك بأن لا حجة في دعوى النصب فيه ، لاحتمال كون أبعد دعاء. (٣)

ومن حذف الباء أيضا ، قول الشاعر :

أهوِنْ عليّ إذا امتلأْتَ من الكرى
أنِّي أبيتُ بليلةِ الملسوعِ (٤)

---

(١) انظر همع الهوامع ٢ : ٩٠ / الدرر اللوامع ٢ : ١١٩ / المساعد ٢ : ١٥٠ ، شفاء العليل ٢ : ٦٠٠ .

(٢) والحذف فيه مع غير (أنْ) وهو شاذ .

(٣) انظر المساعد ٢ : ١٥٠ ، ١٥١ / الدرر اللوامع ٢ : ١٢٠ / همع الهوامع ٢ : ٩١ .

(٤) همع الهوامع ٢ : ٩٠ ، الدرر اللوامع ٢ : ١٢٠ .

توكيد فعل التعجب بالمصدر :

لا يؤكد المصدر فعل التعجب ،فلا يقال : ما أحسن إحسانا زيدا ،وذلك أنّ فعل التعجب فيه من المبالغة ما يُغني عن التوكيد وأجازه الجرمي .(١)

الزمن مع صيغة التعجب :

الزمن مع صيغة التعجب مختلف فيه ، فمنهم من ذهب إلى أنّه بمعنى الحال بدليل أنك لا تقول (ما أحسن زيدا) إلاّ وهو في الحال حسنا ، وإن أردت الماضي أدخلت كان ،فقلت : (ما كان أحسن زيدا) .

ومنهم من ذهب إلى أنّه ماضٍ ، إبقاء للصيغة على بابها ،إلاّ أنه يدل على الماضي المتصل بزمن الحال . فإذا أردت الماضي المنقطع أتيت بكان . وأيده ابن عصفور ،لما فيه من بقاء اللفظ على بابه.(٢)

قال سيبويه : " وتقول : ما كان أحسن زيدا ،فتذكر كان لتدل أنه فيما مضى "(٣) ولا يفصل إلاّ بكان لأنّها أم الباب ،وأجاز بعضهم " ما أصبح أبردها " و" ما أمسى أدفأها" وهو قول الكوفيين.(٤)

---

(١) انظر شفاء العليل ٢ : ٦٠١ /المساعد ٢ : ١٥٤ / شرح التصريح ١ : ٣٢٥ .

(٢) انظر شرح الجمل ١ : ٥٨٤ ، همع الهوامع ٢ : ٩١ ،شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٩٩ .

(٣) الكتاب ١ : ٧٣ .

(٤) الأصول في النحو ١ : ١٠٦ وانظر شرح المفصل ٧ : ١٥١ ، شرح الجمل ١ : ٥٨٦ .

وفي دخول (كان) خلاف بين النحاة ، فإن جاءت قبل الفعل كما في (ما كان أحسن زيدا) فمنهم من ذهب إلى أنها زائدة وأحسن في موضع الخبر .

ومنهم من ذهب إلى أنها في موضع خبر (ما) واسمها مضمر فيها يعود على (ما) والجملة بعدها في موضع خبرها .(١)

قال ابن عصفور " وهذا فاسد لأن ما التعجبية لا يكون خبرها إلا على وزن أفعل ، إلا فيما جاء من هذا محذوف الهمزة نحو قولهم : ما خير اللبن للصحيح وما شره للمبطون ".(٢)

وابن السراج وأبو علي الفارسي على أنها زائدة لا خبر لها ولا اسم ولا فاعل لأنها ملغاة (٣) ، وذهب السيرافي إلى أنها زائدة والفاعل معنوى يقدر بالمصدر . واستدل على صحة مذهبه بأن الفعل لا بد له من فاعل ، فهي عنده تامة .

واستدل الفارسي على صحة مذهبه بأن زيادة المفرد أولى من زيادة الجملة وإذا كانت مفرغة كانت من قبيل المفردات ، فإن قيل لا بد للفعل من فاعل ، قيل إن الفعل إذا استعمل استعمال ما لا يحتاج إلى فاعل استغني عنه ، كما في (قلما) لما استعملت استعمال (ما) في إرادة النفي استغنت عن الفاعل . وكذلك كان لما استعملت لتدل على

---

(١) شرح الجمل ١ : ٥٨٤ ، ٥٨٥ .

(٢) شرح الجمل ١ : ٥٨٥ .

(٣) انظر شرح المفصل ٧ : ١٥٢ / الأصول في النحو ١ : ١٠٦ .

الماضي ولم يرد بها أكثر من ذلك استغنت عن الفاعل .(١)

" وإن جاءت (كان) بعد الفعل ،فلا بد من إدخال ما المصدرية على (كان) نـ فتقول ما أحسن ما كان زيد ، برفع زيد على أنّه فاعل كان وما مصدرية وهي مع ما بعدها في موضع مفعول فعل التعجب كأنّه في التقدير : ما أحسن كون زيد .

ومنهم من أجاز نصب زيد على أنْ تكون (ما) بمنزلة الذي وكان ناقصة واسمها مضمر فيها يعود على (ما) وزيد خبرها . وهذا فاسد من جهة المعنى ألاَترى أنّ المعنى إذ ذاك : ما أحسن الذى كان زيد ،ويغني عن ذلك : ما أحسن زيداً . وأيضا فإنّ ما المصدرية لا ينبغي أن تدخل إلاّ على ما له مصدر وهو الفعل التام.

فإن كُررت (كان) كانت كل واحدة منهما على ما استقرّ فيها قبل التكرار".(٢)

شروط صياغة فعلي التعجب :

١ - أن يُبنى من فعل ،ومن قال : ما أكلبه ،وما أحمره فقد أخطأ ، لبنائه التعجب من الأسماء ،ومن قال : أقمِن به فقد شذ ، لبنائِه التعجب من الوصف .

---

(١) انظر شرح المفصل ٧: ١٥٢ / شرح الجمل ١: ٥٨٥ / التبصرة والتذكرة ١ : ٢٦٩ .

(٢) شرح الجمل ١ : ٥٨٥ ، ٥٨٦ / انظر المقتضب ٤ : ١٨٤ ، أوضح المسالك ١: ١٥٧/ عُدّة السالك ١: ٢٥٧ / التبصرة والتذكرة ١ :٢٧٠ / شرح الكافية الشافية ٢: ١٠٩٩/ اللمع ١٩٧ .

٢ - أن يكون الفعل ثلاثيا ،فلا يصاغ من (دحرج) لأنّ التعجب منه يؤدي إلى حذف بعض الأصول ،ولا من (علّم ،وضارب ، واستخرج ،وانطلق) إذ التعجب يؤدي إلى حذف حروف الزيادة فيفوت المعنى الذي جاءت من أجله من مشاركة ومطاوعة وطلب أمّا ما كانت الزيادة فيه بالهمزة (أفعل) ففيه خلاف.

أ - قيل يجوز جوازاً مطلقا ، كانت الهمزة فيه للنقل أو غيره ، وهو مذهب سيبويه والمحققين من أصحابه . وتبعه ابن مالك.

ب - المنع مطلقا ، وما جاء منه فشاذ ،يحفظ ولا يُقاس عليه ، وهو مذهب المازني والأخفش والمُبَرّد وابن السرّاج والفارسي .

جـ - المنع إنْ كانت الهمزة للنقل نحو : ما أذهب نوره ،والجواز إنْ كانت لغير النقل نحو : ما أظلم الليل ،وما أقفر هذا المكان. وإليه ذهب ابن عصفور.

قال الشاطبي :" وهذه التفرقة لم يقل بها أحد ولا ذهب إليها نحوى ،ويكفيه في الردّ مخالفته للإجماع بناء على أنّ إحداث قول خرق للإجماع"(١).

أمّا الثلاثي المزيد إذا جرى مَجْرى الثلاثي نحو : اتقى وامتلأ وافتقر ففيه خلاف أيضاً ،فابن السرّاج وجماعة على الجواز لجريانه مَجْرَى الثلاثي ، بدليل قولهم في الوصف منه تقي وملي وفقير وغني .

---

(١) شرح التصريح ٢ : ٩١ .

وذهب ابن خروف وجماعة إلى المنع ،حتى لا يؤدي إلى هدم البنية وحذف زوائدها ، مع وجود الغنى عن ذلك بأشد واشدد ونحوهما .

٣ - أن يكون الفعل متصرفا ،فلا تعجب في نحو نعم وبئس ، لأنّ التصرف فيما لا يُتصرف نقض لوضعه وعدم التصرف على وجهين :

أ - أن يكون بخروج الفعل عن طريقة الأفعال فلا يدل على الحدث والزمان كنعم وبئس .

ب - يكون بمجرده الاستغناء عن تصرفه بتصرف غيره إن كان باقيا على أصله من الدلالة على الزمان كيذر ويدع حيث استُغني عن ماضيهما بماضي يترك فلا يتعجب منهما . أمّا : ما أعساه وأعس به ،فعلى الشذوذ .

٤ - أن يكون معناه قابلاً للتفاضل أوللكثرة على ما ذكر الفرّاء في الصفات الإضافية التي تختلف فيها أحوال النّاس سواء كانت بالنسبة إلى شخص واحد في حالين كالعلم والجهل أو شخصين كالحسن والقبح . فتقول : ما أعلمه يوم الخميس وما أجهله يوم الأربعاء وما أحسنه وما أقبحه . أمّا ما لا يقبل التفاضل يشترك فيه الجميع فلا يبنيان من نحو فني ومات . ولا يتعجب من صفات الله تعالى ،فلا يُقال ما أعلم الله ،وقالت العرب ما أعظم الله وأجله، وعليه قول الشاعر :

مَا أَقْدَرَ اللّهَ أَنْ يُدنِي على شَحط
من دارُه الحزْنُ ممن دارُه صُولُ (١)

ويحمل على الشذوذ .

---

(١) المساعد ٢ : ١٦١ ، الدرر اللوامع ٢ : ٢٢٤ .

٥ - أن يكون الفعل مبنيا للمفعول تحويلا أو تأصيلا ، فلا تقول في : ضُرِب : ما أضرب زيداً ، وأنت تريد أنْ تعجب من الضرب الذي وقع على زيد ، لئلا يلتبس المتعجب منه بالتعجب من فعل الفاعل .

واستثنى البعض ما كان مُلازما لصيغة (فُعِل) نحو : عُنيت بحاجتك ، وزُهي علينا فيُجيز التعجب منه لعدم اللبس . وجرى على ذلك ابن مالك وولده اعتماداً على أنّ علة المنع هي خوف اللبس ، ومن جعل علة المنع التشبيه بأفعال الخلق بجامع أنّ كل منهما لاكسب للمفعول فيه فلا يستثنى شيئا ، وما ورد منه مؤول على أنّ التعجب فيه من فعل مفعول بمعنى فعل فاعل ولم ينطق به .

٦ - أن يكون الفعل تاماً فلا يُتعجب من نحو كان وكاد ، هذا مذهب الجمهور . وأجاز الفرّاء وابن الأنباري " ما أكون زيداً قائما ". وأجاز الكوفيون : ما أكون زيداً لأخيك ، مجرورا باللام .

٧ - أن يكون الفعل مثبتا ، فلا يُتعجب من منفي سواء كان مُلازما للنفي نحو : ما عاج بالدواء أي ما انتفع . وهو قول ابن مالك . واعترض عليه بأنّه قد جاء في الإثبات في قول الشاعر :

ولم أرَ شيئاً بعد ليلى ألَذُّه
ولا مشربًا أَرْوَى به فأعيجُ

وغير ملازم لنفي مثل (ما قام زيد) فلا يقال ما أقومه لئلا يلتبس المثبت بالمنفي .

٨ - أن لا يكون اسم فاعله على وزن (أفعل فعلاء) فلا يبنى

من نحو عرج في العيوب ولا شهل من المحاسن ولا خُضر الزرع من الألوان ولا من لمى من الحُلى ، أما سبب المنع : فقيل لأنّ صيغ التعجب تبنى من الثلاثي المحض وأكثر أفعال الألوان والخلق إنما تجيء من أفعل بتسكين الفاء ، وزيادة مثل اللام نحو أخضر . فلم يبن فعلا التعجب مما كان منها ثلاثياً إجراءً للأقل مُجرَى الأكثر.

وقيل لأنّ الألوان والعيوب الظاهرة جرت مَجْرَى الخلق الثابتة التي لا تزيد ولا تنقص وقيل لأنّ بناء الوصف من هذا النوع على أفعل ولم يبن منه أفعل تفضيل لئلا يلتبس أحدهما بالآخر ، ولمّا امتنع صوغ أفعل التفضيل منه امتنع صوغ فعلي التعجب منهما لجريانهما مجرى واحداً في أمور كثيرة .

والمنع قول جمهور البصريين . وأجازه الأخفش وبعض الكوفيين ، منهم الكسائي وهشام.

وما كان لوناً البصريون على منعه ، والكسائي وهشام على جوازه ، وبعض الكوفيين على أنّه جائز في السواد والبياض دون غيرهما من الألوان .

٩ - أن لا يستغنى عنه بالمصوغ من غيره نحو قال من القائلة فإنّهم لا يقولون ما أقيله استغناء بما أكثر قائلته . ونحو سكر وقعد وجلس ضد آقام فإنّهم لا يقولون ما أسكره وأقعده وأجلسه، استغناء بقولهم : ما أشد سكره وأكثر قعوده وجلوسه .[1]

---

(١) شرح التصريح ٢ : ٩٣ .

وزاد ابن عصفور : غضب ونام . وحكى سيبويه : ما أنومه.(١)

فلا بد من توافر هذه الشروط لصياغة " ما أفعله " وأفعل به ، في التعجب .(٢)

وهناك شرط عاشر ذكره سيبويه وهو أن يكون له فعل ، أمّا ما جاء من نحو : أحنك الشاتين ، وآبل النّاس كلّهم ، وأرعى الناس كلّهم، يُحفظ ولا يُقاس عليه وذكره ابن مالك .(٢)

---

(١) الكتاب ٤ : ١٩ .

(٢) انظر هذه الأحكام في الكتاب ٤ : ٩٧ - ١٠٠ / المقتضب ٤ : ١٧٨ - ١٨٣ / الأصول في النحو ١ : ١٠١ - ١٠٥ ، ١٠٨/ أوضح المسالك ٣ : ٢٦٥ - ٢٦٩ / شرح التصريح ٢ : ٩١-٩٣/ حاشية ياسين على التصريح ٢ : ٩٢ ، ٩٣ / التسهيل ١٣١ ، ١٣٢ / شرح المفصل ٧ : ١٤٤ - ١٤٧ / شفاء العليل ٢ : ٦٠٥ - ٦٠٧ / المساعد ٢ : ١٦٠ - ١٦٤ / همع الهوامع ٢ : ١٦٥ - ١٦٧ / الدرر ٢ : ١٢٤ / حاشية الصبّان ٣ : ٢٢ ، ٢٣ / حاشية الخضرى ٢ : ٤٠ / شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٨٤ ، ١٠٩٢ / شرح الجمل ١ : ٥٧٦- ٥٧٩ / درة الغواص ٣٨ - ٤٠ / الإنصاف ١ : ١٤٨ - ١٥٥/ شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٩١ / معاني القرآن للفرّاء ٢ : ١٢٧ ، ١٢٨ .

التعجب مما لم يستوف الشروط :

١ - الفعل الجامد وغير القابل للتفاوت لا يُتعجب منهما ، أما الجامد فلأنه لا مصدر له فينصب أو يجر ، والثاني لأنه غير قابل للتفاضل ،إلاَّ إنْ أُريد وصفُ زائد عليه فيقال : ما أفجع موته .

٢ - الزائد على ثلاثة ،وما كان وصفه على " أفعل ، فعلاء " يتعجب منه بنصب مصدرهما بعد أشدد ونحوها ،أوجره بالباء ، فيقال : ما أعظم دحرجته وأعظم بدحرجته ،وما أشد انطلاقه واشدد بانطلاقه واشدد بانطلاقه .

٣ - المنفي والمبني للمفعول في حكم الذي قبله ،إلاَّ أن مصدرهما يكون مؤولا لا صريحا فيقال : ما أكثر أن لا يقوم ،وما أعظم ما ضُرب ،وأشدد بأن لا يقوم وأشدد بأن ضُرب .

٤ - الفعل الناقص ،إنْ قيل له مصدر فهو كالثلاثي ،وما كان وصفه على أفعل فعلاء ،وإنْ قيل ليس له مصدر فهو كالمنفي والمبني للمفعول .(١) ويجوز فيما استوفى الشروط التوصل اليه بأشد واشدد وشبههما مثل فاقد الشروط فتقول : ما أشد ضرب زيد لعمرو.(٢)

---

(١) انظر الكتاب ٤: ٩٩ / أوضح المسالك ٣: ٢٦٩، ٢٧٠ / شرح التصريح ٢: ٩٣ / شرح الأشموني ٢: ٢٦ / المساعد ٢: ١٦٤، ١٦٥ / حاشية الخضرى ٢: ٤٠، ٤١ / شفاء العليل ٢: ٦٠٧ .

(٢) انظر شرح التصريح ٢: ٩٣ .

الفصل بين فعلي التعجب ومعموله :

لم يتعرض سيبويه للفصل بين فعل التعجب ومعموله ، وصرّح بمنع تقديم المعمول ، وفي ذلك يقول " ولا يجوز أن تُقَدّم عبدالله وتؤخر ما ولا تُزيل شيئاً عن موضعه ولا تقول فيه ما يحسن ، ... "(١) ونسب إليه الصيمرى منع الفصل بين فعل التعجب وبين ما عمل فيه.(٢)

وللمبرّد قولان في هذه المسألة ، فقد منع الفصل وذلك قوله : " ولو قلت : ما أحسن عندك زيدا ، وما أجمل اليوم عبدالله = لم يجز، وكذلك لو قلت : ما أحسن اليوم وجه زيد ، وما أحسن أمس ثوب زيد ، لأنّ هذا الفعل لمّا لم يتصرف لزم طريقة واحدة ، وصار حكمه كحكم الأسماء ".(٣)

وقال في موضع آخر : " وتقول ما أحسن إنسانا قام إليه زيد ، وما أقبح بالرجل أن يفعل كذا فالرجل الآن شائع ، وليس التعجب منه ، وإنّما التعجب من قولك : أن يفعل كذا ، كنحو : ما أقبح بالرجل أن يشتم النّاس ، تقديره : ما أقبح شتم الناس بمن فعله من الرجال .

ولو قلت : ما أحسن رجلا إذا طُلب ما عنده أعطاه - كان هذا الكلام جائزاً ، ولم يكن (أحسن) وإنْ نصب رجلا واقعاً عليه إنّما هو واقع على فعله ".(٤)

---

(١) الكتاب ١ : ٧٣.

(٢) التبصرة والتذكرة ١ : ٢٦٨.

(٣) المقتضب ٤ : ١٧٨.

(٤) المقتضب ٤ : ١٨٧.

والمنع قول أكثر البصريين ومن قال به الأخفش [١] والزمخشري [٢].

وإلى الجواز ذهب الفرّاء والجرمي والفارسي وابن خروف والمازني والزجاج [٣] وجواز الفصل فصيح عند ابن عقيل [٤] صحيح عند السيوطي لتوسعهم بالظرف والجار والمجرور ولجواز الفصل فيهما بين أن ومعموليها وليس فعل التعجب بأضعف منها، ولكثرة وروده. [٥]

ومن شواهده قول علي رضي الله عنه وقد مَرّ بعمّار بن ياسر، رضي الله عنه لما قُتل "أعزز عليّ أبا اليقظان أنْ أراكَ صريعاً مُجَدَلا". [٦]

فصل بالجار والمجرور "عليّ" وبالنّداء "أبا اليقظان".

ومنه أيضا قول عَمرو بن معدي كرب "لّلهِ درّ بني سليم، ما أحسن في الهيجا لقاها، وأكثر في اللزبات عطاها، وأثبت في المكرمات مقامها [٧]، وقال:

أُقيم بدارِ الحزمِ ما دامَ حزمُها
وأحرِ إذا حالت بأنْ أتَحَوّلا [٨]

---

(١) شرح المفصل ٧ : ١٥٠

(٢) المفصل ٢٧٧.

(٣) انظر التسهيل ١٣١ / المساعد ٢ : ١٥٧ / شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٩.

(٤) المساعد ٢ : ١٧٥.

(٥) همع الهوامع ٢ : ٩٠.

(٦) المساعد ٢ : ١٥٧.

(٧) المساعد ٢ : ١٥٨ وذكر السيوطي "ما أحسن في الهيجا لقاها" همع الهوامع ٢ : ٩١ / وانظر الدرر ٢ : ١٢١.

(٨) المساعد ٢ : ١٥٨ / شرح الأشموني ٢ : ٢٧ / شرح التصريح ٢ : ٩٠.

وقول الشاعر :

وأحببْ إلينا أنْ يكون المُقدّما [١]

وذكر البعض أنّ الفصل جائز بقبح . [٢]

أما إذا تعلّق بالمعمول ضمير يعود على المجرور فلا بد من التقديم، وذلك كما في قول الشاعر:

خليليّ ما أحرى بذي اللبّ أنْ يُرى

صبوراً ولكنْ لا سبيلَ إلى الصبـــــرِ [٣]

فإنْ كان الجار والمجرور غير متعلقين بفعل التعجب نحو " ما أحسن بمعروف أمراً " " ما أحسن عندك جالساً " و " لا أحسن عندك في الدار بجالس " امتنع الفصل . [٤]

وأجاز الجرمي و هشام الفصل بالحال نحو " ما أحسن راكباً زيدا " كما أجازا الفصل بالمصدر نحو " ما أحسن إحسانا زيدا ".

وأجاز ابن كيسان الفصل بـ " لولا " نحو " ما أحسن ، لولا ، بخله زيدا ،وأحسِن ، لولا ،بخله بزيد ".

---

(١) همع الهوامع ٢ : ٩١ / الدرر ٢ : ١٢١ .
(٢) همع الهوامع ٢ : ٩١ / المساعد ٢ : ١٥٨ .
(٣) انظر همع الهوامع ٢ : ٩١ / الدرر ٢ : ١٢١ / والبيت في شرح الأشموني ٢ : ٢٧ .
(٤) شرح الأشموني ٢ : ٢٧/ المساعد ٢ : ١٥٧/ شرح التصريح ٢ : ٩٠ .

وأجاز ابن مالك الفصل بالنّداء كما في قول علي رضي الله عنه " أعزِز عليّ أبا يقظانَ أنْ أراكَ صريعاً مُجدلاً ".(١)

فإنْ تَعَلّق بهما غير ما تقدم من متعجب منه أو ظرف أو جار ومجرور أو حال ، جُرّ بإلى إنْ كان فاعلا نحو " ما أحب زيدا إلى عمرو " و " أحبِب بزيد إلى عمر " فإنْ كان مفهماً علماً أو جهلاً جُرّ بالباء نحو " ما أجهل عمراً بالشعر " وما أعلم زيدا بالفقه " و " أجهل بعمرو بالشعر " و " أعلم بزيد بالفقه ".

فإن كان متعدٍ ولم يُفهم علماً أو جهلاً جُرّ باللام نحو " ما أضرب زيدا لعمرو " و " أضرِب بزيد لِعمرو ".

وإنْ كان متعد بحرف جر فيها كان يتعدى به نحو " ما أعز زيدا علي " و " أعزز بزيد " و " ما أزهد زيدا في الدنيا " و " أزهِد بزيد في الدنيا ".(٢)

أمّا تقدم المتعجب على صيغتي التعجب فممنوع.(٣)

التمييز بعد صيغتي التعجب :

يُقال في التعجب " أكرم به أبا " و " ما أشجعه رجلا " ف " أبا " و " رجلا " من تمييز النسبة ، وكل واحد منهما فاعل في المعنى ، ومنه

---

(١) انظر شرح الأشموني ٢ : ٢٧ ، ٢٨ / شرح التصريح ٢ : ٩٠ / حاشية ياسين ٢ : ٩٠ / همع الهوامع ٢ : ٩١ / شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٩ / المساعد ٢ : ١٥٧ ، ١٥٨.

(٢) انظر شرح الكافية الشافية ٢ : ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ / شفاء العليل ٢ : ٦٠٤ ، ٦٠٥ / التسهيل ١٣١ / المساعد ٢ : ١٥٨ ، ١٥٩ / همع الهوامع ٢ : ٩١ .

(٣) انظر الكتاب ١ : ٧٣ / شرح التصريح ٣ : ٩٠ / شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٩ / أوضح المسالك ٣ : ٢٦٣.

" ما أحسن زيدا أدبا " محولا عن المفعول [١] .

وبقي من أحكام التعجب :

١ - تصحيح العين في نحو ، ما أبين الحق ، وأبين به ، وأنور ، والحقُّ فيها الإعلال بالحذف ، كما في أقام وأقم ، وحُمِل فعل التعجب في هذا على أفعل التفضيل ، هذا قول الجمهور والمسموع عن العرب ، وفي ذلك قال ابن مالك :

لساكنٍ صَحَّ انْقُلِ التَّحْرِيكَ مِنْ
ذي لينٍ آتٍ عينَ فِعْلٍ كأَبِنْ
ما لم يكُن فعلَ تَعَجُّبٍ ، ولا
كأبيضَّ أو أهوى بلامٍ عُلِّلا [٢]

وأجاز الكسائي الإعلال في أفعِل فيقول : أطول بهذه النخلة وأطل .

٢ - فكّ أفعل المُضعف : نحو أعزز بزيد وأجلل ، وهو قول الجمهور والمسموع ، قال ابن مالك :

وفكُّ أَفْعِلْ في التعجب التُزِمْ .... [٣]

وأجاز الكسائي الإدغام فيقول : أجِلَّ بزيد . [٤]

---

(١) انظر أوضح المسالك ٣ : ٣٦٧ .
(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٥٧١ ، ٥٧٢ .
(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٥٩١ .
(٤) انظر التسهيل ١٣٠ ، ١٣١ / المساعد ٢ : ١٥٥ / شفاء العليل ٢ : ٦٠٢ .

٣ - التعجب من المتعدى إلى مفعولين :

كما في : كسى وظن ،فيُقال فيهما " ما أكسى زيدا للفقراء الثياب " ،و" ما أظن عمرا لبشر صديقا " فيُجر أول المفعولين باللام وينُصب الثاني بمضمر مجرىٍ مماثل لتالي " ما " فالتقدير في الأول يكسوهم وفي الثاني ظنّه صديقا . والكوفيون ينصبون بالمذكور.(١)

---

(١) انظر همع الهوامع ٢ : ٩١ ، ٩٢ / شفاء العليل ٢ : ٦٠٥ / المساعد ٢ : ١٥٩ / التسهيل ١٣١ .

الفصل الرابع

ظاهرة الاستفهام في ديوان المفضليات

ظاهرة الاستفهام في ديوان المفضليات

الاستفهامُ أسلوبَ إنشائيٌ يَسْتَفهِمُ فِيه المتكلمُ إذا كانَ حقيقياً عَن شيءٍ يريدُ مَعرفته ، وجاءَ في اللسانِ واستَفهمه : سأله أنْ يفهمه (١) وجاءَ أيضاً في مادةِ "خَبَر" والاستخبارُ والتخبرُ : السؤالُ عَن الخبر (٢) وقيل : هو طلب خبر ما ليس عندك ،وهو بمعنى الاستفهام ،أي طلب الفهم ،وهناك من جعل بينهما فرقا : وهو أنّ الاستخبار : أن تسأل فتجاب وقد تفهم وقد لا تفهم ،فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً. (٣)

وليس طلب الفهم ومعرفة الخبر من شأن الاستفهام في لغة الديوان ، فقد وجدنا الشاعر قد استفهم مريدا للتعجب والتهكم والسخرية وغير ذلك من المعاني ، إلاّ في مواضع أُورد الاستفهام على حقيقته ،ويأخذ فيه الاستفهام غالباً صورة الحوار" قال .. قلت " ،" سألت .. تسأل".

---

(١) اللسان مادة (فهم) ١٢ : ٤٥٩ .

(٢) اللسان مادة (خبر) ٤ : ٢٢٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢ : ٣٢٦ "بتصرف" وقاله نقلاً عن ابن فارس في فقه اللغة ، انظر الصاحبي ١٨١.

(أولا) : دراسة همزة الاستفهام

- ما تدخل عليه -

جاءت همزة الاستفهام أكثر الأدوات ورودا في الديوان ، فقد وردت إحدى وستين مرة ، متنوعة التراكيب والاستخدامات والمعاني ، وكانت صور ورودها على النحو التالي :

أ - همزة الاستفهام داخلة على أدوات النفي ، وجاءت تسع عشرة مرة .

ب - همزة الاستفهام داخلة على الجملة الفعلية ، وجاءت خمس عشرة مرة ، على ثلاثة أنماط :

الأول : الداخلة على الفعل .

الثاني : الداخلة على الجار والمجرور المتعلق بالفعل .

الثالث : الداخلة على الجملة الفعلية المصدرة بظرف .

جـ - أساليب الهمزة وأم ، وجاءت أربع عشرة مرة .

د - همزة الاستفهام الداخلة على الجملة الاسمية ، وجاءت سبع مرات إمّا داخلة على المبتدأ ، وإمّا على الجار والمجرور خبرا مقدما ، أو داخلة على " كل " منصوبة على الظرفية ، وجاءت مرة واحدة .

هـ - همزة الاستفهام الداخلة على المصدر ، وجاءت أربع مرات .

هذا ما كان للهمزة من نصيب في ديوان المفضليات، وقد تناولها النحاة بالدرس، وخصوها بأمور، وعنها يقول سيبويه :

هي حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره[1]، ويقول المبرد في حديثه عن "إنْ" وهي أصل الجزاء، كما أنّ الألف أصل الاستفهام[2] فكانت الهمزة عند النحاة مخصوصة بأمور وهي أصل أدوات الاستفهام وأُمّ بابه، ومنهم من قرن معها "هل" ومنهم من قرن "أم".[3]

أولا - همزة الإستفهام داخلة على حروف النفي :

دخلت همزة الإستفهام على "لم" إحدى عشرة مرة،

وعلى "ليس" أربع مرات،

وعلى "لا" ثلاث مرات،

وعلى "ما" مرتين.

---

(١) الكتاب ١ : ٩٩.
(٢) المقتضب ٢ : ٣٦٢.
(٣) انظر الجنى ٣١، مغني اللبيب ١ : ١٤، ١٥، الإيضاح في شرح المفصل ٢ : ٣٨، المفصل ٣١٩، شرح المفصل ١ : ٨١، ٨ : ١٥٠، الإتقان ١ : ١٩٠، البرهان ٤ : ١٧٨، الكتاب ١ : ٩٩، التبصرة والتذكرة ١ : ٤٦٧، في النحو العربي قواعد وتطبيق ٣٩.

ومن الأول قول عبد يغوث .(١)

ألم تعلما أن الملامة نفعها

قليلٌ وما لومي أخي من شِماليا

ومن الثاني قول جُبَيْهاء الأشجعي (٢)

أمولى بني تيمٍ ألست مؤديا

منيحتنا فيما تؤدى المنائحُ

ومن الثالث قول الحارث بن حِلِزة (٣)

أَفَلَا تُعَدِّيها إلى مَلِكٍ

شَهْمِ المَقَادةِ ماجِدِ النفسِ

ومن الرابع قول الحُصين بن الحُمام (٤)

أما تَعْلَمُون اليومَ حِلْفَ عُرَيْنَةٍ

وحِلفاً بصحراء الشطون ومُقْسَمَا

معروف أنّ أدوات الإستفهام تخرج عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى متعددة ، وقد جعل السيوطي الهمزة الداخلة على الحروف النافية مقيدة بمعنيين :

١ - التذكير والتنبيه .

٢ - التعجب وهي في الحالين تحذير عنده .(٥)

---

(١) المفضلية ٣٠ : ٢ . (٢) ٣٣ : ١ . (٣) ٢٥ : ٩ . (٤) ١٢ : ٢٦

(٥) الإتقان ١ : ١٩٠ . وبقية الأبيات في ما دخلت فيه همزة الاستفهام على لم في قول : ===

....

=== شبيب بن البرصاء ٣٤ : ١

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الحَيَّ فَرَّق بَيْنَهم نوىً يومَ صحراءَ الغَمِيمِ لَجُوجُ

وقول رجل من اليهود ٣٧ : ٩

أَلَمْ تَرَ عَصْمَ رؤوسِ الشَّظَا إذَا جاءَ قانصها تَجْلَبَ

وقول المرَقِّش الأصغر ٥٦ : ٢٣

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المرءَ يَجْذِمُ كَفَّه ويَجْشِمُ عَنْ لومِ الصَّديقِ المَجاشِما

وقول مُتَمِم بن نُوَيْرة ٦٧ : ٤٥

أَلَمْ تَأْتِ أخبارَ المحلّ سَرَاتَكم فيغضَبَ مِنكم كلّ مَنْ كان مُوجَعا

وقول عوف بن عطية ٩٥ : ٤

أَلَمْ تَرَ أَنَّنا مَرَدى حروبٍ نسيلُ كأنّنا دُفّاع بحرِ

وقول بشر بن أبي خازم ٩٦ : ٣

أَلَمْ يأْتِها أَنَّ الدموعَ نِطَافةٌ لعينٍ يُوافِي في المنامِ حبيبُها

وقوله ٩٧ : ٣٣

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طولَ الدهرِ يُسلِي ويُنسي مثلَ ما نسيتْ جِذامُ

وقول زَبّان بن سَيّار ١٠٣ : ١

أَلَمْ يَنْهَ أولادَ اللقيطةِ عِلْمَهم بزَبّان إذ يَهْجُونَه وهو نائِمُ

وقول حاجب بن حبيب ١١٠ : ٤ ، ٩

فقلتُ أَلَمْ تَعْلَمي أَنَّه كريمُ المَكَبَّةِ مِهدانها

وقلتُ أَلَمْ تَعْلَمي أَنَّه جميلُ الطلالةِ حُسانها

ومما دخلت فيه على (ليس) في قول المُزَرِّد بن ضِرار ١٧ : ٤٨

أَلستَ نقياً ما تليقُ بكَ الذُّرى ولا أنتَ إنْ طالتْ بكَ الكفّ ناكِلُ

وقول ربيعة بن مقروم ٣٨ : ٢٥

أليسوا الّذينَ إذا أزمةٌ أَلَحّتْ على النّاسِ تُنْسِي الحُلوما

وقول عامر بن الطُّفيل ١٠٦ : ٥

أَلستَ تَرَى أرماحَهم فيّ شُرَّعاً وأنتَ حِصانٌ ماجدُ العرقِ فاصْبِرِ

ومما دخلت فيه على (لا) قول مُزَرِّد بن ضِرار ١٥ : ٦

وقالتْ أَلا تَثْوِي فَتَقْضِي لُبانةً أبا حسنٍ فِينا وتأتِي مَواعِدي

وقول جابر التغلبي ٤٢ : ١٩

أَلا تَسْتَحِي مِنّا ملوكٌ وتَتَّقِي مَحَارِمَنا لا يبوءُ الدّمُ بالدّمِ

ومما دخلت فيه على (ما) قول المُثَقِّب العَبْدي ٧٦ : ٣٧

أكلّ الدهرِ حلٌّ وارتحالٌ أما يُبْقِي عليّ وما يَقِيني

وتبعه الزركشي [١] وقال سيبويه : (وسألته عن ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [٢] فقال هذا واجب وهو تنبيه كأنك قلت : أتسمع أن الله أنزل من السماء ماء فكان كذا وكذا) [٣] .

وقال الرَّضِي (وإذا دخلت همزة الاستفهام على لم ولمّا فهي للاستفهام على سبيل التقرير ، ومعنى التقرير إلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه قال تعالى ﴿ ألم نربك ﴾ [٤] و ﴿ ألم نشرح لك ﴾ [٥] وقوله (ألما تعرفوا منّا اليقينا) [٦] .

وقال المُرادي (وذكر بعض النحويين أنّ التقرير هو المعنى الملازم للهمزة في غالب هذه المواضع المذكورة ، وأنّ غيره من المعاني كالتوبيخ والتحقيق والتذكير ، ينجرّ مع التقرير) [٦] .

وقال النحّاس في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [٧] : (من النحويين من يقول ألم . من حروف الجزم ، وذلك خطأ لأنّ الألف للاستفهام ، والمعنى على الإيجاب ، لأنّ ألف الاستفهام ههنا يؤدي

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤ : ١٧٩ .

(٢) سورة الحج آية ٦٣ .

(٣) الكتاب ٣ : ٤٠ .

(٤) سورة الشعراء آية ١٨ .

(٥) سورة الانشراح آية ١ .

(٦) شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٥١ .

(٧) الجنى الداني ٣٤ .

(٨) الانشراح ١ .

عن معنى التقرير والتوقيف فيصير النفي إيجابا والإيجاب نفيا)(١).

وقال ابن خالويه في قوله تعالى * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ *(٢)

(فالألف ألف التوبيخ في لفظ الاستفهام)(٣).

وقال مكي بن أبي طالب في " ألم نشرح " (الألف نقلت الكلام من النفي فردته إيجابا)(٤).

وقال التبريزى في قول ربيعة بن مقروم(٥)

أَلَيْسُوا الَّذِينَ إِذَا أَزْمَةٌ ... أَلَحَّتْ عَلَى النَّاسِ تُنْسِي الحُلُوما

(وقوله أليسوا : تقرير فيما وجب وحصل ، لأن ألف الاستفهام يضارع النفي في معناه ، ولما دخل على " ليس " حصل بها الإيجاب ، لأنّ نفي النفي إيجاب . وعلى هذا قولهم : ألم أفعل كذا ؟ تقرير فيما قد وجب ولو تفرّد الاستفهام فقيل : أفعلت كذا ، لكان تقريرا فيما لم يكن ولم يجب)(م).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥ : ٢٥١ .

(٢) سورة الفجر ٦ .

(٣) اعراب ثلاثين سورة ٧٥ وانظر ١٢٤، ١٣٢، ١٨٨.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢ : ٨٢٥ . (٥) المفضلية ٣٨ ، ٢٥

(م) شرح المفضليات ٢ : ٦٧٦ وانظر ٢ : ٧٧٨ حيث تحدث عن دخولها على " لا " و ٣ : ١٢١٦ حيث تحدث عن دخولها على " لم " .

وجعل الدكتور عبد العليم فودة للهمزة الداخلة على النفي معاني ثلاثة :

١ - التقرير .

٢ - الإنكار.

٣ - احتمال كل من التقرير وإنكار النفي في الواقع .(١)

وقال الشيخ عبد الخالق عضيمة : (إذا دخلت همزة الإستفهام على أداة نفي كان معنى الاستفهام هو الإنكار والتقرير)(٢)

ولعل همزة الاستفهام عندما دخلت على أدوات النفي أفادت :

١ - التقرير إذا كان ما بعدها قد وقع ، وعليه أكثر أبيات الديوان ونمثل له بقول عوف بن عطية (٣) :

ألم تر أنَّا مِرْدَى حروب

نسيل كأننا دُفَّاعُ بَحْرِ

وقول ربيعة بن مقروم (٤) :

أليسوا الذين إذا أزمةٌ

ألحت على الناس تُنْسِي الحلوما

وقول جابر التغلبي (٥) :

ألا تستحي منا ملوكٌ وتتقي

محارِمَنا لا يَبْوُؤُ الدَّمُ بالدمِ

---

(١) أساليب الاستفهام في القرآن ٥٠ ، ٥٣ ، ٦١ .

(٢) دراسات لأسلوب القرآن ق ١ -٢ : ٦٠٦ وأشار إلى أن أبا حيان جعل مثل هذا الاستفهام للتقرير في أكثر المواضع ٦٠٧ مشيرا اليها وانظر ١ : ١٢٨ .

(٣) المفضلية ٩٥ : ٤ . (٤) ٣٨ : ٢٥ . (٥) ٤٢ : ١٩ .

٢ - الإنكار إذا كان ما بعدها غير واقع ونمثل له بقول جُبَيْهاء الأشجعي (١) :

أَمَولى بني تيم ألستَ مؤديا

مَنيحتنا فيما تؤدى المنائح

هذان هما المعنيان الرئيسيان لهمزة الاستفهام الداخلة على أدوات النفي، إلا أنهما مصحوبان بمعان أخرى كالتعجب والتهديد والتقريع والتحذير وغير ذلك من المعاني .

----

(١) المفضلية ٣٣ : ١

فعل الرؤية بعد " ألم "

تحدث بعض المفسرين والنحاة عن الفعل "ترى" بعد " ألم "

ففي ذلك قال الفرّاء : ("ألم تر" معناه خبّر كأنك قلت في الكلام : اعلم أَنَّ الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض ، وهو مثل قول الشاعر :

ألم تسألْ الربعَ القديم فينطقُ

فهلْ تخبرنك اليومَ بيداء سملق

أي قد سألته فنطق.[1]

وقال النحّاس في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[2] فتصبح ليس بجواب وإنما هو خبر عند الخليل رحمه الله قال الخليل : المعنى انتبه أُنزل من السماء ماء فكان كذا وكذا.[3]

وقال ابن خالويه : (وكل ما في القرآن من "ألم تر" فمعناه ألم تَخْبُرْ ألم تعلم ، ليس من رؤية العين ، كقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[4]).[5]

وقال أبوحيان : (في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[6] ترى من رؤية القلب لأنَّ إسناد إنزاله تعالى لا يستدل

---

(١) معاني القرآن ٢ : ٢٢٩.

(٢) سورة الحج ٦٣.

(٣) إعراب القرآن ٣ : ١٠٥.

(٤) سورة الفرقان آية ٤٥.

(٥) إعراب ثلاثين سورة ٧٥.

(٦) سورة فاطر ٢٧.

عليه إلا بالعقل الموافق للنقل وإنْ كان إنزال المطر مشاهداً بالعين لكن روءية القلب قد تكون مسندة لروءية البصر و لغيرها).(١)

وقال القرطبي في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾(٢) هذه الروءية من روءية العين ويجوز أن تكون من العلم .(٣)

ولعل القرطبي أشار إلى إنّ الروءية في مثل هذه الآيات تكون بمعنى العلم أوغالبا هي كذلك ، وقد علّق الدكتور عبد العليم فودة عليه بقوله : ورأى القرطبي هو الصحيح ،فقد تتبعت أساليبها ، فوجدتها غالبا بمعنى العلم ،وبمعنى النظر قليلا .(٤)

وقد وردت " ألم تر " خمس مرات في الديوان ،في قول شبيب بن البرصاء(٥)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الحَيَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ

نوى يوم صحراءِ الغميمِ لجوجُ

وفي قول رجل من اليهود(٦) :

أَلَمْ تَرَ عَصْمَ روءسِ الشظا

إِذا جاءَ قانِصُها تجلب

---

(١) البحر ٧ : ٣١١ .

(٢) الفرقان : ٤٥ .

(٣) تفسير القرطبي ١٣ : ٣٧ .

(٤) أساليب الاستفهام ٦٧ .

(٥) المفضلية ٣٤ : ١ .

(٦) المفضلية ٣٧ : ٦ .

وفي قول المُرَقَّش الأصْغَر (١) :

أَلم تَرَ أَنَّ المرءَ يَجْذِم كفَّه
ويجشمُ من لومِ الصَّديقِ المجَاشِما

وفي قول عوف بن عطية (٢) :

ألم ترأننا مِرْدى حروب
نَسيل كأننا دُفَّاع بحر

وفي قول بشر بن أبي خازم (٣) :

أَلَم تَر أَنَ طولَ الدّهرِ يُسلي
وَيُنسي مِثْلَ ما نَسيتَ جُذامُ

ولعل الرؤية وإن كانت بمعنى العلم إلا أَنَّ فيها ما يحتم على السامع أن يجعل الحدث مشاهداً حاضراً ،فهي بمعنى العلم المصحوب بالتخيل للموقف ،وإلاَّ لقال " ألم تعلم " مباشرة .

---

(١) المفضلية ٥٦ :٢٣٠ (٢) ٩٥ : ٠٤ (٣) ٩٧ :٣٣٠

ثانيا - همزة الإستفهام داخلة على الجملة الفعلية :

دخلت همزة الاستفهام على الجملة الفعلية خمس عشر مرة :

١ - منها ما دخلت على الفعل مباشرة كما في قول المسيب بن علس (١) :

أَرَحَلْتَ من سَلْمَى بغيرِ متاعِ
قبلَ العُطاسِ ورُعتها بوداعِ

وجاء على هذه الصورة سبع مرات.

٢ - ومنها ما دخلت على الجار والمجرور المتعلق بالفعل ،كما في قول المُرَقّش الأصْغَر (٢) :

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ ماءُ عَيْنَيْكَ يَسْفَحُ
غدا مِنْ مَقامٍ أَهْلُهُ وتَرَوَّحُوا

وجاء على هذه الصورة سبع مرات .

وتنوعت المعاني التي دلّ عليها الإستفهام في هذه الأبيات حسب سياقاتها من إنكار وتعجب وتوجع وتقريع وما إلى ذلك .

---

(١) المفضلية ١١ : ١ .

(٢) المفضلية ٥٥ : ١ وبقية الأبيات فيما دخلت فيه همزة الاستفهام على الفعل مباشرة في قول : ===

. . . .

=== من قول مَزَرّد بن ضرار ١٥ : ٤٢

أَتَذْهَبُ من آلِ الوَحيدِ ولَمْ تَطُف   بكلّ مكانٍ أَربَعٍ كالخرائدِ

وقول عبد الله بن سلمة ١٨ : ٠٥

عَلى ما أنّها هزئت وقالت   هنون ، أجَنّ ؟ منشأ ذا قريب

وقول مُتمم بن نُوَيرة ٦٧ : ٤٧

أآثرت هدماً بالياً وسويةً   وجئتَ بِها تَعْدُو بريداً مُفَزّعا

وقول يزيد بن الخذّاق ٧٨ : ٣

لن تَجمَعوا ودّي ومَعْتَبَتي   أَوْ يَجمع السيفانِ في غِمدِ

وقول مقّاس العائذي :

أجئتم إلِيْنا في بقيةِ مالنـــا   تَزَجّون من جهلٍ إلَيْنا المناكرا

وقول الحارث بن ظالم ٨٨ : ٧ .

أَخُصيَيّ حمارٍ باتَ يَكدِم نَجمةً   أتأكُل جاراتي وجارك سَالِمُ

ومما دخلت فيه الهمزة على الجار والمجرور قول ربيعة من مقروم .

٣٨ : ١

أَمِن آلِ هِندٍ عَرفتَ الرُّسوما   بجمرانَ قفراً أبتْ أن تريما

وقول المُرَقِّش الأصغر ٥٥ : ٠٣ .

أَمِن بنتِ عجلانَ الخيالُ المُطَرّح   أَلَمَّ ورحلي ساقطٌ متزحزحُ

وقول المُرَقِّش الأَصغر ٥٦ : ٢٤

أَمِن حلمٍ أَصبَحتَ تَنكُتُ واجِماً   وَقَدْ تَعتَري الأحلامُ مَنْ كانَ نائِما

وقول ثعلبة بن عمرو ٧٤ : ١٦

أمِنْ حَذَرٍ آتي المهالكَ سادِراً   وأيّةُ أرضٍ ليس فيها مُتالِـــف

وقول عوف بن عطية ١٢٤ : ٠١

أَمِنْ آلِ ميّ عرفت الديـــارا   بحيث الشقيقُ خلاءً قِفاراً .

وقول أبي ذؤيب الهذلي ١٢٦ : ٠١

أَمِنَ المنونِ وريبِها تتوجــعُ   والدّهرُ لَيس بمعتبٍ مَن يَجزَع

٣ - ومنها ما دخلت على الظرف مفصولا بينها بالعاطف مرة واحدة ، في قول مُتَمِم[1] :

أفبعد من ولدت نُسَيبَةُ أشتكي

زَوَ المنيه أو أرى أتوجع

ومعناه الإنكار[2] وتعد من قبيل دخولها على الجملة الفعلية لتعلق الظرف بالفعل .

. . .

وقد تحدث الدكتور عبد العليم فوده عن الهمزة متلوة بالعاطف ، فقال : " وكل ما وجدته من شواهد لها في غير القرآن هو..."[3] وذكر أبياتا ستة لم يرد ضمنها بيت مُتَمِم المتقدم ، ولا قول يزيد بن الخذّاق[4] :

لَن تَجمَعوا وُدّي وَمَعتَبَتي

أَو يُجمَع السيفانِ في غِمدِ

ولا قول عبد قيس بن خفّاف[5] :

دارُ الهوانِ لِمَن رآها دارَه أَفراحِلٌ عَنها كَمَن لَم يَرحَلِ

---

(١) المفضلية ٩ : ٣٨ .

(٢) شرح المفضليات للتبريزي ١ : ١٦٢ .

(٣) أساليب الاستفهام ٥٣٧ ، ٥٣٨ .

(٤) المفضلية ٧٨ : ٢ .

(٥) المفضلية ١١٦ : ٩ .

ثالثا - أساليب الهمزة وأم :

وردت الهمزة مع أم اربع عشرة مرة في المفضليات ، وقد حذفت الهمزة في موضعين ،وكان المطلوب بها هو التعين في جميع الابْيات ،عدا بيت واحد ، كانت فيه الهمزة للتسويه . أما ما عادلته الهمزة وأم ، فأكثر ما عادلت بين الاسمين حيث جاء هذا سبع مرات ، وعادلت بين الفعلين ثلاث مرات ،وبين اسمى الفاعل مرة واحدة ،وبين اسم المفعول والفعل المبني للمجهول مرة أخرى .

والهمزة مع أُم ترد إما : لتعين أحد شيئين ،أو للتسوية .(١)

وتأخر المكمل عن المعادل في بيت واحد ،وهو قول مُتَمِم :(٢)

لا بُدَّ من تلفٍ مصيبٍ فانتظر

أبأرض قومك أُم بأُخرَى تُصرع

---

(١) مغني اللبيب ١ : ٤١ ،وانظر الجنى ٢٠٤ ،٢٠٥ ،اللسان ١٢ : ٣٦، نتائج الفكر في النحو : ٢٦١ ،٤٣٢ ، ٤٣٣ ،الإتقان ١ : ٢٠٠، الهمع ٢ : ١٣٢ . الصاحبي في فقه اللغة ١٢٦.

(٢) المفضلية ٩ : ٤٤.

وعن هذا الترتيب يقول سيبويه " وذلك قولك : أزيدٌ عندك أم عمروٌ ، وأزيداً لقيت أم بشراً ؟ فأنت الآن مُدَّعٍ أنَّ عنده أحدهما ، لأنك إذا قلت أيهما عندك ، وأيهما لقيت ؟ فأنت مُدَّعٍ أنَّ المسئول قد لقي أحدهما ، وأنَّ عنده أحدهما ، إلاَّ أنَّ علمك قد استوى فيهما لا تدرى أيهما هو .

والدليل على أنَّ قولك : أزيدٌ عندك أم عمرو بمنزلة قولك : أيهما عندك ، أنك لو قلت : أزيد عندك أم بشر فقال المسئول : لا ، كان محالا ، كما أنه إذا قال : أيهما عندك ؟ فقال : لا فقد أحال .

واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن لأنك لا تسأله عن أحد الاسمين لا تدرى أيهما هو ، لأنك تقصد قصد أن يبين لك أي الإسمين في هذا الحال ، وجعلت الإسم الآخر عديلا للأول فصار الذى لا تسأل عنه بينهما ".(١)

---

(١) الكتاب ٣ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

وقال أبوحيان في قوله تعالى : ﴿ وإنْ أدْرِي أقَرِيبٌ أمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾[١] : وتأخر المستفهم عنه لكونه فاصله إذ لو كان التركيب أقريب ما توعدون أم بعيد لم تكن فاصله)[٢].

والحذف من الأول لدلالة الثاني عليه شاذ عند ابن عقيل ، إذ الأصل الغالب عنده هو الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه[٣] وسوى بينهما صاحب شرح التصريح إذ يقول : (وتقع أم المسبوقة بهمزة التعيين بين مفردين متوسطا بينهما ما لا يُسئل عنه نحو:﴿ أأنتمْ أشَدُّ خَلْقاً أمِ السَّمَاءُ ﴾[٤]. أو متأخرا عنها ما لايُسئل عنه نحو : ﴿ وإنْ أدْرِي أقَرِيبٌ أمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾ ،... تقول إذا استفهمت عن تعيين المبتدأ دون الخبر (أزيد قائم أم عمرو) وإنْ شئت قلت (أزيد أم عمرو قائم) فتوسط الخبر أو تؤخره لأنه غير مسئول عنه[٥] فجوز الأمرين ، وبمثل ذلك قال ابن هشام[٦] والأشموني[٧] ،أمّا ابن مالك فجعل (أزيد عندك أم عمرو) أولى من (أزيد أم عمرو عندك)[٨].

---

(١) الأنبياء : ١٠٩ .
(٢) البحر ٦ : ٣٤٤ .
(٣) شرح ابن عقيل ١ : ٢٤٥ . (٤) سورة النازعات آية ٢٧ .
(٥) شرح التصريح ٢ : ١٤٣ .
(٦) اوضح المسالك ٣ : ٣٧٠ .
(٧) شرح الأشموني ٢ : ١٠٤٢ .
(٨) شرح الكافية الشافية ٣ : ١٢١٨ .

وقال السيوطي : (وفصل الثانية من معطوفها أكثر لا واجب ولا ممنوع في الأصح)[١] ، وجعله المُبَرِّد جائزا حسنا[٢] وابن عصفور على أن التوسط أحسن وما سواه جائز[٣] . ولعل كون المتوسط غير مسئول عنه أمر غير كاف لجعله علة في منع أو شذوذ التأخير ، أو جوازه ، ففي مثل (أزيد قائم أم عمرو) لا يمكن القول إن " قائم " غير مسئول عنه ، إذ السؤال عن نسبه القيام لزيد أو لعمرو ، ولو قيل (أزيد أم عمرو) لتوهم فيه أكثر من حدث من قيام وخروج ولعب وما إلى ذلك .

ولعل الأمرين جائزان حسب ما يقتضيه المقام ، فمتى اقتضى تقديم المكمل كان أولى والعكس ، وذلك حسب المعاني التي يريدها المتكلم والأغراض البلاغية التي تعبر عنها الجمل كالتفسير بعد الإبهام ، والمفاجأة ، والتشويق ، ففي قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَدْرِىَ أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ ينتظر السامع ما هذا الشيء الذى لا يدرى أقريب أم بَعِيد هو ، فيأتي ﴿ ما توعدون ﴾ فيفصّل ما أبهم بعد أن أصبحت النفس متشوقة لمعرفته .

---

(١) الهمع ٢ : ١٣٢ .

(٢) المقتضب ٣ : ٢٩٣ .

(٣) شرح الجمل ١ : ٢٣٨ .

ومما عادلت فيه الهمزة وأم بين الاسمين قول الكلحبة العُرَني :(١)

تُسائِلني بَنُو جشم بن بكرٍ   أغراءُ العَرادة أمْ بَهِيم

وقول المِرار بن مُنقذ :(٢)

ألسُمنان فيسقيها بِهِ   أمْ لقلبٍ من لُغاطٍ يَسْتَمِر
يسئل النَّاس أحمى داؤه   أمْ بِه كان سلالٌ مُسْتَسِر

وقول المُزَرِّد بن ضِرار :(٣)

وصُم الحوامِي ما يُبالي إذا جَرى   أوعثَاً نقاً عَنَت له أم جَنادل

مِشواهد الهمزة وأم وقد عادلت بين الفعلين في قول يزيد بن الخذاق(٤)

أحَسِبْتَنا لحماً على وَضَمٍ   أمْ خِلْتنا في البأسِ لا نَجْدِي

وقول بشر بن أبي خازم :(٥)

فكانوا كذاتِ القِدرِ لم تَدرِ إذ غلتْ
أتُنزِلها مذمومةً أم تُذيبُها

وقول عامر بن الطُفيل :(٦)

ولتسئلنَّ أسماءُ ، وهي حفيةٌ   نصحاءها ، أطُرِدتُ أم لم أطْرَد

وعادلت بين اسمي الفاعل في قول المُرقِّش الأكبر :(٧)

ألا بَانَ جِيراني ولستُ بعائفٍ   أدانٍ بِهم صِرفُ النَّوى أم مُخالِفي

وعادلت بين اسم المفعول والفعل المبنى للمجهول في قول راشد بن شهاب :(٨)

أقيسُ بنَ مسعودِ بن قيسِ بن خالدٍ   أموفٍ بأدراعِ ابن طيبةَ أم تُذَم

---

(١) المفضلية ٣ : ١ .   (٢) ١٦ : ٣٦ ، ٩٢ .   (٣) ١٧ : ٢٧
وبقية الابيات في قول المثقب العبدي ٧٦ : ٤٥ :
أألخيرُ الذي أنا أبتغيهِ   أم الشَّرُ الذي هو يَبْتَغيني
وقول بشر بن أبي خازم ٩١ : ١
أحقٌّ ما رأيتُ أم احتلامُ   أم الأهوالُ إذ صحبي نيام
(٤) المفضلية ٧٨ : ٧ .   (٥) ٩٦ : ١٢ .   (٦) ١٠٧ : ١ .
(٧) ٥٠ : ١ .   (٨) ٨٦ : ١١ .

همزة التسوية وأم

جاءت أم مرادا بها التسوية في بيت واحد ،وهو قول مزرد[1] :

وصَمّ الحوامي ما يُبالي إذا جَرَى
أوعْثَ نَقًا عَنَّتْ لَهُ أَمْ جَنادِلُ

وسوت الهمزة وأم بين الاسميتين.

وهمزة التسوية الاستفهام معها ليس على حقيقته ،والأكثر أن تعادل بين الفعليين ،... وإذا عادلت بين جملتين في التسوية قيل لا يجوز أنْ يُذكر بعدها إلاّ الفعلية ،ولا يجوز سواءٌ علي أزيد قائم أم عمرو منطلق . فهذا لا يقوله العرب ، وأجازه الأخفش قياسا على الفعلية.[2]

ولم تتقدم همزة التسوية كلمة " سواء " في البيت السابق ،ولكن جاء ما يدل على التسوية ،وهو قوله " ما يبالي " فقد دلت على أن الأمرين قد استويا عنده.

---

(١) المفضلية ١٧ : ٢٧.

(٢) حاشية الصبان ٣ : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، وانظر همزة التسوية في الإتقان ١ : ٢٠٠ ، مغني اللبيب/١ : ٤١ ،دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق١ ، ١ : ٢٩٦ ، ٢٩٧.

أساليب أم المنقطعة

وردت أساليب لم يسبق فيها همزة تعيين أو تسوية ، و "أم" في هذه الأساليب هي أم المنقطعة . وقد قام خلاف بين النحاة حول "أم" هذه : هل تقدر بمعنى بل ، أم بمعنى الهمزة أم بهما معا ؟

وقد ذكر المرادي وغيره أنها بمعنى الهمزة وبل جميعا عند البصريين [١] ومذهب جمهور الكوفيين أنها تدل على الإضراب في كل مقال وقد تدل مع دلالتها عليه على الاستفهام الحقيقي أو الإنكاري . وقد لا تدل على الاستفهام أصلا ، ولا تأتي للدلالة على الاستفهام وحده في مثال ما [٢] ، وذهب الكسائي وابن هشام إلى أنها كـ "بل" وتاليها كمتلوها ، فإذا قلت : قام زيد أم عمرو ، فالمعنى بل قام عمرو ، وإذا قلت : هل قام زيد أم عمرو ، فالمعنى بل هل قام عمرو . وقال الفرّاء : هي كـ "بل" إذا وقعت بعد استفهام . وقال أبو عبيدة : هي كالهمزة مطلقا . وقال الهروى : هي كالهمزة إنْ لم يتقدم عليها استفهام [٣] .

وممن ذهب إلى أنها بمعنى "بل" المُبَرِّد [٤] وابن عصفور [٥]

--------------------- اللبيب

(١) الجنى ٢٥٠ وانظر مغني/ ١: ٤٥ .

(٢) أوضح المسالك ٣: ٣٧٤ .

(٣) الهمع ٢: ١٣٣ .

(٤) المقتضب ٣: ٢٨٩ .

(٥) شرح الجمل ١: ٢٣٦ .

وابن جني [١] وابن هشام [٢] ومجاهد [٣] .

ومن قدرها بـ " بل " والهمزة ابن الأنباري [٤] والزركشي [٥]

وأبو حيان [٦] والسيرافي [٧] .

وذكر الشيخ عضيمة أن ابا حيان يقدر " أم " بـ " بل " والهمزة

إذا وقع بعدها " هل " أما إذا وقع بعدها أداة استفهام أخرى فيقدرها

بـ " بل " وحدها [٨] . ولعله وجد اضطرابا في أقوال ابي حيان أو تعددا ،

إذ نجده يقول في قوله تعالى ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم ﴾ [٩] والصحيح

أنها تقدر بـ " بل " والهمزة [١٠] .

وقد جاءت أم هذه في بيتين من الديوان ، الأول قول الجميح [١١]

أَمْسَتْ أُمَامَةُ صَمْتًا مَا تُكَلِّمُنَا
مَجْنُونَةٌ أَمْ أَحَسَّتْ أَهْلَ خَرُّوبِ

وذكر فيه التبريزي إما أن تكون بمعنى أي على طريق التعجب ، أو منقطعة

كما في قوله تعالى ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ

افْتَرَاهُ ﴾ [١٢] . [١٣]

---

(١) اللمع ١٥٢ .
(٢) المغني ١ : ٤٥
(٣) البحر ٨ : ١٥١ .
(٤) أسرار العربية ٣٠٥ .
(٥) البرهان ٤ : ١٨٠ .
(٦) البحر ٨ : ١٥١ .
(٧) الكتاب ٣ : ١٧٢ .
(٨) دراسات لإسلوب القرآن ق ١ / ١ : ٣١٥ .
(٩) الطور : ٣٢ .
(١٠) البحر ٨ : ١٥١ .
(١١) المفضلية ٤ : ١ .
(١٢) سورة السجدة آية ٢
(١٣) شرح المفضليات ١ : ٦٢ ، ٦٣ .

والثاني في قول مِرار (١) :

عَجَبٌ خَوْلَةُ إذْ تُنْكِرُنِي

أَمْ رَأَتْ خَولَةُ شَيْخًا قَدْ كَبِرْ

ولعله من الممكن اعتبارها منقطعة في قول بشر بن أبي خازم (٢) :

أَحَقٌّ مَا رَأَيْتُ أَمْ احتِلَامُ

أَمْ الأهْوالُ إذْ صَحْبِي نِيَامُ

وقد ذكر الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد مذهبا وسطا لأبي عبيده في أم ، وهو أنها على أحد

أوجه ثلاثة :

الأول : الدال على الإضراب وحده .

الثاني : الدال على الاستفهام وحده .

الثالث : الدال على الإضراب والاستفهام معا . (٣)

و "أم" في الأبيات المتقدمة هي بمعنى "بل" .

ففي الأول أخبر بأنها مجنونة ، ثم أضرب عن ذلك قائلا

: بل سمعت كلام من أفسدها علي ، بدليل قوله بعدها :

مَرَّتْ بِراكِبِ مَلْهوزٍ فَقَالَ لَهَا

ضُرِّي الجُمَيْحَ وَمُسِّيه بِتَعْذِيبِ

---

(١) المفضلية ١٦ : ١ .   (٢) المفضلية ٩٧ : ١ .

(٣) عدة السالك ٣ : ٣٧٤ .

وَلَوْ أَصَابَتْ لَقَالَتْ وَهْيَ صَادِقَةٌ

إِنَّ الرِّيَاضَةَ لا تُنْصِبكَ لِلشِّيَبِ

فاتضح من الأبيات أن هناك إفسادا وتحريضا قد علمه الشاعر فهو لا يسأل .

وفي الثاني عجب من إنكارها ، ثم تذكر حاله فأضرب قائلا بل رأت شيخا قد كبر .

وفي الثالث استفهم أولا على طريق التوجع والتألم ، ثم قطع كلامه قائلا بل هي الأهوال تطرقني وصحبي نيام .

رابعا - همزة الاستفهام داخلة على الجملة الاسمية :

دخلت همزة الاستفهام على الجملة الاسمية ثماني مرات ، على صور ثلاثة :

الأولى : دخلت على المبتدأ ، ونمثل لها بقول مُزَرِّد بن ضِرار (١) :

أَلا يا لَقَوْمٍ والسَّفَاهةُ كاسْمِها

أعائِدَتي مِنْ حُبِّ سَلْمَى عَوائِدي

الثانية : دخلت على الجار والمجرور خبرا مقدما ، نمثل له بقول المُرَقِّش الأَكْبَر (٢) :

أَمِنْ آلِ أَسماءَ الطُّلُولُ الدَّوارِسُ

يُخَطِّطُ فيها الطَّيْرُ، قَفْرٌ بَسَابِسُ

---

(١) المفضلية ١٥ : ١٠ . (٢) المفضلية ٤٧ : ١ .

وقول المُرَقَّش الأصْغَر : (١)

أَمِن ديارٌ تَعَفَّى رَسْمُهـــــــا

عينك من رسمِها بِســجُـــومْ

---

(١) المفضلية ٥٧ : ٣

وبقية الأبيات مما دخلت فيه همزة الاستفهام على المبتدأ

في قول : المُثقّب العَبدِي ٧٦ : ٣٦ .

تقولُ إذا درأْتَ لها وَضِيني أهذا دينُهُ أبداً ودِيني

وقول يزيد بن الخذّاق ٧٩ : ١٠

أكُلَّ لئيمٍ مِنكم ومعلهـــجٌ يَعُدّ علينا غارةً فَخبُوساَ

وقول عبد الله بن عنمة ١١٤ : ١٨ .

تقولُ لَهُ لمّا رأَتْ خَمْعَ رجلِه أهذا رئيسُ القومِ ؟ رادَ وِسادَها

وقول عبد قيس بن خفاف ١١٦ : ٩

دارُالهوانِ لمن رآها دارُه أفراحلٌ عنها كَمَن لم يَرْحَلِ

الثالثة : دخلت على "كل" منصوبة على الظرفية ،ومابعدها مبتدأ ،وجاء ذلك في بيت واحد للمثقب العبدي ،وهو قوله [(١)] :

أكلّ الدهر حَلٌ وارْتحـــــال

أما يُبقي عليّ وما يَقيـــنـي

وهي فيه مفيدة لمعان عدة ،من تعجب ،وسخرية ،وتقريع ، وما الى ذلك .

خامسا ـ همزة الاستفهام داخله على المصدر :

دخلت همزة الاستفهام على المصدر في مواضع أربعة ، فـــي قـــول المثقّب العَبدى : [(٢)]

أجدّكِ مَا يُدريكِ أنْ رُبَّ بَلدةٍ

وقول عمرو بن الأهتم: [(٣)] إذا الشّمسُ في الأيّام طَالَ رُكودها

أجِدّكَ لا تلِمُّ ولا تَزُورُ وَقَدْ بَانَتْ برهنِكم الخدورُ

وفي قول عبد يغوث : [(٤)]

أحقاً عبادَ اللهِ أنْ لَسْتُ سامِعاً نَشيدَ الرّعاءِ المُعْزبينَ المَتاليـــا

وقول عوف بن عطية : [(٥)]

وقالتْ كُبَيْشةُ من جَهْلِها أشيبًا قَديماً وحُلمًا مُعَـــــارا

كأنه قال :أشاب شيبا .

تركيب "أجدك" "أحقا" :

وردت "أجدك" مضافة إلى ضمير المخاطب "الكاف" مرتيـــن وتليت في أحد الأبيات باستفهام آخر وهو قوله "ما يدريك" وقد ألحق

---

(١) المفضلية ٧٦ : ٣٧ . (٢) ٢٨ : ٤ . (٣) ١٢٣ : ١ .

(٤) ٣٠ : ١١ . (٥) ١٢٤ : ٧ .

هذا التركيب عند بعض الدارسين بألفاظ القسم ، من ذلك قول الأستاذ كاظم : (أجدك : معناه مالك ،وقيل معناهما أجدا منك وقدره النحويون بأجدك ومعناهما مالك وقيل معناهما أجدا منك وقدره النحويون بقولهم أحقا منك وبهذا رد بعضهم على من أنكر تقديم حقا في قولهم زيد أخوك حقا ، فلم يمنع سيبويه تقديم حقا ،ألا تراه قال أجدك لا تفعل أي حقا منك لا تفعل فقدمه.[1]

ولعل الذى جعل الأستاذ كاظم يلحق "أجدك" بأساليب القسم قول سيبويه : (فالمحلوف به مؤكد به الحديث كما تؤكده بالحق ويجر بحروف الإضافة كما يجر حق إذا قلت إنك ذاهب بحق وذلك قولك الله لأفعلن[2]).

ثم استعمال "الحق" في القرآن الكريم في سياق فيه التوكيد والقسم كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾[3] فقد قرأ الجمهور(فالحقَ والحقَ) بنصبهما أما الأول فمقسم به حُذف منه الحرفُ كقوله : (أمانةَ اللّهِ لأقومن) والمُقْسَمُ عليه " لأملأنّ " والحق أقول مُعتَرِضٌ بينَ القسمِ وجوابه.

---

(١) أساليب القسم ١٠١.

(٢) الكتاب ٣ : ٤٩٧.

(٣) سورة ص ٨٤.

وقرأ ابن عباس ومجاهد والأعمش بالرفع فيهما فالأول مبتدأ خبره محذوف قيل تقديره فالحق أنا وقيل فالحق مني وقيل فالحق قسمي، وحذف كما حذف في (لعمرك لأقومن).

وقرأ الحسن وعيسى وعبد الرحمن بن أبي حماد عن أبي بكر بجرهم ويخرج على أن الأول مجرور بواو القسم محذوفه تقديره فوالحق. وقال الزمخشري : والحق أقول أي ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتسديد.(١)

وفي قوله تعالى ﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾(٢) إنما هو مصدر في الأصل ولا يبعد أن يرفع لأنه بمعنى ثابت. وهذا الاستفهام منه على جهة الاستهزاء والإنكار.(٣)

فالذى جعل الأقوال تتجه في الآية إلى تقدير القسم هو وجود المقسم به "لأملأن" فوجد المرجح الذى يجعلنا نفترض فيها معنى القسم تبعا للسياق والمقام، وهذا على سبيل النيابة لا على الأصل، وإن وجدت وكأنها أصل في باب القسم.

ويقول ابن مالك في (لا جرم أنهم) كلمة كانت في الأصل - والله أعلم - بمنزلة (لا بد أنك قائم) و (لا محالة أنك ذاهب).

---

(١) البحر ٧ : ٤١١.
(٢) يونس ٥٣.
(٣) البحر ٥ : ١٦٨.

فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة "حقا"، ألا ترى أن العرب تقول "لا جرم لآتينك" و"لا جرم لقد احسنت" وقال المفسرون في تفسيرها (حقا إنهم في الآخرة هم الأخسرون)[1]

ويقول الدكتور شوقي ضيف في "هذا القول لا قولك" كأنه قال "أحقا لا تفعل كذا وكذا".[2]

وقال ابن عقيل في قول الشاعر:

أجدك لم تغتمض ساعة

فترقدها مع رقادها

(ويبينه أن أجدك يتضمن معنى القسم)[3].

ولعل كل من "أجدك" و"أحقا" استفهام فيه نوع من الاستعطاف الذي يجعله قريبا من الاستحلاف في مثل "بربك" بدينك.

---

(١) شرح الكافية الشافية ٢: ٨٨٧. انظر البحر المحيط ٥: ٢١٢، ٢١٣.
(٢) المدارس النحوية ٤٣.
(٣) المساعد على تسهيل الفوائد ٣/١٣٠.

همزة الاستفهام مسبوقة بفعل السؤال

واقعة في مقول القول

وقعت همزة الاستفهام بعد فعل السؤال في أبيات ثلاثة :

تُسائِلني بنو جُشم بن بكرٍ أغراءُ العرادة أم بهيم

يسئلُ النّاسُ أحُمّى داؤُه أم بِه كانَ سُلال مُتَسعِر

ولتَسْئلن أسماءُ وهي حفيةً نُصحاءَها أطُردتَ أم لم أطرد

فيكون الاستفهام في مثل هذا كأنّه على حقيقته أومفترض وقوعه كما في البيت الأخير ، ويلاحظ على هذه النماذج المتقدمة مجيء الجواب أو ما يشبهه بعدها ، إذ جاء الجواب بعد النموذج الأول وهو قوله :

هي الفرسُ التي كَرّت عليهم عليها الشيخُ كالأسدِ الكليمِ

وبعد النموذج الثالث ، وهو قوله :

قالُوا لها : فلقد طَرَدْنا خَيْلَه قُلُحَ الكلابِ ، وكنتُ غيرَ مُطَرّدِ

وجاء ما يشبه الجواب بعد النموذج الثاني وهو قوله :

هِي دائِي وشفائِي عِنْدها مَنَعَتْهُ فهو مَلْوِيٌ عَسِر

ووقعت في مقول القول في نماذج ثلاثة أيضا وهي :

عَلَى ما أنّها هَزِئَت وَقَالَتْ: هنون ، أَجُنّ ؟ مَنْشأُ ذَا قَرِيبُ

وفي قوله :

تَقولُ إذا دَرأتُ لَها وَضِيْنِي أهذا دِينهُ أبداً وَدِينِي

وفي قوله :

تَقُول لَهُ لَمّا رَأَتْ خَمْعَ رجلِه أهذا رئيسُ القومِ ؟ رَادَ وِسادُها

فالاستفهام هنا محكي وهو أيضا كأنّه على حقيقته

تقدم ما يدل أنّ الهمزة للتعيين

كما وردت بعض نماذج في الاستعمال مسبوقة بسواء أو ما يدل على أنّ الهمزة للتسوية ،كذلك تسبق الهمزة بما يدل على أنّها للتعيين لا غير من ذلك قوله : المُثقّب العَبدي (١) :

وَمَا أدري إذا يَمَّمتُ أمراً
أُرِيدُ الخَيرَ أيّهما يَلِيني
أَأَلخَيْرَ الَّذِي أنا أبتَغِيهِ
أمْ الشَّرَ الَّذِي هو يَبتَغِيني

فقوله "أيهما" أفصح عن أنّ المراد هو التعيين .

*

حذف أسلوب الاستفهام برمته

حذف أسلوب الاستفهام كاملا في قول حاجب بن حبيب الأسدى (٢) :

أَلَا إنّ نَجْوَاكَ فِي شَادِقٍ
سَوَاءٌ عَلَيَّ وإعْلَانُهَا

والاستفهام هنا ليس على حقيقته ،إذ الهمزة المحذوفة هي همزة التسوية .
والشاعر يقول لامرأته : "سواء علي أسررت الملامة فيه أم أعلنتها فإنها منك غير مقبولة في حاليك جميعا" (٣) فالأسلوب حذف ودلت عليه كلمة سواء .

---

(١) المفضلية ٧٦ : ٤٦ ،٤٧ . (٢) المفضلية ١١٠ : ٢ .
(٣) شرح المفضليات لابن الأنبارى ٧٢١ .

حذف همزة الاستفهـــام

حذفت همزة الاستفهام في قول المُثقِّب[1] :

أكُلَّ الدَّهرِ حَـلٌ وارتحـــالٌ

أمَا يُبقي عَلَـيَّ وما يَقيني

فالأصل "وأما يقيني" ولعل الحذف هنا سائغ إذ تقدمت همزتا استفهام فاستغنى عن ذكرها هنا ،بل لعله حذف حسن ، خاصة أن همزة الاستفهام جائزة الحذف.[2]

*

اجتماع الهمزتيـن

اجتمعت همزة الاستفهام وهمزة الكلمة في بيتين ، الأول قول مُتَمِّم[3] :

أآثرتَ هِدماً بالياً وسَويَّــةً

وجِئتَ بها تَعدُو بريدا مُقَزَّعَـا

وحققت الأولى وسهلت الثانية على الأصل .

أما الثاني فقول المُثقِّب العَبْدِي[4] :

---

(١) المفضلية ٧٦ : ٣٦ .

(٢) وحذفها من الأمور التي اختصت بها الهمزة ،انظر الإتقان ١ : ١٩٠ مغني اللبيب ١ : ١٥ ،الجنى ٣١ .

(٣) المفضلية ٦٧ : ٤٧ . (٤) المفضلية ٧٦ : ٤٥ .

أأ لخير الّذي أنا أبتغيه

أم الشّر الّذي هو يبتغيني

وهمزة الاستفهام إذا التقت بهمزة أخرى فمن العرب ناسٌ يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفا إذا التقتا . قال ذو الرّمة :

فيا ظبيةَ الوعساءِ بَيْنَ جُلاجلٍ

وبَيْنَ النقا آ أنت أم أمّ سالم

وأما أهل الحجاز فمنهم من يقول آ إنك وآ أنت .

وأما الذين لا يخضعون الهمزة فيحققونها جميعا ولا يدخلون بينها ألفا وإن جاءت ألف الاستفهام وليس قبلها شيء لم يكن من تحقيقها بد وحققوا الثانية على لغتهم.(١)

وذكر البيت السيرافي وقال : (فأثبت ألف الخبر مع ألف الاستفهام ، فلما كانت ثبتت كما ثبتت ألف أحمر شبهت بها ففتحت).(٢)

وتمد هذه الألف عند المبرد (٣) وابن يعيش والزمخشري (٤) ، وأجاز الرماني تحقيق الهمزتين ، وتحقيق الاولى وتخفيف الثانية ، وتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما (٥) والعلة في ذلك لئلا يلتبس بالخبر.(٦)

---

(١) الكتاب ٣ : ٥٥١ .   (٢) السيرافي النحوى ٣٦٦ .

(٣) المقتضب ١ : ٨٥ ، ٢٥٣ .   (٤) شرح المفصل ٩ : ١٣٨ .

(٥) معاني الحروف : ٣٥ .

(٦) الكتاب ٣ : ٣٢٥ . وذلك قول سيبويه : " وقالوا الإستفهام : آلرجل ، شبهوها بألف أحمر ، كراهية أن يكون كالخبر ، فيلتبس فهذا قول الخليل .

وبالنظر للبيت السابق يتضح أنّها لا تلتبس بالخبر فهي سؤال بقرينة البيت السابق عليه، ولكن الشاعر لم يحذف ولم يمدد وأرجع ذلك ابن يعيش إلى أن الوزن لم يسمح له بهذا التعبير، ولعله ليس كذلك فالأمر متعلق بالمعنى. ففي قوله تعالى ﴿ آ لذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ ﴾ (أألذكرين) . [1] تقرير وإنكار والمدة في الهمزة الثانية/زادت في المعنى شيئا وأضافت نوعاً من السخرية ليعلموا أنه لم يكن هناك تحريم على الإطلاق إذ لو كان لكان لواحد مما ذكر، وفي قوله (آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) [2] إنكار وتوبيخ ، هذا التوبيخ يزداد فعله مع المد ، ولو جئنا الى مسميات هذه الأمور وهي : التحقيق، والتخفيف لاتضح لنا أن التخفيف مأخوذ من الخفة ومنه الاستخفاف بالشيء أو بما جعله يكون أو بمن فعله ، والمد والمطل فيه ما ينبيء بأن المتكلم تردد في قوله فكيف به يحصل من صاحبه - إذ صاحب العقل يرفضه -

أما بالنسبة للتحقيق فهي كلمة جهورية بحروفها ومعانيها كأنّ المتكلم يُلقي كلاما صفته الثقة والتأكيد، ويحرص على إيصاله دون تأخير أوتطويل ، ففي قوله :

أألخيرُ الّذي أنا ابتغيه
أم الشرُ الّذي هُوَ يَبْتَغيني

أمران وقوعهما لا مفرّ منه ولكنه لا يدرى أيهما يكون ، ويلاحظ أنّ الجواب هنا قريب من الإثبات ، وإنْ أجاب بأحدهما سواء قال "الخير" أو قال "الشر"

---

(١) الأنعام ١٤٤ .
(٢) النمل ٥٩ .

لا يدعى مدعى عليه الكذب ،لأنهما لا بد حاصلان ، وفي الآيتين قريب من النفي ،وفي البيت الأمران محققا الوقوع وفي الأيتين لا مجال حتى لمجرد التفكير بالترجيح أو التعيين لأحدهما بل هما على سبيل الإنكار والتوبيخ .

*

تردد الهمزة بين الاستفهام وغيره

جاءت الهمزة مختلفاً فيها هل هي للاستفهام أم لا ، في قول يزيد بن الخذّاق[(١)] :

لَنْ تَجْمَعُوا وُدِّي ومَعْتَبَتِي

أَوَ يُجْمَعَ السَّيْفَانِ فِي غِمْدِ

الخلاف في " أو " هل هي همزة الاستفهام و"و" العطف فصلت بين أداة الاستفهام والمستفهم عنه ،أم هي " أو" العاطفة .[(٢)]

ولعلها همزة الاستفهام وفصلت الواو لزيادة معنى التعجب والإنكار ،والواو تدخل على ألف الاستفهام[(٣)] وذلك قولك إذا قال القائل : رأيت زيداً عند عمرو . أوهو ممن يجالسه .[(٤)]

وجاء الاستفهام صريحا بهذا المعنى في بيت شبيه بالبيت المتقدم لأبي ذؤيب ،وهو قوله :

تُرِيدِيْنَ كَيْمَا تَجْمَعيني وخالِدا

وهل يجمع السَّيْفَان وَيْحَكِ في غِمْد[(٥)]

---

(١) المفضلية ٧٨ : ٢ .

(٢) انظر شرح المفضليات لابن الانبارى ٥٩٤ ،شرح المفضليات للتبريزى ٢ : ١٠٤٤ .

(٣) انظر الكتاب ٣ : ١٨٧ . (٤) المقتضب ٣ : ٣٠٧ .

(٥) خزانة الأدب ٨ : ٥١٤ ت/ عبد السلام هارون وانظر ديوان الهذليين ١٥٩/١ وللبيت شبيه في البسيط ٢ : ٧٦٣ هـ .

(ثانيا) - هـل

وهي أكثر أدوات الاستفهام ورودا بعد الهمزة ، ومن النحاة من عدها أصلا في باب الاستفهام شأنها في ذلك شأن الهمزة ، ومنهم من عدها محمولة عليها ، ولعلها حرف استفهام موضوع أصلا له ، إذ لا معنى لها غير الاستفهام ، وقد تعددت المعاني والأغراض البلاغية التي جاءت من أجلها ، وقد دخلت هل في الديوان كثيرا على الجملة الفعلية حيث جاءت كذلك في واحد وعشرين موضعا ، ودخلت على الجملة الاسمية خمس عشرة مرة وقد جاء الفعل مؤكدا معها أحيانا .

*

توكيد الفعل بعد "هل"

توكيد المضارع بعد الاستفهام يأتي كثيرا عند فريق من النحاة جائزا عند فريق آخر[1] وجاء الفعل مضارعا بعد هل أربع عشرة مرة أكد في خمسة مواضع منها ، وهي وإن كانت خمسة/ فهي ليست بالقليلة إلا أنها لا تبيح لنا الحكم بكثرة أو جواز ، ولعل التوكيد وعدمه إنما هو أمر مرده للمعنى ولم يؤكد بعد هل في القرآن الكريم إلا في قوله تعالى ﴿ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾.[2] أما شواهده في المفضليات ففي قول المُرَقِّش الأكبر :[3]

---

(١) انظر اوضح المسالك : ٩٩ وما يليها ، الهمع ٢ : ٧٨ ، الجنى : ١٤٣ .
(٢) الحج : ١٥ .
(٣) المفضلية ٥٠ : ١٦ .

فَهَلْ تُبْلِغَنِّي دارَ قومي جَسْرةٌ خنوفٌ علنْدى جلعَد غيرُ شارفِ

وقوله : فأكد الفعل " تبلغ " بالنون المُثقلة ، وقوله : (١)

هَلْ يَرجِعَن لي لِمّتي إنْ خَضَبْتُها إلى عَهْدِها قَبْلَ المَشِيبِ خِضابُها

فأكّد الفعل (يرجع)بالنون الخفيفة ، وقول ثعلبة بن عمرو: (٢)

أحالَ بها كَفّه مُدبِـــراً وهَلْ يُنجِيَنْك شَدٌّ وعيـــبٌ

فأكد الفعل (ينجي) بالنون الثقيلة ،وقول حاجب بن حبيب : (٣)

هَلْ أُبْلِغَنْها بمِثلِ الفَحلِ ناجيةً عَنْسٍ عُذافِرةٍ بالرَّحلِ مِذعانِ

فأكّدَ (أبلغ) بنون خفيفة ،وقول علقمة بن عبدة : (٤)

هَلْ تلحِقَنّي بأخرى الحيّ إذ شَحَطوا

جِلذيةٌ كأتانِ الضحلِ علكــــوم

فأكد الفعل (تلحق) بنون ثقيلة .

أمّا ما جاء مضارعا بغير توكيد ،ففي قول الحُصين بن الحُمام: (٥)

وَقالُوا : تَبيّن هَلْ تَرى بَيْنَ ضارجٍ ونهيِ أكُفٍّ صارخاً غيرَ أعجَمـا

وقول المُرقّش الأكبر : (٦)

هَلْ تَعرِفُ الدّارَ عَفا رَسْمُها إلّا الأثافي وَمَبْنى الخِيَـم

---

(١) المفضلية ٥٣ : ٠١

(٢) المفضلية ٦١ : ٠١١

(٣) المفضلية ١١١ : ٠٣

(٤) المفضلية ١٢ : ١٤

(٥) المفضلية ١٢ : ٠٣٩

(٦) المفضلية ٤٩ : ٠١

وقوله :(١)

فَهَلْ تُسَلِّي حُبَّها بـازِلٌ ما إِنْ تَسَلَّى حُبَّها مِن أَمَمْ

وقول المُرَقِّش الأَصْغَر:(٢)

تَبَصَّر خَليلِي هَلْ تَرى مِنْ ظَعائِنٍ خَرَجْنَ سِراعاً واقْتَعَدْنَ المغائِما

فَعَمْرُكَ اللّهَ هَلْ تَدرِي إِذا ما لُمتَ في حُبِّها فيمَ تَلُوم

وقول بشر بن عمرو:(٣)

بَلْ هَلْ تَرَى ظُعناً تَحْدِي مُقَفِّيَةً لَهَا توالٍ وحادٍ غيرُ مَسْبُوقِ

وقول أبي القيس بن الأَسلت:(٤)

هَلْ أَبْذُلُ المالَ عَلى حُبِّه فِيهم وآتِي دَعْوَةَ الدّاعِي

وقول الحارث بن ظالم:(٥)

علوتُ بِذي الحياتِ مَفْرِقَ رَأْسِه وَهَلْ يَرْكَبُ المَكْرُوهَ إِلاّ الأَكارِمُ

وقول بشامة بن الغدير :(٦)

أَمْ هَلْ تَرَوْنَ اليومَ من أَحدٍ حَصَلَتْ حصاةُ أَخٍ لَهُ يُرعِي

----

(١) المفضلية ٤٩ : ٦.

(٢) المفضلية ٥٦ : ٧ ، ١٦.

(٣) المفضلية ٧٠ : ٤

(٤) المفضلية ٧٥ : ١٧.

(٥) المفضلية ٨٨ : ٥.

(٦) المفضلية ١٢٢ : ١٤.

أما الفعل الماضي فقد جاء بعدها خمس مرات ، وشواهده في قول الحادرة :(١)

أَسُمَيَّ وَيْحَكِ هَلْ سَمِعْتِ بِغَدْرةٍ رُفِعَ اللواءُ لنا بِها في مَجْمَعِ

وقول ذي الإِصبَعَ العُدوانِيّ :(٢)

ثم اسألا جارتي وكنتها هَلْ كُنْتُ مِمَّن أُرابُ أو قَذَعا

وقول المُرَقِّش الأكْبَر :(٣)

بَلْ هَلْ شَجَتْكَ الظُّعنُ باكرةً كأنهُنَّ النخلُ مِنْ مَلْهَم

وقول يزيد بن الخذّاق :(٤)

أَلاَ هَلْ أَتاهَا أَنَّ شِكَّةَ حازمٍ لَدَيَّ ، وأَنِّي قد صَنَعْتُ الشموسَا

وقول المرار بن مُنْقِذ :(٥)

هَلْ عَرَفْتَ الدّارَ أَمْ أَنكرتَها بينَ تِبْراكٍ فَشَسِّي عَبَقُر

---

(١) المفضلية ٨ : ٩ .

(٢) المفضلية ٢٩ : ١٨ .
ذكره التبريزي في شرحه ٢ : ٥٨٣ .

(٣) المفضلية ٥٤ : ٥ .

(٤) المفضلية ٧٩ : ١ .

(٥) المفضلية ١٦ : ٥٣ .

ما الذى يلي "هل" ؟

ذكروا أن هل لا يليها الاسم إذا كان في حيزها الفعل ، فإنْ قلت : هل زيدًا رأيت ، وهل زيدٌ ذهب ، قبح ولم يجز إلاّ في الشعر.(١)

وقد تقدم الاسم والفعل في حيزها في موضعين هما :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم   أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم
أم هل كبير بكى لم يقض عبرته   اثر الأحبة يوم البين مشكوم

فبقي الاستعمال في الديوان مطابقا لما قرره النحاة.

إفادة "هل" معنى النفى

توهم التبريزى(٢) أن معنى الاستفهام في قول المُرَقِّش الأكبر :

هَلْ تَعرِف الدارَ عَفا رَسْمها
إلاّ الأثافِي ومَبْنَى الخِيَمْ

توهمه نفيا(٣) ، ولعل هذا لوجود "إلاّ" فيها ، والاستفهام هنا غير مقصود به النفي ، ولعل جزءًا من الجملة محذوفا لضيق المقام ، فكأنّ التركيب " هل تعرف الدار عفا رسمها فلم يبق منها إلاّ الأثافي " والدليل على أنّ

اللبيب

(١) الكتاب ١ : ٩٩ ، وانظر مغنى/ ٢ : ٣٤٩ ، الجنى ٣٤٣.
(٢) المفضلية ٩ : ١٤ .
(٣) شرح المفضليات للتبريزى ٢ : ٨٢٥.

الاستفهام مراد على حقيقته أنه أجاب في البيت التالي بقوله :

أَعْرِفُهَا دارًا لأَسْمَاءَ فالـ

دَّمْعُ على الخَدَّيْنِ سَحٌّ سَجِمْ

وأفادت هل معنى النفي وعوملت معاملته في قول المُرَقِّش الأكبر : (١)

هَلْ بالديارِ أنْ تُجِيبَ صَمَمْ

لَوْكانَ رَسْمٌ ناطِقًا كَلَّمْ

فمعنى الاستفهام هنا النفي ،وعومل "الديار" معاملة الخبر المنفي بما وليس واقترنت بالباء ،وفي ذلك يقول السهيلي في نحو : هل زيد بقائم (فإذا سمع المخاطب "الباء" وهي لا تدخل في الوجوب ،تأكد عنده ذكر النفي والاستفهام وأن الجملة غير منفصلة عنه ...) (٢)

وفي قول الحارث بن ظالم : (٣)

عَلَوْتُ بِذِي الحَيَّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ وَهَلْ يَرْكَبُ المَكْرُوهَ إِلَّا الأَكَارِمُ

والمعنى : ما يركب المكروه إلا الأكارم.

---

(١) المفضلية ٥٤ : ١.

(٢) نتائج الفكر في النحو : ٧٥.

(٣) المفضلية ٨٨ : ٥.

إفادة "هل" معنى التحقيق

أفادت هل معنى التحقيق في قول أبي قيس بن الاسلت[1] :

هَلْ أَبْذِلُ المالَ عَلَى حُبِّـــــهِ

فِيهِمْ ، وآتِي دَعْوَةَ الدَّاعِـــي

جاء في شرحه أبذله على حبي إياه وحاجتي إليه .[1]

ودار خلاف حول "هل" فهي عند سيبويه بمنزلة قد ، وتركوا الألف فيها إذ كانت هل لا تقع إلا في الاستفهام[2] وقوله لا تقع إلا في الاستفهام فيه رد على كونها بمنزلة قد وأَنَّ الاستفهام ليس أَصلا فيها إذ سيقول سائل : ما دامت لا تقع إلاّ في الاستفهام فكيف تكون بمنزلة قد ؟ ولم وضعت ؟

أمّا المُبَرِّد فيقول " وهل تخرج من حد المسألة فتصير بمنزلة " قد " نحو قوله عز وجل ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾[4] .[5]

وابن هشام يرى أنها تأتي بمعنى قد وذلك مع الفعل .[6] ونقل الزمخشري كونها بمعنى قد عن سيبويه . وقد جاءت المذاهب في قد استفهاما وتحقيقا عند ابن يعيش .[7]

---

(١) المفضلية ٧٥ : ١٧

(١) شرح المفضليات لابن الأنباري ٥٧١ .

(٢) الكتاب ٣ : ١٨٩ . (٤) سورة الإنسان آية ١

(٥) المقتضب ٣ : ٢٨٩ .

(٦) المغني ٢ : ٣٥١ .

(٧) شرح المفصل ٨ : ١٥٤ .

وقال ابن جني في قوله عز وجل ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [1] قالوا : معناه قد امتلأت.[2]

وقال : فأما " هل " فقد اخرجت عن بابها الى معنى قد نحو قول الله - سبحانه - ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾[3] ، قالوا : معناه قد أتى عليه ذلك .

ثم ذكر أنها قد تكون مبقاة على بابها ولا بد لها من جواب مقدر أو ملفوظ [4]. ويرى المرادى أن الأصل في " هل " أن تكون للاستفهام ومن معانيها أن تكون بمعنى قد [5] ، ومثله قال الرماني [6] والمالقي [7] وقد فصل أمر هذه المسألة الدكتور عبد العليم فوده [8] وقال الفراء في آية الإنسان و " هل " قد تكون جحدا ، وتكون خبرا ، فهذا من الخبر.[9]

وإذا حق لي أن أضع تصورا في هذه المسألة ذكرت مايلي :

أولا : " هل " أصل في الاستفهام ، وإن أفادت غيره فتلك إضافة على معناها الأصلي .

ثانيا : فهم من كلام سيبويه أنها لا تكون لغير الإستفهام

---

(٢) سورة ق آية ٣٠ (٣) سورة الإنسان آية ١

(١) الخصائص ٣ : ٢٦٣ .

(٤) الخصائص ٢ : ٤٦٢ ، وانظر ٤٦٣ .

(٥) الجنى ٣٤٤ .

(٦) معاني الحروف ١٠٢ .

(٧) رصف المباني ٤٧ .

(٨) أساليب الاستفهام ١٠٧ وما يليها .

(٩) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢١٣ وانظر : معاني الحروف ٣ : ٢١٣ وانظر البحر ٨ : ٣٩٣ .

فلو كانت تفيده بتضمين الهمزة ،فلأى المعاني وضعت ؟ وهل من خصائص العربية أوطبيعتها أن تستخدم كلمة أوحرفا في أسمى لغة وهي لغة القرآن ، واللغة الفنية وهي لغة الشعر استخدام حشو دون أن يكون لوجود هذه الكلمات معنى في التركيب !

ثالثا : لوكان الأصل فيها أن تكون بمعنى قد لكان هذا هو الغالب في استعمالها ،وقد وردت في القرآن الكريم ثلاثا وتسعين مرة (١) لم يجمع على آية واحدة فيها إجماعا تاما على أنها بمعنى قد .

رابعا : على تفسيرهم (أهل رأونا) أنها بمعنى (أقد) لم يرد في فصيح الكلام هذا التركيب وفي المقابل جاء (بل هل) و (أم هل) ،فمن الأولى أن تكون الهمزة على معنى أم أو بل .

خامسا : الاستفهام شك أكثر منه يقين ،وقد لتحقيق أمر ثابت أو المتوقع ،أو التكثير أو التقليل ،أو تقريب الماضي من الحال، (٢) فالمعني بين " هل " و " قد " ليس واحدا ،وإنما أفادته في هذا البيت لأمر بلاغي وهو ما يثيره السؤال من تقرير للواقع ،فكأنه باذل لما له مقر بذلك وذكره على سبيل التحقيق ،ولكنه أثار السؤال ليكون محققا في نفوس السامعين كما هو محقق في نفسه عندما يرون الواقع مطابقا لما ذكره فتكون الاجابة " نعم " مؤكدة بدليلها ،كما أنه لو قال (قد أبذل المال على حبه) مباشرة ربما يفهم منه أنها للتقليل .

---

(١) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ١٠١ .

(٢) انظر مغني اللبيب ١ : ٧١ - ٧٤ .

زيادة من بعد " هل "

زيدت من بعد " هل " في مواضع سبعة في قول المُرَقّش الأصغر: (١)

تَبَصَّر خَليلي هَلْ تَرى مِنْ ظَعَائنٍ خَرَجْنَ سِراعاً واقتعدن المفائما

وقول مُزَرّد بن ضِرار: (٢)

فَقَالَ لَها هَلْ مِن طَعامٍ فإنَّني أَذُمُّ إليكِ النَّاسَ ، أُمّكِ هابِـــل

و " من " تزاد بعد " هل " ، وفي ذلك يقول المرادى : (واعلم أن " من " لا تزاد عند سيبويه ، وجمهور البصريين إلا بشرطين :

الأول : أن يكون ما قبلها غير موجب ونعني بغير الموجب النفي (٣) والاستفهام ، نحو * هل مِن خالِقٍ غيرُ اللهِ * ولا يحفظ ذلك في جميع أدوات الاستفهام ، إنما يحفظ في " هل " (٤) . ويلاحظ على الجمل الاستفهامية التي زيدت فيها " من " أن دخولها على الفعلية أقل من دخولها على الإسمية . أما المعاني فأكثر ما يكون الاستفهام معها مفيداً للتمني والنفي ، وزادت " من " في معناهما حين أفادت " من " معنى القلة التي تقارب العدم ففي قوله: (هل ترى من ظعائن) و (هل من طعام) و (هل للفتى من بنات الدهر من واق) - مثلا - إنما هو يسأل عن أدنى قدر يمكن وجوده .

---

(١) المفضلية ٥٦ : ٧ . (٢) المفضلية ١٧ : ٧١ وبقية الأبيات في قول سلامة بن جندل ٢٢ : ١ ذكره التبريزى في شرح المفضليات ٢ : ١٤٧

هَلْ في سؤالِك عن أسماءَ من حوبٍ وفي السَّلامِ وإهداءِ المناسِبِ

وقول ثعلبة بن صعير ٢٤ : ١

هَلْ عندَ عَمْرَةَ من بناتِ مُسافِرٍ ذي حاجةٍ مُتَرَوِّحٍ أو باكِرِ

وقول المُمَزِّق العَبْدِي ٨٠ : ١

هَل لِلفَتى مِنْ بناتِ الدَّهرِ من واقِ أَمْ هَلْ لَهُ من حِمامِ الموتِ مِنْ راقِ

وقول بشامة بن الغدير ١٢٢ : ١٣ ، ١٤

أَبلِغْ بَني سهمٍ لَديكَ فَهَلْ فِيكُمْ على الحَدَثانِ مِنْ بِدَعِ
أم هلْ ترونَ اليومَ مِن أحدٍ حَصَلَتْ حصاةُ أخٍ له يَرعي

(٣) سورة فاطر آية ٣ .

(٤) الجنى الداني ٣١٧ / وانظر الصاحبي في فقه اللغة ١٧٣ / همع الهوامع ٢ : ٣٥ .

"هل" بعد فعل السؤال والواقعة

في مقول القول

وقعت "هل" بعد فعل السؤال في قول ذي الأصبع (١).

ثم أسألا جارتي وكنتها

هل كنت فيمن أرأب أو قذعا

وقول بشر بن أبي خازم (٢):

سائل تميماً في الحروب وعامرا

وهل المجرب مثل من لم يعلم

ووقعت مقولا للقول في قول الحصين بن الحمام (٣):

وقالوا تبين هل ترى بين ضارج

ونهي أكف صارخا غير أعجما

وقول مزرد (٤):

فقال لها: هل من طعام فإنني

أذم إليك الناس، أمك هابل

فقالت: نعم هذا الطوي وماؤه

ومحترق من حائل الجلد قاحل

فالإستفهام هنا محكي والسؤال على حقيقته، ونجد أنه يتخذ أحيانا صورة الحوار.

---

(١) ذكره التبريزي في شرح المفضليات ٢ : ٥٨٣.
(٢) المفضلية ٩٩ : ٨.
(٣) ١٢ : ٣٦.
(٤) ١٧ : ٧٢،٧١.

(ثالثا) " ما " الاستفهاميـــة

وردت " ما " في المفضليات إحدى وثلاثين مرة ، وجاءت على صـــور شتى ، وهي كما يلي :

أ - " ما " داخلة على الجملة الاسمية ، وجاءت اثنتي عشرة مرة .

ب - " ما " داخلة على الجملة الفعلية ، ودخلت عليها ثلاث مـــرات ودخلت في موضع واحد على الظرف المتعلق بالجملة الفعلية .

- أساليب " ماذا " وجاءت أربع مرات .
- أساليب " ما يدريك " وجاءت خمس مرات .
- أساليب " مالك " وجاءت أربع مرات ، وتعد " ما " فيها داخلة على الجار والمجرور ، ويلحق بها بيتان آخران دخلت فيهما " ما " على الجار والمجرور وهما غير " لك " أو " لكم " .

وما الاستفهامية بمعنى أي شيء ، ويسئل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته وأجناس العقلاء وصفاتهم وأنواعهم نحـــــو ﴿مَا لَوْنُهَا﴾ [1] ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ [2] ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ [3] ﴿وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ [4] ولا يسئل بها عن أعيان أولى العلم خلافا لمن أجازه . وأما قول فرعون ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [5]

---

(١) سورة البقرة آية ٦٩ . (٢) سوة البقرة آية ١٤٢ .
(٣) سورة طه آية ١٧ . (٤) سوورة الفرقان آية ٦٠
(٥) سورة الشعراء آية ٢٣ .

فإنه قاله جهلا ، ولهذا أجابه موسى بالصفات . ويجب حذف ألفها إذا جُرّت وإبقاء الفتحة دليلا عليها فرقا بينها وبين الموصولة نحو :

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[1] ، ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾[2] ، ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3]

﴿ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[4] ، فنجد السيوطي منع السؤال بها عن أعيان[5] أولي العلم ، واتسع هذا المنع عند ابن فارس حيث جعلها لغير الناس ،

أما قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾[6] و ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾[7]

فعلى معنى "من"[8] وذكر السيوطي في الهمع ما خالف به هذا

المنع[9] . ولعلها تقع على الأجناس ، وعلى الأعيان بقلة ، يؤيد

ذلك ما جاء في الديوان من قول ربيعة بن مقروم[10] :

وَقَفْتُ أُسَائِلُهَا نَاقَتِي

وَمَا أَنَا أَمْ مَا سُؤَالِي الرُّسُومَا

وقول المُرَقّش الأكبر[11] :

بِوِدِّكَ مَا قَوْمِي عَلَى أَنْ هَجَرْتَهُمْ

إِذَا أَشْجَذَ الأَقْوَامُ رِيحُ أَضَائِفِ

---

(١) سورة عم آية ١ . (٢) سورة النازعات آية ٤٣ .
(٣) سورة الصف آية ٢ . (٤) سورة النمل آية ٣٥ .
(٥) انظر الإتقان ١ : ٢٢٩ . انظر البرهان ٤ : ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، مغني اللبيب ١ : ٢٩٨ .
(٦) سورة الليل آية ٣ . (٧) سورة الشمس آية ٥ .
(٨) الصاحبي في فقه اللغة ١٧١ .
(٩) انظر الهمع ١ : ٩١ . (١٠) المفضلية ٣٨ : ٣ . (١١) ١١ : ٥٠ .

وقول علقمة بن عبده (١) :

وما أنتَ أمْ مَا ذكرها ربعية

يخط لها من ثرمداء قليب

ولعل ما الاستفهامية لا يتعين فيها أن تكون بمعنى "أى شيء" وإن كان هو الغالب عليها ، فقد جاءت بمعنى كيف في قول أبي قيس بن الأسلت (٢) :

هلّا سألتِ الخيلَ إذ قلّصتْ

ماكانَ إبطائي وإسراعي

فـ "ما" في البيت بمعنى كيف ، يقول التبريزى : هلا سألت كيف كان إقدامي وقت الإقدام وإحجامي وقت الإحجام ؟ (٣)

ومما يلاحظ على "ما" الاستفهامية أن دخولها على الاسمية أكثر من دخولها على الفعلية ولعل ذلك راجع للمسئول عنه بها ، حيث يسئل بها عن أجناس وأعيان وصفات وأنواع وكلها أسماء ، وقد فسرت "بأي شيء" وعندما فسرت جاء بعدها الاسم ، وستأتي إى التي فسرت بها فيما يأتي من أدوات الاستفهام ولم يلها من الجمل إلّا الاسمية .

----

(١) المفضلية ١١٩ : ٠٧ (٢) المفضلية ٧٥ : ٠١٦

(٣) شرح المفضليات للتبريزى ٢ : ١٠١٢

"ما" بين الاستفهام وغيره

أجاز التبريزى كون "ما" استفهامية أو نافية [١] من قول المُرَقِّش الأكبر [٢] :

مَا قُلْتُ هَيَّجَ عَيْنَهُ لِبُكَائِهَا

مَحْسُورَةٌ بَاتَتْ عَلَى إِغْفَائِهَا

ولعل كونها نافية أمر مستبعد من أجل البيت التالي لهذا ،وهو قوله :

فَكَأَنَّ حَبَّةَ فُلْفُلٍ فِي عَيْنِهِ

مَا بَيْنَ مُصْبَحِهَا إِلَى إِمْسَائِهَا

ولو كانت نافية لما كان هذا البكاءُ حاصلاً على هذه الصورة ،وربما تكون "ما" في البيت موصولة وقال بذلك محققا المفضليات [٣] إذ يتضح من الأبيات أنه أمام شخصية أخرى يتحدث اليها فهو يقول "سفهاً تذكره خويله بعد ما" فكأن الشخص الذى يتذكر إنما هو شخص غيره وإن كان في الحقيقة هو حيث اتخذ الشاعر الحوار لبناء الكلام عليه ، فكأنه يقول : "الذى قلت هيج عينه للبكاء .

كما أجاز كونها زائدة أو إستفهامية [٤] في قول المُرَقِّش الأكبر [٥] :

بِوُدِّكِ مَا قَوْمِي عَلَى أَنْ هَجَرْتُهُمْ

إِذا أَشْجَذَ الأقوامَ رِيحُ أُظَائِفُ

---

(١) شرح المفضليات ٢ : ٨٥٣ ، ٨٥٤ . (٢) المفضلية ٥١ : ١٠

(٣) المفضليات ٢٣٤

(٤) شرح المفضليات/للتبريزى ٢ : ٨٤٦ . (٥) المفضلية ٥٠ : ١١

وقد جعلها ابن الأنبارى على معنى كيف إذ يقول : (والمعنى بالهك كيف قومي وكيف وجدتهم في معاشرتك إياهم على أنك لهم مهاجره) (١) ولعلها كما قال ابن الأنبارى إذ لا معنى لها على الزيادة ، وإنما استفهم ليعظم قومه ويمدحهم في الشدائد .

وذهب التبريزى إلى أنها في قول عبده بن الطبيب (٢) :

إِنَّ الكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ
ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَصْنَعُ

بدلا من "أمره" ، أو مفعولا من أمره ، أو من باب ما شغل الفعل عنه فأشبه المفعول (٣) ولعلها استفهامية فكأنه قال: "إنَّ الكبير إذا عصاه أهله ضاقت يداه بأمره" فوقف ثم استأنف مستفهما على طريق الحيرة والتألم "فكيف يصنع" .

---

(١) شرح المفضليات/ ٤٧٦ .
لابن الأنبارى
(٢) المفضلية ٢٧ : ٩ .
(٢) شرح المفضليات/ ٢ : ٥٤٢ .
للتبريزى

أساليب "ما" بعدها فعل الدراية

وردت أساليب "ما يدريك" خمس مرات في المفضليات (١)، ولم ترد "ما أدراك"، من ذلك قول الحادرة :

فَسَمَيّ ما يُدريكِ أَنْ رُبَّ فِتْيَـــةٍ
بَاكَرْتُ لَذَّتَهم بِأَدْكَنَ مُتْـــرَعِ

ومما يلاحظ على تلك الأساليب كثرة تقدم النداء حيث سبقت به ثلاث مرات ، وفي البيتين المتبقيين سبقت بـ "أجدك" في أحدهما وهو استفهام وقد تقدم أَن بعض الدارسين يلحقه بالقسم (٢)، وفي الثاني تبعها استفهام آخر ،فكأن المعاني التي جاءت من أجلها أساليب "ما يدريك" تحتاج الى لفت وتنبيه . وعن هذه الأساليب قال ابن خالويه : (كل ما في كتاب الله "وما أدراك" فقد أدراه ،وَّ"ما يدريك" فما أدراه بعد) (٣)

: (كل ما جاء في القرآن من "وما يدريك" فغير مذكور جوابه . وما جاء من "وما أدراك" فمذكور جوابه) (٤).

وأساليب "ما يدريك" الواردة في الديوان لم تجب ولم تدر بعد ،يؤكد عدم الدراية مجيء رب بعدها حيث جاءت في أبيات أربعة ،إذ لو قال قائل (ربما كان كذا) لكان فيه دليل على أنه لا يعلم أكان أم لم يكن ؟

---

(١) المفضلية ٨ : ١٦ . (٢) انظر دخول الهمزة على المصدر.
(٣) اعراب ثلاثين سورة : ٤٠ .
(٤) نقلا عن دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق١ / ٣ : ٩٧ وانظر أساليب الاستفهام ١٢٩ .

وشواهدها المسبوقة بالنداء في قول ثعلبة بن صعير : (١)

أَسُمَيَّ ما يُدريكِ أنْ رُبَّ فتيةٍ

بيضِ الوجوهِ ذوي ندىً ومآثِرِ

وقول المُرَقِّش الأكبر : (٢)

يا خَولَ ما يُدريكِ رُبَّتَ حُرَّةٍ

خَودٍ كريمةٍ حيِّها ونسائِها

وسبقت بـ " أَجِدَّك " في قول المُثَقِّب العَبْدِي : (٣)

أَجِدَّكَ ما يُدريكِ أنْ رُبَّ بَلدةٍ

إذا الشَّمسُ في الأيامِ طَالَ رُكودُها

وتبعها استفهام آخر ،في قول بشر بن أبي خازم : (٤)

وما يُدرِيكَ ما فَقْرى إليهِ

إذا ما القومُ وَلَّوا أو أغَاروا

----

(١) المفضلية ٢٤ : ١٥ . (٢) المفضلية ٥١ : ٥ .

(٣) ٢٨ : ٤ . (٤) ٩٨ : ٥٠ .

أساليب "ما" متلوه بالجار والمجرور

وردت "ما" الاستفهامية وبعدها الجار والمجرور في مواضع ستة ،
حيث جاء بعدها الظاهر مرتين في قول أبي ذؤيب (١) :

قَالَتْ أُمَيْمَةُ: ما لِجِسْمِكَ شَاحِبــاً
مُنْذُ ابْتُذِلْتَ ومثلُ مالِكَ يَنْفَــع

أمْ مَا لِجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعــاً
إلاَّ أَقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَــعُ

والمضمر أربع مرات أحدها قول تأبط شرا (٢) :

يا عيدُ مالَكَ مِن شَوْقٍ وإيراقِ
ومَرِّ طَيفٍ على الأهوالِ طَرَّاقِ

والثاني والثالث قول الحُصين (٣) :

وَقُلْتُ لَهُمْ: يا آلَ ذُبْيانَ مالَكُم
تَفَاقَدْتُمُ ، لا تُقْدِمونَ مُقَدَّمــا

وَقُلتُ لَهُمْ يا آلَ ذُبْيانَ مالَكُم
تَفَاقَدْتُمُ ، لَمْ تَذْهَبُوا العَامَ مَذْهَبــا

والرابع قول مُتَمِم (٤) :

تَقُولُ ابنةُ العَمْرِيِّ مالَكَ بَعْدَمــا
أراكَ حَديثاً ناعِمَ البَالِ أفْرَعــا

والأبيات المتقدمة مشتملة على أحوال يسأل عنها ، عدا بيت تأبط شرا حيث أغنت من المبينة على الحال ، وفي بيت مُتمم إذ ضاق به المقام فحذف الحال وتقديره "حزينا".

---

(١) المفضلية ١٢٦ : ٢ ، ٣ . (٢) ١ : ١ ، ٥ . (٣) ١٢ : ٢٥ ، ٩٠ : ١١
(٤) ٦٧ : ٢٩ .

أساليب " مـــاذا "

وردت " ماذا " أربع مرات في الديوان ، في قول ذي الإِصْبَع (١) :

:

ماذا عَليَّ وإنْ كنْتم ذَوِي كرمٍ
أنْ لا أُحِبَّكُم إذْ لَمْ تُحِبّونــــي

وقوله (٢) :

ماذا عليّ إذا تَدْعونني تَرَعـــاً
أنْ لا أُجِيبكم إذْ لَمْ تُجيبونــــي

وقول عوف بن الأحوص (٣) :

فماذا نَقِمْتُم مِنْ بَنِينَ وَســـادَةٍ
بَرِيءٍ لكم مِنْ كُلِّ غِمْرٍ صُدورهـــا

وقول الأسْوَد بن يَعْفُر (٤) :

ماذا أُؤَمِّــلُ بَعْدَ آلِ مُحــرِّقٍ
تَركُــوا مَنازِلَهــم وبَعْدَ إيـــادِ

وفي "ماذا " من حيث التركيب خلاف ، أوجزه فيما يلي :

---

(١) المفضلية ٣١ : ١٦.

(٢) ذكره التبريزي في شرحه في القصيدة ٣٠+٣٤ ، ٢ : ٦٥٤.

(٣) المفضلية ٣٦ : ٤.

(٤) المفضلية ٤٤ : ٨.

١ - أن تكون ذا بمنزلة الذى ويكون ما حرف استفهام.

٢ - أن تكون ذا مركبة مع ما لإفادة معنى الاستفهام.
وهذان القولان لسيبويه والبصريين.

٣ - أن تكون ذا/وما دالة على الاستفهام. وهو قول الكوفيين.

٤ - أن تكون ماوذا مركبتين لإفادة معنى الذى. وذكر أبوحيان إنه مأخوذ عن سيبويه وأنكر الفارسي هذا الرأى، وأنكر ابن عصفور كونه مأخوذاعن سيبويه.

٥ - أن تكون ما استفهامية وذا إشارة.
وهو قول أبي علي الفارسي

٦ - أن تكون "ماذا" كله اسم جنس بمعنى شيء/، أو موصولا بمعنى الذي. وهو قول السيرافي والأعلم.

٧ - أن تكون ما زائدة وذا للإشارة.

٨ - أن تكون ذا زائدة وما موصولة.(١)

ولعل جعل "ما" استفهاما، وذا موصولا أقرب الأوجه إلى الصواب، وأسلم في التقدير، أما الأوجه الأخرى، فجعلها على الوجه الثاني يمنحها الصلاحية لأن تكون أداة مستقلة بذاتها، وعلى الوجه الثالث تجعل في الكلام زيادة لا حاجة لها، وعلى الرابع تبعد عن الاستفهام، وعلى الخامس لا يستقيم التقدير، وعلى السادس تخرج عن الاستفهام، والسابع مثله.

---

(١) انظر الكتاب ٢: ٢١٦ /٤١٧، شرح التصريح ١: ١٣٨، ١٣٩، مغنى اللبيب/ ١: ٣٠٠ - ٣٠٢، أساليب الاستفهام في القرآن ١٣٩ ومايليها.

شرح الجمل ٢: ٧٨، ٧٩، ٤٧٩ // البحرالمحيط ٧: ١٨٥ / ١٩٥ / معاني القرآن للفرّاء ١: ١٣٨، ١٣٩ / إملاء ما من به الرحمن ١: ٢٦ / خزانة الأدب ت/ عبدالسلام هارون ٦: ١٤٢-١٤٨

" ما " واقعة بعد فعل السؤال وفي مقول القول

" ما " الاستفهامية أكثر الأدوات التي تقدمها القول والسؤال ، حيث جاءت على هذه الصفة في ثمانية مواضع ، ولعل هذا راجع إلى كثرة إفادتها الاستفهام الحقيقي ، ومما تقدمه السؤال قول بشامة بن الغدير (١) :

أتتنا تُسائِلُ ما بُثُّنـا

فقلنا لها : قد عَزَمْنا الرَّحِيلا

ومما تقدمه القول ، قول الحُصين بن الحُمام (٢) :

وقُلْتُ لَهُم يا آلَ ذُبْيانَ مالَكُم

تَفاقَدْتُم ، لا تُقْدِمونَ مُقَدَّما

وأجيب عن الإستفهام في مواضع ثلاثة وهي قول بشامة المتقدم وقول مُتَمِم (٣) :

تقولُ ابنةُ العَمْرِيِّ مالكَ بَعْدَما

أراكَ حَدِيثاً ناعِمَ البالِ أفرَعا

فقُلْتُ لَها : طولُ الأسَى إذ سَأَلْتِني

ولَوعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الوجهَ أَسْفَعا

----

(١) المفضلية ١٠ : ٤ . (٢) ١٢ : ٢٥ . (٣) ٦٧ : ٢٩ .

وبقية الأبيات في قول :

===

. . . .

===

عوف بن الأحوص ٣٦ : ١١

إذا قِيلتْ العوراءُ وليتَ سَمْعَها

سِواي ولَمْ أسألَ بها ما دَبيرُها

وقول رجل من اليهود ٣٧ : ١

سَلاْ رَبَّةَ الخِدْرِ ما شأنُها

ومِنْ أيِّ ما فاتَنا تَعْجَبُ

وقول أبي قيس بن الأسلت ٧٥ : ١٦

هَلّا سألتِ الخيلَ إذ قَلَّصَتْ

ما كانَ إبطائي وإسراعي

و قول الحصين بن الحُمام ٩٠ : ١

وَقُلْتُ لَهُم : يا آلَ ذُبْيانَ مالَكُم

تَفَاقَدْتم ، لَمْ تَذْهَبوا العامَ مَذْهَبا

وقول أبي ذؤيب (١) :

قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبا

مُنْذُ ابْتُذِلْتَ ومِثْلُ مالِكَ يَنْفَعُ

أمْ مَا لِجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعاً

إلاَّ أقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ

فَأَجَبْتُها : أمَّا لِجِسْمِي أنَّهُ

أوْدَى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعُوا

*

سبق "ما" الاستفهامية بحرف الجر

سبقت "ما" الاستفهامية بحرف الجر / فحذفت ألفها في موضع واحد ، وهو قول مُرَّة بن همّام (٢) :

يا عَوفُ وَيْحَكَ فِيمَ تَأْخُذُ صِرْمَتِي

وَلَكُنْتُ أَسْرَحُها أمامَكَ عُزَّبا

وهو حذف واجب فرقا بينها وبين الخبر ، وما ورد من نماذج ولم تحذف فيه الألف فنادر وضرورة . (٣)

---

(١) المفضلية ١٢٦ : ٢ ، ٣ ، ٤ (٢) ٨٢ : ٥ .

(٣) انظر المغني ١ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، شرح المفصل ٤ : ٩ .

وبقي من شواهد (ما) في المفضليات مما دخلت فيه (ما) على الجملة الاسمية ،قول المرقش الاكبر : (١)

فَما بَالِي أَفِي ويُخانُ عَهْدِي

وَمَا بَالِي أُصَادُ ولا أَصِيدُ

وقوله : (٢)

مَا ذَنبُنا في أنْ غَزا مَلِكٌ   مِنْ آلِ جَفْنَةَ حَازِمٌ مُرغَمُ

وقول عامر بن الطُفيل : (٣)

فَبِئْسَ الفتَى إِنْ كُنتُ أَعْوَرَ عاقراً

جباناً ، فَمَا عُذرِي لَدَى كُلِّ مُحْضَرِ

وقول أوس بن غلفاء : (٤)

قَتَلْتُم جَارَكُم وَقَذَفْتُمُوه   بِأَمِّكُم ،فَمَا ذَنبُ الغُلامِ

ومما دخلت فيه على الجملة الفعلية ،قول مُزَرِّد بن ضِرار : (٥)

فَدَعْ ذَا وَلَكِن مَا تَرَى رَأْيَ عُصْبَةٍ   أَتَتْنِي مِنْهُم مُندِيَاتٌ عَضَائِلُ

ومما دخلت فيه على الظرف ،قول الأَسْوَدِ بن يَعْفُر : (٦)

مَا بَعْدَ زيدٍ في فَتَاةٍ فُرِّقُوا   قَتْلاً وَنَفْياً بَعْدَ حُسنِ تَأَدِي

---

(١) المفضلية ٤٦ : ٨ .   (٢) ٥٤ : ١٨ .

(٣) ١٠٦ : ٨ .   (٤) ١١٨ : ١٨ .

(٥) ١٧ : ٥٣ .   (٦) ٤٤ : ١٧ .

(رابعا) - "من" الاستفهاميــة

وردت "من" الاستفهامية تسع عشرة مرة ، على صور مختلفة ،حيث جرت باللام في مواضع سبعة ،وتلاها اسم الفاعل "مبلغ" في سبعة مواضع أيضا ،وتلاها الاسم المجرور أربع مرات ،ودخلت على الاسم مسبوقا بالسؤال مرة واحدة .

ومن اسم استفهام يسئل به عن ما يعقل ،ويقول سيبويه : (هي للمسألة عن الأناسي).(١) وترد إستفهامية كما في قوله تعالى : ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾(٢) ، ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾(٣).وتشرب معنى النفي كما في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(٤).(٥) وجعلها الزركشي مشربه معنى النفي دائما إذ يقول : (والإستفهامية ،وهي التي أشربت معنى النفي ،ومنه ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ و ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾(٦).(٧)

وقال السيوطي : (الأصل في من وقوعها على العاقل ولا يقع على غير العاقل إلّا في مواضع أحدها أن ينزل منزلته نحو :﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ ﴾(٨) عبر عن الأصنام بمن

----

(١) الكتاب ٤ : ٢٢٨ . (٢) سورة يس آية ٥٢ . (٣) سورة طه آية ٤٩ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٣٥ .
(٥) المغني ١ : ٣٢٧ . (٦) سورة الحجر آية ٥٦ .
(٧) البرهان ٤ : ٤١١ . (٨) سورة الأحقاف آية ٥ .

لتنزيلها منزلة العاقل حيث عبدوها . الثاني والثالث أن يقترن معه في شمول أو تفصيل ،فالأول نحو ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ ومن في الأرض ﴾(١) . والثاني نحو(ومِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ)(٢) لاقترانه بالعاقل فيما فصل بمن في قوله ﴿ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾(٣)

وزعم قطرب وقوع "من" على غير من يعقل مطلقا أخذا من ظاهر ما ورد من ذلك)(٤).

ونجد في أساليب "من" الواردة في الديوان أنها فيما سبق بحرف الجر "اللام" جاءت غالبا في مطلع القصائد ،حيث أنها لم تأت وسطا إلاّ في بيت واحد ،وهي فيها إما سوءال عن الديار ،أو سوءال عن الراحلة ،ولم يسئل فيها عن غير ذلك ، وكانت معانيها واحدة هي إفادة التوجع والتألم المصحوب بالإنكار ،حيث جاءت الديار غير الديار التي ألفها والراحلة ليست هي الراحلة التي يتمنى ذهابها فسأل منكرا على وجه التألم ومن شواهدها قول عبدالله بن سلمة :(٥)

لِمَن الدِّيارُ بتولعٍ فيبوسِ   فبياضِ ريطةَ غير ذاتِ أنيسِ

وقول بشامة بن الغدير : (٦)

لِمَن الديار عَفَونَّ بالجزعِ   بالدوم بين بِحارِ فالشَرعِ

وأساليب الإستفهام بـ "من" في لغة الديوان اتخذت لها مسارا خاصا ، فلم تدخل على الأفعال (٧) ، ولم يُجب بعدها بجواب ،ولـ

---

(١) سورة النور آية ٤١ ولعل السيوطي قد وقع في سهو فقال (ومن في الأرض) والصواب (من في السموات والأرض) فإن كانت سورة الحج آية ١٨ فقد سهى أيضا فذكر (يسبِّح) والصواب (يسجد).

(٢) سورة النور آية ٤٥.   (٣) سورة النور آية ٤٥

(٤) الهمع ١ : ٩١.

(٥) المفضلية ١٩ : ١.   (٦) المفضلية ١٢٢ : ١ وبقية الأبيات في قول الحارث بن حلزة ٢٥ : ١

لِمَن الديارُ عَفَونَّ بالحبسِ   آياتُها كمهارقِ الفُرسِ   ===

يتقدمها فعل قول أو سؤال حيث يكون الاستفهام محكياً إلاّ في قول الجميح[1]:

سَائِلْ مَعَدّاً : مَنِ الفوارسُ لا
أَوْفَوْا بِجِيرانهمْ ولا غَنِمُوا

وهذا يميل بها إلى إفادة المعاني البلاغية من توجع وتحسر وعتاب وتنبيه وتهكم إلى غير ذلك من معان ،فتكون قد اختصت بهذه المعاني وبعدت عن كونها أداة للاستفهام الحقيقي .

أما " من مبلغ " فشواهدها :

=== وقول المرقّش الأكبر ٤٨ : ١
لِمَن الظُعنُ بالضحى طافياتٍ شبهها الدّومُ أوخلايا سَفِينِ
وقول ثعلبة بن عمر ٧٤ : ١
لمنِ دمنٌ كأنّهُنّ صحائِفُ قِفاراً خلاً مِنها الكثيف فواحِف
وقول المُثقّب العَبْدِي ٧٦ : ٥
لمن ظعنٌ تطالِع من ضبيبٍ فَما خَرَجْتَ مِنَ الوَادِي لحين
وقول بشر بن أبي خازم ٩٩ : ١
لِمَنْ الديارِ غشيتها بالأنعم تَبْدو مَعارِفها كلونِ الأرْقَمِ

(٢) وهي من أسماء الاستفهام التي الأصل فيها أن يذكر بعدها الفعل الكتاب ٣ : ١١٥ .

(١) المفضلية ٧ : ١

في قول المَرقّش الأكبر :(١)

مَن مبلِغ الأقوام أنّ مُرقّشاً　　أمسى على الأصحاب عبئاً مُثقلاً

وقول عميرة بن جعل :(٢)

فمَن مبلِغ عنّي إياساً وجندلاً　　أخا طارقٍ ، والقول ذو نفَيانِ

وقول المُمزّق العبدي :(٣)

فمَنْ مُبلِغ النُعمان أنّ ابن أختِه　　على العَينِ يعتادُ الصَفا ويُمزّق

وقول راشِد بن شِهاب :(٤)

مَن مبلِغ فِتيان يشكر أنّني　　أرى حِقبَة تبدِي أماكِنَ لِلصبر

وقول الخصفي المحاربي :(٥)

مَن مبلِغ سعد بن نعمان مالكاً　　وسعد بن ذبيان الّذي قد تختّما

وقول أوس بن غلفاء :(٦)

ألا مَن مبلِغ الجَرمِيّ عنّي　　وخير القولِ صادقه الكـلام

وقول المُمزّق العَبدِي :(٧)

فمَنْ مُبلِغ النُعمان أنّ أُسيداً　　على العينِ يعتادُ الصَفا وتِمرّق

أما شواهد (من) متلوه بالجار والمجرور، ففي قول تأبط شرا :(٨)

بل مَن لِعَذّالةٍ خذّالةٍ أشِبٍ　　حرّق باللوم جِلدِي أيّ تِحـراق

وقول ذي الأصبع العدواني :(٩)

يا مَن لِقلبٍ شديدِ الهم محزونٍ　　أمسى تذكّر ريّا أمّ هـارون

---

(١) المفضلية ٤٥ : ٥ .　　(٢) ٦٤ : ٧ .　　(٣) ٨١ : ٣ .

(٤) ٨٧ : ١ .　　(٥) ٩١ : ١ .　　(٦) ١١٨ : ١٩ .

(٧) ١٣٠ : ١٢ .　　(٨) ١ : ٢٠ .　　(٩) ٣١ / ٢ : ١

وقول المَرقّش الأصغر : (١)

مَن لِخَيالٍ تَسَدّى مُوهِناً أَشْعَرَني الهَمَّ فالقلبُ سَقِيم

وقول الجُمَيح : (٢)

أَوْ مَنْ لأَشْعَثَ بَعْلَ أرملةٍ مِثْل البَلِيةِ سَمْلةِ الهَدْمِ

---

(١) المفضلية ٥٧ : ١٢.

(٢) المفضلية ١٠٩ : ١٣.

حذف "من" الاستفهاميـــــة

تحدث الدارسون عن حذف همزة الاستفهام وذلك أنّها أصل الباب عندهم ،وقد حذفت "من" الاستفهامية في قول الجُمَيْـــح (١) :

يا نَضْلَ للضَّيْفِ الغَريـــب وللْ
جَارِ المُضِيمِ وحامِلِ الغُـــرْم

أَوْمَــن لِأشْعَثَ بَعْلِ أَرمَلَـــةٍ
مثْـلِ البَلِيّةِ سَمْلَةِ الهِـــدْم

وفي روايـــة (أم من لأشعث لا ينام وارمل).(٢)

ففي البيت استفهام محذوف ، وكان في الأصل :

(يا نضل/من للضيف الغريب) وحذف لدلالة الثاني عليه ،وإن كان الأصل عند الدارسين الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه ،وقد شابه بعـــض أنماط " من " الاستفهامية وهي تلك التي دخلت فيها "من" على الجار والمجرور .

وعلى الرواية الثانية للبيت تكون قد جاءت أم المنقطعة قبل "من".

---

(١) المفضليــة ١٠٩:٢، ١٣ .

(٢) شرح المفضليات/للتبريزي ٣: ١٢٥٢ .

وجاءت "بل" قبل "من" الاستفهامية في بيت واحد ، وهو
قول تأبط شرا [(١)] :

بَلْ مَنْ لِعذَالَةٍ خَذَّالَةٍ أَشِبٍ

حَرَّق باللومِ جِلْدِي أَيَّ تَحراقِ

---

(١) المفضلية ١ : ٢٠ .

(خامسا) - "كيف" الاستفهامية

وردت " كيف " الاستفهامية ثماني مرات في المفضليات ، وغلب عليها الدخول على الجملة الفعلية حيث جاءت كذلك خمس مرات ، ودخلت على المصدر في موضعين ، وفي موضع واحد دخلت على الجار والمجرور.

و"كيف " سؤال عن الحال ، يقول سيبويه (وكيف على أى حال)(١)

وقال الراغب : (وإنما يسئل بها عما يصح أن يقال فيه شبيه وغير شبيه ، ولهذا لا يصح أن يقال في الله "كيف " ، قال : وكلما أخبر الله بلفظ "كيف " عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو التوبيخ)(٢) ، وهي إما للاستفهام الحقيقي أو تخرج مخرج التعجب(٣) .

وقد أفادت " كيف " في أبيات المفضليات معنى النفي في قول سُوَيد بن أبي كاهل(٤) .

كَيْفَ بِاسْتِقْرارِ حُرٍّ شَاحِطٍ

بِبِلَادٍ لَيْسَ فيها مُتَّسَعْ

قال التبريزى كيف سؤال عن حال ومعناه هاهنا النفي ، كأنه قال : لا يجوز قرار رجل حر بعيد عن مؤنس له قد ضاق به المكان " (٥)

تسهيل الفوائد

(١) الكتاب ٤ : ٢٣٣ وانظر المساعد على ≠ ٣ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) الإتقان ١ : ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٣) المغنى ١ : ٢٠٥ .

(٤) المفضلية ٤٠ : ٦٥ . (٥) شرح المفضليات للتبريزى ٢ : ٧٣٠ .

وأفادت الاستفهام الحقيقي في موضع واحد ، وهو قول أفنون (١) :

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي امْرُؤٌ كَيْفَ يَتَّقِي

إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا

وجاءت محتملة للاستفهامية ولكونها بمعنى "كيفما" في قول سويد بن أبي كاهل (٢) :

سَاءَ مَا ظَنُّوا وَقَدْ أَبْلَيْتُهُمْ

عند غايات المَدَى كَيْفَ أَقَعْ

فعلى اتصال الكلام تكون بمعنى "كيفما" ومتى أحدثت وقفه بعد قوله "المدى" يكون مستفهما .

وأفادت التعجب في قول الحارث بن وعلة (٣) :

يَقُولُ لِي النَّهْدِيُّ إِنَّكَ مُرْدِفِي ... وكيفَ رِدَافُ الفُلِّ ، أُمُّكَ عَابِرُ

وقول سُوَيد بن أبي كاهل (٤) :

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا ... لَاحَ فِي الرَّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَع

وفي قول المرقش الأكبر (٥) :

تعاللتها وليس ظبي بدرها ... وكيفَ التماسُ الدَّرِّ والضَّرْعُ يَابِسُ

وأفادت الإنكار في قول أفنون التغلبي (٦) :

أَنَّى جَزَوْا عامِراً سوأى بفعلِهِم ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوأَى مِنَ الحَسَنِ

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي العلوقُ بِهِ ... رِئْمَانَ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

---

(١) المفضلية ٦٥ : ٤ (٢) ٤٠ : ٧٥ (٣) ٣٢ : ٩ (٤) ٤٠ : ٧٩ .
(٥) ٤٧ : ١٩ وقد سبق ذكرها في التعجب . (٦) ٦٦ : ٨ ، ٩ .

(سادسا) - "أي" الاستفهامية

وردت "أي" الاستفهامية تسع مرات في المفضليات ولم تدخل إلا على الأسماء وشواهدها في قول الشنفرى[1] :

تَخَافُ عَلَيْنَا العيلَ إنْ هِيَ أكْثَرَتْ

ونَحْنُ جِيَاعٌ ، أيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

وعنها يقول سيبويه : (و"أي" مسألة ليبين لك بعض الشيء وهي تجرى مجرى ما في كل شيء . و"من" مثل "أي" أيضا ، إلا أنه للناس[2]) .

ويقول السيوطي : (وإنما يسأل بها عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمها نحو :*أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً* [3] أي أنحن أم أصحاب محمد .[4]

ومن شواهدها أيضا قول المُثَقِّب العَبْدِي[5] :

وأيُّ أُنَاسٍ لا أَبَاحَ بِغَارَةٍ يُوازِي كُبَيْداتِ السَّماءِ عمودُهَا

وقول ذي الإصْبَعِ العَدْواني[6] :

فَفِيمَ الموتَ أوْ حَتى ظعناً أَوَرَدَّ نهباً لأيِّ ذاكَ سَعَى

وقول رجل من اليهود[7] :

سَلَا رَبَّةَ الخِدْرِ مَا شأنُها ومِنْ أيِّ ما فَاتَنَا تَعْجَبْ

---

(١) المفضلية ٢٠ : ٢٠ .

(٢) الكتاب ٤ : ٢٣٣ وانظر ٢ : ٣٩٨ . (٣) سورة مريم آية ٧٣ .

(٤) الإتقان ١ : ٢٠٦ .

(٥) المفضلية ٢٨ : ٢٠ . (٦) المفضلية ٢٩ : ٣٢ فيما ذكره التبريزي في شرح المفضليات ٢ : ٥٨٦ .

(٧) المفضلية ٣٧ : ١ .

وقول المُرَقِّش الأَصْغَر: (١)

لابنةِ عَجْلانَ إِذْ نَحْنُ مَعًا وأَيّ حالٍ مِنَ الدَّهرِ تَدُومْ

وقول المُثَقَّب العَبدِي : (٢)

وما أَدرِي إذا يَمَّمْتُ أمراً أُرِيدُ الخَيرَ أَيُّهما يَلِينِي

---

(١) المفضلية ٥٧:٠٢ (٢) ٧٦:٠٤٤

تأنيـــــث " أي "

أنثت " أي " في قول ثعلبة بن عمرو (١) :

أمِنْ حَذَرٍ آتِي المَهالِكَ سـادِرا
وأيّةَ أرْضٍ ليسَ فِيها متالـــف

وأنثت " أي " في القرآن الكريم ،حيث جاء تأنيثها في قوله تعالى :
* وَما تَدرِي نَفْسٌ بِأيَّةِ أرْضٍ تَموتُ * (٢) على قراءة موسى الدسواري وابن ابي عبلة . (٣)

ويرى سيبويه بأنها تؤنث إذا سُئِل بها عن مؤنث . (٤)

وقال الفَرّاء في الآية : " وقوله (بأيّ أرض) وبأية أرض ،فمن قال (بأي أرض) اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يُظهر في أيِ تأنيثا آخر ومن أنث قال قد اجتزءوا بأيِ دون ما أُضيف إليه ، فلا بُدّ من التأنيث ، كقولك : مررت بامرأة ، فتقول : أية ،ومررت برجلين فتقول : أيين (٥)

وتؤنث عند ابن مالك . (٦)

ويرى أبوحيان أنّ التأنيث لغة قليلة . شأنها في ذلك شأنَ كل. (٧)

ويرى ابن عقيل أنّ ترك التاء أفصح (٨) وكذلك الرّضي (٩) . وقال ابن هشام : لا تكاد توجد إلاّ مفردة مذكرة وشذ قوله :

بأيِّ كتابٍ أم بـأية سنةٍ ترى حُبّهم عاراً علي وتحسب (١٠)

وأجاز تأنيثها الشيخ خالد الأزهري ، (١١)

ولعل تأنيث " أي " لغة كما ذكر أبوحيان .

---

(١) المفضلية ٧٤ : ٦ . (٢) لقمان ٣٤ (٣) البحر ٧ : ١٩٤ .
(٤) الكتاب ٢ : ٤٠٧ . (٥) معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٣٠ .
(٦) التسهيل ٢٤٨ (٧) البحر ٧ : ١٩٤ ، ١٩٥ .
(٨) المساعد على تسهيل الفوائد ٣ : ٢٥٩ .
(٩) شرح الكافية للرضي ١ : ٢٩١ .
(١٠) حاشية الصّبان ٤ : ٩٣ . (١١) شرح التصريح ٢ : ٢٨٢ .

"أي" بين الاستفهام والتعجب

قال ابن الأنباري في قول أبي ذؤيب[1] :

حَتى إذا جَزَرَتْ مِياهُ رُزُونِه

وبأَيِّ حِينِ مُلاوةٍ تَتَقَطَّعُ

وقوله (وبأي حين ملاوة) ليست باستفهام بل هو خبر فيه تعجب كقولك : (أي حين دهر انقطع عنه الماء حين لا يصبر عنه ،كما تقول : بأي حين مات ابنه حين رق عظمه وكبرت سنه.)[2]

ولعله استفهام أفاد معنى التعجب ،وكثيرا ما يفيد الاستفهام معاني متعددة من تعجب وغيره .

ولم تسبق "أي" بقول أو سؤال في جميع نماذجها ،وإنما جاء ما يوحي بأن الاستفهام مسبوق بالقول ،وذلك في قول المُرَقِّش الأصغر[3] :

عَلى مِثْلِه آتِي النَّدِيَّ مُخَايِلاً

وأَغْمِزُ سِرًّا : أيَّ أَمْرَيَّ أَرْبَحُ

"ما" تتحول فيه "أي" استفهاما باحداث سكتة :-

---

(١) المفضلية ١٢٦ : ٢١.
(٢) شرح المفضليات ٨٦١.
(٣) المفضلية ٥٥ : ١٤.

وردت "أى" في قول الحُصَين بن الحُمام (١) :

أبَىَ لابنِ سَلْمَى أنّه غَيْرُ خالِـــدِ

مُلاقِي المَنايا أيَّ صَرْفٍ تَيَمَّمَـــا

وليست استفهاميـة ، فهي على معنى (أينما توجه) ولكن لو أحدثت وقفة بسيطة بعد "ملاقي المنايا" لاستحالت استفهاما تعجبيا ، فكأنه يقول : (لا بُدّ أن يدركه الموت ،فإلى أي وجهة يذهب) .

----

(١) المفضلية ١٢ : ٣٩ .

(سابعا)- "أين" الاستفهامية

وردت "أين" ثلاث مرات في المفضليات، دخلت في موضعين على الجملة الاسمية ،وفي الموضع الآخر على الجملة الفعلية .

و"أين" ظرف يسئل به عن المكان .(١)

وقد جاء الاستفهام معها محكياً في قول الشنفرى (٢) :

إذا هُوَ أَمْسَى آبَ قُرَّةَ عَيْنِــــه
مآبَ السَّعيدِ لم يَسَلْ أَيْنَ ظَلَّتِ

وفي قول المُمَزِّق (٣) :

وقالَ جميعُ النّاسِ أَيْنَ مَصِيرُنَـــا
فأَضْمَرَ مِنها خُبثَ نَفْسٍ مُمَـــزَّقُ

وورد الاستفهام محكيا بـ "أين" هو الغالب في القرآن الكريم ، حيث ورد محكيا ثماني مرات ،من إجمال قدره عشر مرات .(٤)

ودلت على التعجب في قول الأسود بن يعفر (٥):

أَيْنَ الَّذينَ بَنَوا فطالَ بناؤُهُم وَتَمَتَّعوا بالأهلِ والأَوْلادِ

---

(١) الكتاب ١: ٢١٩ وانظر الإتقان ١: ٢٠٧ / الصاحبي في فقه اللغة ١٤٢.

(٢) المفضلية ٢٠: ١١. (٣) المفضلية ٨١: ٧.

(٤) أساليب الاستفهام ١٤٥.

(٥) المفضلية ٤٤: ١٤.

(ثامنا) - "أنى" الاستفهامية

وردت " أنى" مرتين في الديوان ، ودخلت فيهما على الجملة الفعلية . وتكون بمعنى " كيف " ومعنى "أين "(١) وقد جاءت في البيتين على معنى كيف ، وهما قول أفنون (٢) :

أنَّي جَزَوْا عَامراً سُوأَى بِفِعْلِهِمُ
أَمْ كيف يَجْزُونَني السُّوأَى مِنَ الحَسَنِ

وقول معاوية بن مالك (٣) :

أنَّى اهْتَدَيْتِ وكنْتِ غَيرَ رَجيلَةٍ
والقومُ منهمْ نُبَّهٌ ورُقُودُ

---

(١) الكتاب ٤ : ٢٣٥ ،وانظر الإتقان ١ : ٢٠٤ ، الصاحبي في فقه اللغة ١٤٢ .

(٢) المفضلية ٦٦ : ٨ . (٣) المفضلية ١٠٤ : ٢ .

اقتران أدوات الاستفهام بـ "أم"

أ - "هل" مقرونة بـ "أم" :

وردت أساليب "هل" مقترنة بـ "أم" خمس مرات في المفضليات ، على صورتين :

الأولى : ألا تعاد "هل" بعد "أم" كما في قول المرار (١) :

هَلْ عَرَفْتَ الدارَ أمْ أنكَرْتَهَا

بَيْنَ تِبْرَاكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرّ

الثانية : بأن تعاد "هل" بعد "أم" كما في قول المُمَزّق (٢) :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ

أَمْ هَلْ لَهُ من حِمَامِ الموتِ مِنْ وَاقِ

وعن مثل هذه الأساليب يقول سيبويه :(وإن شئت قلت : هل تأتيني أم تحدثني ، وهل عندك بُرّ أم شعير ، على كلامين . وكذلك سائر حروف الاستفهام التي ذكرنا . وعلى هذا قالوا : هل تأتينا أم هل تحدثنا .

قال زفر بن الحارث :

أَبَا مَالِكٍ هَلْ لُمْتَنِي مُذْ حَضَضْتَنِي

عَلَى القَتْلِ ،أَمْ هَلْ لَامَنِي لَكَ لَائِمُ (٣)

---

(١) المفضلية ١٦ : ٣٥ . (٢) ٨٥ : ١ .

(٣) الكتاب انظر ٣ : ١٧٦ ،وانظر ما يليها إلى ١٧٨ .

ويرى ابن هشام ان "أم" في مثل "أم هل" منقطعة ويمنع كونها متصلة [١]. وقال الرضي : (ولا يجيء الهمزه بعد "أم" ويجوز ذلك في هل وسائر كلام الاستفهام لعروض معنى الاستفهام فيها كما تبين من مذهب سيبويه أعني حذف همزة الاستفهام قبل هذه الأسماء وعراقة الهمزة في الاستفهام فلا يجمع بين حرفي استفهام قال :

أَمْ هَلْ كَبِيرُ بَكَى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ

إِثْرَ الأَحِبَّةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومُ)[٢]

وقال أبو حيان في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾[٣].

أم في قوله أم هل منقطعة تقدر ببل والهمزة على المختار والتقدير بل أهل وهل وإن نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعتها في قول الشاعر :

* أَهَلْ رَأَوْنَا بِوَادِي الْقُفِّ ذِي الأَكَمِ *

وإذا جامعتها على التصريح بها فلأن تجامعها مع أم المتضمنة لها أولى وهل بعد أم المنقطعة يجوز أن يؤتى بها لشبهها بالأدوات الاسمية التي للاستفهام في عدم الاصالة فيه كقوله تعالى ﴿ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾[٤]

---

(١) مغني اللبيب / ٢ : ٣٤٩ .

(٢) شرح الكافية للرضي / ٢ : ٣٨٩ .

(٣) الرعد ١٦ .

(٤) سورة يونس آية ٣١ .

ويجوز أن لا يؤتى بها بعد أم المنقطعة لأن أم تتضمنها فلم يكونوا ليجمعوا بين أم والهمزة لذلك. قال الشاعر في عدم الإتيان بهل والإتيان بها :

هَلْ ما عَلِمْتِ وَمَا استودعتَ مكتوم

أَمْ حَبْلُها إذ نأتْكَ اليومَ مَصْروم

أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عبرته

إِثْرَ الأَحِبَّةِ يومَ البَيْنِ مَشْكُوم (١)

ويرى ابن يعيش أَنّ أم خُلعت منها دلالة الاستفهام. (٢)

وذكر المالقي أنها تدخل في موضع الهمزة المعادلة بين الجهتين وشبهها بقوله تعالى ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (٣). (٤)

وذكر السيوطي أن الصفار ذهب إلى منع دخول أم على هل وغيرها كيلا يجمع بين أداتي استفهام. (٥)

---

(١) البحر ٥ : ٣٧٩ ، والبيتان من مفضلية علقمة ١٢٠ : ١ ، ٢ .

(٢) شرح المفصل ٣ : ١٥٣ وكذلك أبو حيان ، انظر البحر ٥ : ٣٧٩ .

(٣) سورة الرعد آية ١٦ .

(٤) رصف المباني ٤٧٠ .

(٥) انظر الهمع ٢ : ١٣٣ ، وذكر ما يحفظه لذلك من شواهد ، كما ذكر رد أبي حيان عليه ، وفي الديوان بيت آخر غير ما ذكر جمع فيه بين ام وهل وهو قول بشامه ١٢٢ : ١٤ (أم هل ترون اليوم من أحد) .

وذكر الرضي أنّ "أم" إذا جاءت بعد اسم استفهام فلا بد من إعادة الاسم بعدها ، ويجوز ترك الإعادة مع هل لأنّها لسانج الاستفهام كالهمزه ، وذكر بيتي علقمة :

هَلْ مَا عَلِمتَ وما اسْتَودعتَ مَكْتُوم

أَمْ حَبلُها إذ نأتْكَ اليومَ مَصْرومَ

أَمْ هَلْ كَبيرٌ بَكَى لَمْ يَقضِ عَبرتُه

إثرَ الأحبةِ يومَ البَينِ مَشْكوم

شاهدا للجمع وعدمه.(١)

وأعيدت هل بعد أم في أبيات ثلاثة من المفضليات،(٢) وهي قول المُمَزّق

هَلْ لِلفَتَى مِنْ بَناتِ الدّهرِ مِنْ وَاقِ

أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمامِ الموتِ مِنْ واقِ

وبيت علقمة المتقدم ، وبيتي بشامة(٣) :

أَبْلِغْ بَني سَهمٍ لدَيكَ فَهلْ

فيكُم مِنَ الحَدَثانِ مِنْ بِدْعِ

أَمْ هَلْ تَرونَ اليومَ مِنْ أَحَدِ

حَصَلَتْ حَصَاةُ أخٍ لَهُ يرعِي

---

(١) للرضي شرح الكافية/ ٢ : ٣٨٩ .

(٢) المفضلية ٨٠ : ١ .

(٣) المفضلية ١٢٢ : ١٣ ، ١٤ .

وتركت الإعادة في قول المرار (١) :

هَلْ عَرَفْتَ الدارَ أمْ أنْكَرْتَهَا

بَيْنَ تِبْراكِ فَشَسَّيْ عبقَرْ

وقول عَبَدة (٢) :

هَلْ حَبْلُ خَوْلَةَ بَعْدَ الهَجْرِ مَوْصُولُ

أمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدُ الدَّارِ مَشْغُولُ

ومن ذلك يتبين أن "هل" قد تعاد بعد أم وقد لا تعاد .

ب ـ أساليب "ما" مقترنة بـ "أم" :

ووردت "أم" المنقطعة بعد "ما" الإستفهامية في مواضع ثلاثة ، الأول قول ربيعة بن مقروم (٣) :

وَقَفْتُ أُسَائِلُهَا نَاقَتِي

وَمَا أَنَا أَمْ مَا سُؤالِي الرُّسُومَا

والثاني قول علقمة (٤) :

وَمَا أَنْتَ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبَعِيَّةً

يُخَطُّ لَهَا مِنْ ثَرْمَدَاءَ قَلِيبُ

والثالث قول أبي ذؤيب (٥) :

قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا

مُنْذُ ابْتُذِلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

---

(١) المفضلية ٥٣:١٦ ، (٢) ٢٦:١ ، (٣) ٣٨:٣

(٤) ١١٩:٧ ، (٥) ١٢٦:٢،٢

أم ما لِجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعاً

إِلّا أُقِضَّ عَلَيْكَ ذاكَ المَضْجَعُ

وقد أعيدت " ما " في جميع المواضع .

جـ - وورد ت " أم " بعد " أنى " في قول أفنون التغلبي (١) :

أَنّى جَزَوا عامِراً سُوأَى بِفِعْلِهِمُ

أَم كَيفَ يَجْزونَني السُّوأَى مِنَ الحَسَنِ

أَم كَيْفَ يَنفَعُ ما تُعْطِي العَلُوقُ بِهِ

رِئْمانَ أَنْفٍ إِذا ما ضُنَّ بِاللَّبَنِ

وورد ت " أم " في البيت الأول ولم تعد بعدها " أنى " وقد جاءت أداة استفهام اخرى بعدها وهي " كيف " ولعل ذلك يجعل " أنى " بمعنى " كيف " فلم تعد بلفظها ، وإنما أعيدت بمعناها .

أما قوله " أم كيف " في البيت الثاني ، فتأكيد لها في الأول ، فكأنه قال : (أم كيف يجزونني وكيف ينفع) . وفي ورود " أم " مع أدوات الاستفهام هذه رد على الصفار الذى منعه . وذكر الرضي أن الإعادة لازمة حيث لا يصح تركها إلّا مع الهمزة وهل . (٢)

---

(١) المفضلية ٦٦ : ٨ ، ٩ .

(٢) انظر شرح الكافية ٢ : ٣٨٩ .

هل يتعين أن يقدر "أم لا" بعد هل

ذكر التبريزى في قول ثعلبة بن صعير [١] :

هَلْ عِنْدَ عَمْرَةَ مِنْ بَتَاتِ مُسَافِـــر

ذِي حَاجَةٍ مُتَرَوِّحٍ أو بَاكِـــــــر

أنه يصح الاكتفاء به ، والاستغناء عن اضمار أم لا .

وذكر أن سيبويه يجيز (قد علمت أزيد في الدار ؟) كأنـــه قد علمت ما يقتضي هذا ،وقاس عليه البيت إذ يقول (وكذلك هل عند عمرة من بتات مسافر ،لما كان سوء الا في الإمتاع بجعله زادا عـــن الارتحال عنها اكتفى الكلام به) ثم ذكر أن أبا الحسن يرى أنه لا بد من إضمار "أم لا" لأن الكلام بالألف تسوية ،أو معادله ، أو على أي وجه كان . يريد إذا قلت : سواء علي أو ما أبالي ،لم يكن بد من ذكر أم بعدها . [٢]

و "أم لا" عند سيبويه تذكر كأنها إضراب عن الحديث الأول ، وفي ذلك يقول (أعندك زيد أم لا ،كأنه حيث قال : أعندك زيد ،كان يظن أنّه عنده ثم أدركه مثل ذلك الظن في أنه ليس عنده فقـــال أم لا) . [٣] وقال في أهل تأتيني أم تحدثني ،وما ماثلها هي علـــى كلامين . قال سيبويه " وإذا شئت قلت : هل تأتيني أم تحدثني و هل عندك بر أم شعير على كلامين) . [٤]

---

(١) المفضلية ٢٤ : ١ .

(٢) شرح المفضليات ١ : ٤٦٥ .

(٣) الكتاب ٣ : ١٧٤ .

(٤) الكتاب ٣ : ١٧٦ .

ولعل " هل " لا تحتاج إلى "أم لا " بعدها ، وأبيات المفضليات أكدت ذلك ، إذ لم يأت بيت واحد ، وقد جاءت "أم لا " فيه بعد هل ، وندرة الحديث اللغوى حول هذه المسألة فيه دليل آخر على عدم الاحتياج إليها .

*

هل يتعين أن تكون " أم " بعد" هل" بمعنى " بل"

ذكر المـرادى ، أنها تدخل في موضع الهمزة المعادلة بين الجهتين (١) ، وتقدم قول ابن هشام أنها لا تكون متصلة (٢) وقال البصريون هي بمعنى " بل " والهمزة مطلقا . وقال الكسائي وهشام هي كـ"بل " وتاليها كمتلولها وإذا قلنا : هل قام زيد أم عمرو ، فالمعنى بل قام عمرو ، واذا قلت : هل قام زيد أم عمر ، فالمعنى بل هل قام عمرو . ورُدَّ بقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴾ (٣) إلى قوله : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٤) فـ"أم " يتقدمها استفهام وقد استؤنف بأم السؤال على جهة الانكار والرد لا يمكن أن يكون مابعدها موجبا فليس مثل ما قبلها . (٥)

---

(١) رصف المباني ٩٥ .

(٢) انظر : ٣٩٠ (٣) سورة ص آية ٢٧ . (٤) سورة ص آية ٢٨ .

(٥) الهمع ٢ : ١٣٣ (بتصرف) .

ولعل " أم " مع " هل " ليس بالضرورة أن تكون بمعنى " بل " وتعامل " هل " فيها معاملة الهمزة وتكون " أم " على الاتصال ، يؤيد ذلك قول عبده بن الطبيب (١) :

هَلْ حَبْلُ خَوْلَةَ بَعْدَ الهَجْرِ مَوْصُول

أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدُ الدَّارِ مَشْغُول

فسرها التبريزى ب " بل " (٢) وقال ابن الأنبارى : (هل تصلها أم تقطعها لشغلك وبعدك عنها) (٣).

فعلى معنى بل كأنه قال " هل حبلها موصول " ثم يستدرك قائلا " بل أنت عنها بعيد الدار مشغول " ، وليس هذا هو المعنى المطلوب ، إذ المعنى : أهذا حاصل أم ذلك ، يدل على ذلك أنه طلبها وهاجر لمهاجرتها ولكنها تأبّت عليه ، وعلى معنى " بل " يكون قاطعا لها ابتداء ، ولعله أراد هل حبلها موصول أم هل أنت بعيد مشغول عنها ، وقد ذكر الاستاذ عباس حسن دلالة أم على الاستفهام إذ ذكر أنها تتجرد له نادرا ، كما في (كذبتك عينك أم رأيت بواسط) (٤).

ونجد " بل " تأتي في موضع أم ، كما في قول المرقش الأكبر (٥)

بل هَلْ شَجَتْكَ الظُّعْنُ باكِرَةً

كأنَّهُنَّ النَّخْلُ مِنْ مَلْهَم (٦)

وقول بشر بن عمرو :

بل هَلْ تَرى ظُعُناً تَحْدِي مُقَفِّيَةً

لها توالٍ وحادٍ غيرُ مسبوقِ

---

(١) المفضلية ٢٦ : ١ . (٢) شرح المفضليات للتبريزى ١ : ٩١ .
(٣) شرح المفضليات لابن الأنباري ٢٦٨ .
(٤) النحو الوافي ٣ : ٦٠٢ . (٥) المفضلية ٥٤ : ٥ .
(٦) المفضلية ٧٠ : ٤ .

(تاسعا) - " كم " !

وردت " كم " اثنتي عشرة مرة في الديوان ، ست منها بلفظ " كم " وست بلفظ " كأين " ولم ترد واحدة منها استفهامية ،بل هي خبرية في جميع مواضعها . ومن مجيئها بلفظ " كم " قول المرار بن مُنقذ (١) :

كَمْ تَرَى مِنْ شَانِئٍ يَحْسُدُنِي
قَدْ وَرَاهُ الغَيْظُ في صَدْرٍ وَغِر

ومن مجيئها بلفظ " كأين " قوله أيضا (٢) :

وكائِن مِنْ فَتَى سَوْءٍ تَرِيه
يَعَلُّك هَجْمَةً خُمْراً وَجُونَا

و " كم " الخبرية تختلف عن الاستفهامية ،وفي الفرق بينهما يقول سيبويه : (اعلم أَنَّ لـ " كم " موضعين : فأحدهما الاستفهام ،وهو الحرف المُستَفهَم به ، بمنزلة كيف وأين . والموضع الآخر : الخبر ،ومعناها معنى رُبَّ) (٣) وقال عند الحديث عما يجرى مجرى " كم " : (وكذلك كأين رجلا قد رأيت ،زعم ذلك يونس ،وكأين قد أتاني رجلا . الا أن أكثر العرب انما يتكلمون بها مع من ؟! قال عز وجل ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ (٤)) (٥)

---

(١) المفضلية ١٦ : ٣٩ . (٢) ١٤ : ١ .
(٣) الكتاب ٢ : ١٥٦ . (٤) سورة الحج آية ٤٨ وسورة الطلاق آية ٨ .
(٥) الكتاب ٢ : ١٧٠ .

وقال : وكأين معناها معنى "رُبَّ" ،وإن حُذفت من وما فعربي[1]

وتمييز "كم" في جميع المواضع جاء مفردا . وجر مميز "كم" بـ "من" في خمسة مواضع[2] . ولم يأت مميز "كأين" إلاّ مجرورا بها ، وهذا يتفق مع ما ذكره سيبويه من أنه الكثير . وهوغالب عند ابن هشام ، وزعم ابن عصفور لزوم ذلك .[3]

ولعل ورودها في الديوان خبرية في جميع المواضع إنّما مرده إلى أنَّ لغة الشعر واللغة الأدبية بصفة عامة ليس من شأنها أن تكون لغة تقرير ، فليس من شأن الشاعر- مثلا - أن يقول " كم ضيف أكرمت " وهو يريد أن يستفهم عن العدد ، بل يقوله على سبيل التكثير والمبالغة .

ولـ"كم" صدر الكلام[3] وقد جاءت متصدرة في جميع مواضعها في الديوان ، عدا قول سِنان بن حارثة[4] :

أَثنوا عليَّ فكائِن قَدْ فَتَحْتُ لَكُم

مِن بابِ مَكْرُمَةٍ تَعْتَــد أَوْوادِ

---

(١) الكتاب ٢ : ١٧١ ، انظر مغني اللبيب/ ١ : ١٨٣-١٨٧ .

(٢) مغني اللبيب/ ١ : ١٨٦ .

(٣) انظر الكتاب ٢ : ١٥٨ ، مغني اللبيب/ ١ : ١٨٣ / شرح الكافية للرضي/ ٢ : ٩٦ ، الهمع ٢ : ٧٦ .

(٤) المفضلية ١٠١ : ٨ . وبقية الأبيات أشير إلى مواضعها مستغنية من ذكرها لخروجها من الاستفهام ما جاء بلفظ (كم) ٢٢ : ٢١ ، ٤٠ : ٢٠ ، ٥٧ : ١٨ ، ٩١ : ١٩ ، ١٢٩ : ١٥ وما جاء بلفظ (كائن) ٣٧ : ٣ ، ٤٢ : ٢١ ، ٥٢ : ٨ ، ١٢٣ : ٢٠ .

وذكر ابن هشام في الفرق بينها وبين الاستفهامية أن الكلام معها محتمل للتصديق والتكذيب.(١)

ولعل "كم" في هذه الأساليب إنشائية ،الفرق بينها وبين الاستفهامية أنه عندما يقال "كم كتابا قرأت" والمراد الاستفهام ، فانه يسأل عن عدد معلوم ،فيجاب بعشرة مثلا ،أو عشرين ،وعندما يقال : (كم كتاب قرأت) على سبيل التكثير فان هناك عددا أيضا ولكنه مجهول بالنسبة للمتكلم وذلك لكثرة ما قرأ.

فـ"كم" عندما جيء بها في بداية الكلام روعي ما فيها من معنى الاستفهام ،ثم بدا للمتكلم أن لو استفهم لما توصل الى جواب ، إذ الجواب أكثر من أى عدد يذكر ، فألقى السؤال دون انتظار للجواب ، فأشبه الأخبار في ذلك. وقد أشار سيبويه الى شبهها بالأخبار عندما جعلها مثل "رب" وتعامل معاملتها(٢) . ولعل المتكلم لما أراد أن يعبر عن التكثير بأسلوب ينفي عنه احتمال الصدق والكذب ، عبر عنه بـ"كم" المستعملة هنا ،أي أنه لجأ الى أسلوب إنشائي.

ولعل عدم وجود أدوات خاصة للأخبار يرجح كون الأسلوب إنشائيا .

---

(١) مغني اللبيب /١ : ١٨٤.

(٢) الكتاب ٢ : ١٦١.

خروج الاستفهام إلى النفي والتمني والتعجب

عندما يعبر الشاعر عن النفي بأسلوب الاستفهام ، فإن هذا التعبير يعقبه تحول في داخل الأسلوب ،وتغير في المعنى الموضوع له كل منهما ،فالاستفهام هو طلب واستخبار للحصول على جواب معين ، أى أنه عندما يلقى سوءال لا تكون المسائل مقررة واضحة في ذهنه ،فهي متردده بين النفي والإثبات .

أما النفي فحدث منفي الوجود ومن هنا جاء الفرق بينهما ، إلا أن الشاعر لم يخرج من إطار الانشاء الى إطار الخبر إلا لعله معنوية ، فالشاعر عندما يعبر عن النفي بطريق الاستفهام يجعل من المخاطب سائلاً ومجيباً ،ويقيم في داخله سوءالا لتكون الإجابة نابعة من ذاته فيكون تصديقه لها أقوى واقتناعه بها أعمق ، إذ لم يفرض المتكلم الحقيقة فرضا .

ولم يأت التعبير بالنفي مباشرة لأن صيغة السوءال تكسبها شيئا من الإنكار الذى يتناسب مع النفي ،فعندما يقال (هل محمد إلاّ صادق) هو مع قوله (ما محمد إلاّ صادق) منكر لصفة غير الصدق فيه .

أما الخروج من الاستفهام إلى التمني فهو تحول داخل أسلوب واحد إذ كلاهما إنشاء ،إلاّ أنّ الشاعر عندما يعبر عن التمني بأسلوب الاستفهام يخلع عليه نوعا من الحسره ،والألم وشدة تعلق النفس

بحصول مطلوبها ، مع الإفصاح عن أن هذه الأمنية بعيدة المنال .

وعن الانتقال من الاستفهام إلى التعجب يقول ابن جني : (ولفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرا ، وذلك قولك مررت برجل أى رجل ، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهما . وكذلك : مررت برجل أيما رجل ، لأن "ما" زائدة وانما كان كذلك لأن أصل الاستفهام الخبر ،والتعجب ضرب من الخبر فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده الى أصله من الخبرية).(١)

وسواء سلمنا بجعل التعجب من ضروب الإنشاء أم لم نسلم ، فان الانتقال إلى النفي وغيره من الأساليب الخبرية ،لا يكون خروجا تاما من الإنشاء ،فإنّ المعنى الأصلى للأسلوب يبقى موجودا فيه ومن هنا ازدادت التراكيب قوة في التعبير وحسنا في الأداء ،وإلا لما احتاج الشاعر أن يخرج من أسلوب إلى آخر.

---

(١) الخصائص ٣ : ٢٦٩.

ما يلحق بالاستفهام

يوجد أشياء ألحقت بالاستفهام ، وهي التمني والترجي والدعاء والتحضيض وسأعرض لها عرضا سريعا من خلال ديوان المفضليات .

أولا : ليت

وقد وردت في الديوان في أبيات خمسة ، الأول قول الحُصين ابن الحُمام (١) :

فليتَ أبا شِبْلٍ رَأى كَرَّ خَيْلِنا
وخيلِهم بَيْنَ السِّتارِ فأَظْلَما

والثاني في قول المُرَقِّش الأكبَر (٢) :

لاتَ هُنَّا ولَيْتَنِي طَرَفَ الزُّ
جِّ وأهلِي بالشَّأْمِ ذاتِ القُرونِ

والثالث في قول أفنون التغلبي (٣) :

فلَا خَيْرَ فِيما يَكْذِبُ المَرْءُ نَفْسَهُ
وتَقوالِهِ للشَّيْءِ : يا لَيْتَ ذا لِيا

والرابع في قول مُتَمِّم (٤) :

وما غَالَ نَدْمانِي يَزِيدَ، ولَيْتَنِي
تَمَلَّيْتُهُ بالأهلِ والمالِ أَجْمَعَا

---

(١) المفضلية ١٢ : ٨ . (٢) ٤٨ : ٧ . (٣) ٦٥ : ٢ .
(٤) ٦٧ : ٣٤ .

والخامس في قول عوف بن عطية (١) :

وفرَّ ابنُ كَوزٍ بأذوادِهِ

ولَيْتَ ابنَ كوزٍ رآنا نهارَا

وليت حرف تمن يتعلق بالمستحيل غالبا ، كقوله :

فياليت الشباب يعود يوما

فأخبره بما فعل المشيب

وبالممكن قليلا (٢) وجعلها غيره تمنيا في الممكن والمستحيل على حد سواء وتعمل عمل إنَّ (٣) .

وهي هنا تمنٍ في الممكن ، عدا البيت الأول فإنه في المستحيل حيث الحدث الذى تمنى أن يراه أبو شبل قد انتهى ، والرابع حيث ما تمناه لا يكون . وأساليب التمني الواردة في هذا الموطن تعد قليلة ذلك أن الشاعر عبّر عن التمني بأساليب أخرى ، كالاستفهام والنداء إلى غير ذلك مما تحفل به لغة الشعر .

---

(١) المفضلية ١٢٤ : ٣٦ .

(٢) مغني اللبيب /١ : ٢٨٥ .

(٣) الجنى ٤٩١ ، ٤٩٢ ، معاني الحروف ١١٣ ، الهمع ١ : ١٣٤ ، المساعد على تسهيل الفوائد ١ : ٣٠٦ .

ثانيا - لعـــل

وردت لعل خمس مرات في الديوان ، في قول الجُمَيح (١) :

فَاقْنَيْ لعلَّكِ أَنْ تَحْظَيْ وَتَحْتَلِبِـي

في سَحْبَلٍ مِن مُّسُوكِ الضَّأْنِ مَنْجُـوبِ

وفي قول ثعلبة بن صعير (٢) :

وَعَدَتْكَ ثُمَّتَ أَخْلَفَتْ مَوْعودَهـا

ولعلَّ مَامَنَعَتْـك ليس بضائِـر

وقول المُرَقّش الأكبر (٣) :

فَلعَلَّ بُطْأَكُما يُفَرِّطُ سَيِّئـاً

أَوْيَسْبِقُ الإسْرَاعُ سَيْباً مُقْبِـلا

وقول مُتَمِم (٤) :

لَعَلَّكَ يوماً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّـةٌ

عليكَ مِنَ اللَّائي يَدَعْنَكَ أَجْدَعـا

وقول المُثَقَّب (٥) :

لَعَلَّكِ إِنْ صَرَمْتِ الحَبْلَ مِنِّـي

كَذَاكِ أَكُونُ مُصْحِبَتي قَرُونِـي

وهي عند سيبويه رجاء وخوف ، وفي ذلك يقول : (وإذا قلت لعل فأنت ترجوه أوتخافه في حال ذهابه) (٦) أو طمع واشفاق

---

(١) المفضلية ٤ : ١٢ ، (٢) ٢٤ : ٤ ، (٣) ٤٥ : ٢ ، (٤) ٦٧ : ٤٩

(٥) ٧٦ : ١٩ ،

(٦) الكتاب ٢ : ١٤٨ ، والمثال هو (لعل هذا زيد ذاهبا) .

وفيها يقول (ولعل وعسى لطمع واشفاق) [١] وذكر لها ابن هشام معاني ثلاثة :

١ - التوقع ،وهو ترجي المحبوب والإشفاق من المكروه ... وتختص بالممكن .

٢ - التعليل . ومن لم يثبته يحمل أمثلته على الترجي .

٣ - الاستفهام ،وأثبته الكوفيون .

وذكر أن خبرها يقترن بأن كثيرا حملا على عسى ،كقوله :

لعلكَ يوماً أنْ تُلِمّ مُلِمّةٌ
عليكَ مِن اللائي يَدَعْنَك أجْدَعا [٢]

ويقول السيوطي :(لعل للترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه ... ولا تستعمل الا في الممكن). [٣]

وهي في الأبيات المتقدمة ترج ، عدا بيت متمم فهي فيه طمع وإشفاق واقترن الخبر بأن في بيتين ،الأول قول الجُمَيح :

(لعلك أن تحظى وتحتلبي) ،والثاني في بيت متمم الذي استشهد به ابن هشام .

---

(١) الكتاب ٤ : ٢٣٣ .
(٢) مغني اللبيب ١ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،وانظر الجنى ٥٧٩ - ٥٨٢ .
(٣) الهمع ١ : ١٣٤ .

ثالثا - هلاَّ و لولا وألا

ووردت "هلاَّ" خمس مرات في الديوان ،الأول في قول المُخَبَّل السعدي (١) :

هَلاَّ تُسَلِّي حاجَةً عَلِقَتْ

عَلَقَ القَرِينَهِ حَبْلُها جِذْمُ

والثاني في قول المُرَقِّش الأكْبَر (٢) :

هَلاَّ سألتِ بنَا فَوارِسَ وائِلٍ

فَلَنَحْنُ أَسْرَعُها الى أَعْدائِها

والثالث في قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَة (٣) :

فَعَيْنَيَّ هلاَّ تَبْكِيانِ لِمالِكٍ

إِذَا أذْرَتِ الرِّيحُ الكَنِيفَ المُرَفَّعَا

والرابع في قول أبي قيس بن الأسلت (٤) :

هَلاَّ سألْتِ الخَيْلَ إذْ قَلَّصَتْ

ما كانَ إِبْطائي وإِسْراعِي

والخامس في قول أوس بن غَلْفَاء (٥) :

فَهَلاَّ إِذْا رَأَيْتَ أَبا مَعاذٍ

وعُلْبَةَ كُنْتَ فيها ذا انتقامِ

وأصلها عند الخليل هل ولا (٦) ولا يقع بعدها إلاّ الأفعال ،

----

(١) المفضلية ٢١ :٢١ ، (٢) ٥١ :١٠ ، (٣) ٦٧ :١١ ، (٤) ٧٥ :١٦ .
(٥) ١١٨ :٢ ، (٦) الكتاب ٣ :٥ وانظر ٤ :٢٢٢ .

يقول سيبويه في هلاّ ولولا وألا : (وأخلصوهن للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض) (١).

المفيدة للتحضيض

أمّا " لولا " فوردت في بيت واحد ، وهو قول بشر بن أبي خازم (٢) :

لَوْلاَ تُسَلِّي الهَمَّ عنكَ بِجَسْرَةٍ
عَيْرَانةٍ مثلِ الفَنِيقِ المُكْدَمِ

وأما " ألا " الدالة على التحضيض فجاءت في بيتين ، الأول قول مقاس العائذي (٣) :

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي شَيبانَ عنِّي
فلا يَكُ مِنْ لِقائِكُم الوَداعَا

والثاني قول بشر بن أبي خازم (٤) :

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي سَعْدٍ رسُولاً
ومَوْلاهُمْ فقَدْ حُلِبَتْ صُرَامُ

ومعنى هلاّ ولولا وألا : إذا دخلت على الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل ، ومعناها في المضارع الحض على الفعل والطلب له (٥).

---

(١) الكتاب ٣ : ١١٥.

(٢) المفضلية ٩٩ : ٢٦. (٣) ٨٤ : ١١. (٤) ٩٧ : ١٥.

(٥) شرح الكافية للرضي/٢ : ٣٨٧ وانظر الجنى ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، معاني الحروف ١٢٣ ، ١٣٢ / الصاحبي في فقه اللغة ١٦٣ ، ١٦٤ ، الكتاب ١ : ٩٨ ، ٢ : ٣٠٨ ، مغني ١ : ٦٩ ، ١ : ٢٧٤.

وجميع أدوات التحضيض الواردة في المفضليات دخلت على الأفعال ، حيث دخلت " هلا " على المضارع مرتين ، وعلى الماضي ثلاث مـرات ، ولم تدل في دخولها على الماضي على لوم و ترك للفعل كما جاء عن الشيخ الرضي ، وإنما دلت على التحضيض في مواضعها الخمسة .

أما " لولا " فدخلت على المضارع وكانت دالة على التحضيـض ، وألا المفيدة للتحضيض دخلت على فعل الأمر أبلغ .

وجاءت " ألا " دالة على الإنكار والتوبيخ وفي قول الشنفرى (١)

أَلاَ أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّـتِ

وما وَدَّعَتْ جِيرانَهَا إِذْ تَوَلَّـتِ

وهي داخلة على معمول الفعل الماضي "أجمعت" وقد لامها وأنكر عليها رحيلها دون وداع.

---

(١) المفضلية ٢٠ : ٠١

رابعا - الدعـــاء

ورد الدعاء في المفضليات على أنماط عدة ،فمنها ما ورد بأسلوب النفي ،وجاء في قول مُزَرِّد (١) :

فلا مَرْحباً بالشَّيب مِن وَفْد زائـرٍ
متَى يَأْتِ لا تُحْجَبْ عليه المَداخِـلُ

وقول المُرَقِّش الأكْبَر (٢) :

لَا يُبْعِدِ اللَّهُ التلَبُّـــبَ والـــ
ـغَـارَاتِ إِذْ قال الخَميــسُ نَعَــمْ

وقول بشر بن مرثد (٣) :

وصاحِبَيْهِ فلاَ يَنْعَمْ صَباحُهُمـــا
إِذْ فُرَّتِ الحــربُ عن أَنيابِها الرُّوق

وقول عبدالله بن عنمة (٤) :

صُـــدُورُهُمُ شَـناءَةٌ فَنفاسَـــةٌ
فَلَا حُـلَّ مِنْ تلكَ الصُّدُورِ قَتادُهــا

ومنها ما جاء باستعمال الفعل" سقى" ، وجاء في قول مُزَرِّد (٥) :

وَسَقْياً لِرَيْعـانِ الشَّبابِ فإنـــهُ
أخُـو ثِقَـةٍ في الدَّهْرِ اذْ أَنا جاهِـلُ

---

(١) المفضلية ١٧ : ٠٤ (٢) ٥٤ : ٣٣٠ (٣) ٧٠ : ٢٠

(٤) ١١٤ : ١٢٠ (٥) ١٧ : ٠٥

وقول متمم (١) :

سَقَى اللّهُ أرضاً حَلَّها قَبْرُ مالِكٍ

ذِهابَ الغَوادِي المُدْجِناتِ فأمْرَعا

وقول علقمة (٢) :

فَلا تَعْدِلي بَيْني وبَيْنَ مُغَمَّرٍ

سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حينَ تَصُوبُ

سَقاكِ يَمانٍ ذُو حَبيٍّ وعارِضٌ

تَرُوحُ به جُنْحَ العَشِيِّ جَنُوبُ

ولعل الشعراء هنا استعملوا هذا الفعل في الدعاء لارتباطه بطبيعتهم، حيث كانوا يعتمدون على الأمطار في كثير من شؤون حياتهم، وسقيا من المصادر المستعملة في الدعاء. (٣)

ومن أساليبه أيضا استعمال كلمة " فدى " وجاءت في قول سلمه (٤) :

فِدًى لأبي أسماءَ كلُّ مُقَصِّرٍ

مِنَ القوم مِن ساعٍ بِوِتْرٍ ووَاتِرِ

---

(١) المفضلية ٦٧ : ٢٤. (٢) ١١٩ : ٥ ، ٦.

(٣) الكتاب ٣ : ٨.

(٤) المفضلية ٥ : ١٠.

وقول الجُمَيح (١) :

فِدًى لسَلْمَىٰ ثَوْبايَ إِذْ دَنِسَ الـ
ـقَومُ وإِنْ يَدْسُمُون ما دَسَمُوا

وقول الحارث بن وعلة (٢) :

فِدًى لكُمَا رِحْلَيَّ أُمِّي وخالَتِي
غَداةَ الكُلَابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوابِرُ

وقول ربيعة بن مقروم (٣) :

فِدًى بِبُزَاخَةَ أَهْلِي لَهُمْ
إِذَا مَلأُوا بالجُمُوعِ الحَزِيما

وقول المُرَقِّش الأَكْبَر (٤) :

فاذْهَبْ فِدًى لَكَ ابْنُ عمِّكَ لاَ
يَخْلُدُ إِلاَّ شَابَةُ وأَدَمُ

وقول محرز بن مُعْكَبَر (٥) :

فِدًى لقَوْمِي ما جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ
إِذْ لَفَّتِ الحَرْبُ أَقْوَاماً بأَقْوامِ

وقول مَقَّاس العائِذي (٦) :

فِدًى لأُناسٍ ذَكَّرُوهُمْ مَعِيشَةً
تَرَىٰ لِلثَّرِيدِ الوَرِدِ فيها نَوَاخِرَا

---

(١) المفضلية ٧ : ١٠٠ (٢) ٣٢ : ٠١ (٣) ٣٨ : ٠٢٩
(٤) ٥٤ : ٠٩ (٥) ٦٠ : ٠١ (٦) ٨٥ : ٠٦

وجاء الدعاء بالفعل " فَقَدَ " حيث قال الحُصين بن الحُمام [١]

وَقُلتُ لَهُمْ يا آلَ ذُبْيانَ ما لَكُمْ

تَفاقَدْتُمْ لم تَذْهَبُوا العامَ مَذْهَبَا

وهذه الأساليب خبرية من حيث التركيب إنشائية من حيث المعنى ، وقد جعل سيبويه الدعاء بمنزلة الأمر والنهي ، وفي ذلك يقول : (واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي ، وإنما قيل " دعاء " لأنه استعظم أن يقال أمر أو نهي).[٢]

وعن اللام النافية التي ترد في الدعاء يقول (واعلم أَنَّ هذه اللام [٣] ولا في الدعاء بمنزلتهما في الأمر والنهي ، وذلك قولك : لا يقطع الله يمينك ، وليجزك الله خيرا) .[٤]

ومما جاء دالا على الدعاء أيضا ، قول عبدالله بن عنمة .[٥]

تَقُولُ لَهُ لَمَا رَأَتْ خَمْعَ رِجْلِهِ

أَهَذا رَئِيسُ القَوْمِ ؟ رادَ وِسادَها

حيث كان قوله " راد وسادها " دعاءا عليها بالقلق .

---

(١) المفضلية ٩٠ : ١١ وانظر المفضلية ١٢ : ٢٥ .

(٢) الكتاب ١ : ١٤٢ .

(٣) يعني لام الأمر .

(٤) الكتاب ٣ : ٨ .

(٥) المفضلية ١١٤ : ١٨ .

انتهى المجلد الأول بفضل من الله سبحانه وتعالى ، ويليه المجلد الثاني الذى يبدأ بالفصل الخامس (ظاهرة الجزاء في ديوان المفضليات)